



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٤٠٧

تاريخ التعليم في الإسلام الإسلامي

القرن الخامس الهجري

١٤٠٨ هـ

بحث تاريخي وصفي تحليلي



إعداد الطالبة
ناويين بنت حبيب محمد مفتي

إشراف الدكتور

محمد محمد ناوي

مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والفقهانية في كلية
التربية بجامعة أمم القرى للطلبة التحصيليين والرجعيين
والأجانب في التربية الإسلامية

سنة ١٤٠٨ هـ

جامعة أم القرى
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـري
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية
بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم رباعى : نادية بنت عابد أحمد مفتى القسم التربىة الاسلامىة والمقارنىة
الدرجة العلمىة ماجستىة ر التخصص تربىة اسلامىة ومقارنىة
عنوان الأطروحة : (تاريخ التعلیم فی المشرق الاسلامی فی القرن الخامس الهجرى)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ
١٩ / ١١ / ١٤٠٨ هـ بقبول الأطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم .

فان اللجنة توصى باجازة الأطروحة فى صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلى للدرجة العلمىة
المذكورة أعلاه والله الموفق .

أعضاء اللجنة

المشرف : د . محمود محمد عبد الله كسناوى د . أفكار محمد الحسن سلام د . قواز بن على الدهساس
الاسم : د . مناقش من القسم مناقش من خارج القسم
التوقيع

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د . نجم الدين عبدالغفور الانديجاني

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة فى كل نسخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

- - -
قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهـدا	ب
شكر و تقدير	ج
قائمة المحتويات	د
خلاصه البحث	هـ
المقدمه	١
اهمية البحث	٢
أهداف البحث	٥
منهج البحث	٦
موضوع البحث	٧
حدود البحث	٨
مصطلحات البحث	٩
الدراسات السابقة	١٠
	١١
الفصل الثاني	
المشرق الاسلامي في القرن الخامس الهجري	١٥
التمهيد	١٦
الحاله السياسيه في الجزيره العربيه	١٩
الاضاع السياسيه في العراق	٢٥
السياسيه في بلاد الشام	٣٨
الحالـد الاجتماعيه في الجزيره العربيه	٤٧
الحالـد الاجتماعيه في العراق	٥٠

٥٧	الحاله الاجتماعيه فى بلاد الشام
٦٢	الحاله الاقتصاديه فى الجزيره العربيه
٦٥	الحاله الاقتصاديه فى العراق
٧٠	الحاله الاقتصاديه فى بلاد الشام
٧٣	اثر الاوضاع السياسيه و الاقتصاديه و الاجتماعيه على الحاله العلميه و الفكره
	الفصل الثالث :
٨٤	نظام التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى
٨٦	اولا: أهداف التعليم
٩٣	اهداف التربيه عند الماوردي
٩٥	اهميه العلم عند الماوردي
١٠٤	اهداف التعليم عند الغزالي
١٠٦	منهاج و اساليب التربيه عند الغزالي
١١٢	ثانيا : مراحل التعليم
١١٥	ثالثا : تعليم الخاصه
١٢١	رابعا : المعلمون
١٣٨	خامسا : الدوله و دورها فى التعليم
	الفصل الرابع :
١٤٥	مؤسسات التعليم فى المشرق الاسلامى
١٤٦	مؤسسات التعليم قبل انتشار المدارس
١٤٨	الكتاتيب
١٥٧	المساجد
١٦٧	حوانيت الوراقين
١٦٩	دور الكتب و المكتبات

الصفحة

١٧٢	بيوت العلم و العلماء
١٧٥	الزوايا و الربط
١٧٧	الدواوين
١٨٠	البيمارستانات
	مؤسسات التعليم بعد انتشار المدارس .
١٨٥	نشأة المدارس
٢١٠	المدارس النظاميه و تخطيطها
٢١٨	وظائف المدرسه النظاميه
٢٢٤	أهم المدارس التى ظهرت فى القرن الخامس الهجري

الفصل الخامس:

٢٣٠	نتائج الدراسه و التوصيات
٢٣١	اهم النتائج التى توصل اليها البحث
٢٣٦	التوصيات
٢٤١	المراجع و المصادر

الإهداء ..

إلى والدتي الفاضلة ووالدتي الفاضلة واللذان
لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تنشئتي
على حب العلم منذ الصغر .

إلى ابنتي الغالية التي أتمنى لها حياة مشرقة
بنور الإيمان والعلم النافع .

إلى أخواني في حمولنا ثملوا من مشقة فترة إخراجنا
هذا البحث .

وإلى كل الراغبين من أبناء الدعوة الإسلامية
في التطوع على ترأسها وحضارتها .

شكرو وتقدير

الحمد لله أثنى شكره على نعمائه وفضله وبعد :

فإني أقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وأهني
بالشكر كلية التربية وقسم التربية الإسلامية والقارئة على ما يقدموه
من جهد في سبيل عطاء أفضل .

كما إني أقدم بالغ شكرى وتقديرى للأستاذ المشرف الدكتور

محمود محمد كنادي جزاه الله عنى خير الجزاء .

وكذلك أقدم بالشكر والتقدير لكل من شارك في تعاليمى

وتوجيهى جزى الله الجميع عن العلم والمتعلمين خير الجزاء .

وأطلب من الله تعالى أن يحفظ لي أسرتي التي عملت على تهئية كل

أسباب الأجر والمريحة في سبيل إرتجائى لهذا العمل المتواضع .

حفظ الله الجميع وأعمالهم بعين عيائه إنه سميع مجيب الدعاء .

خلاصة البحث :

هدفت هذه الدراسة الى محاولة تقديم صورة واضحة عن تطور التعليم في المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ، فـقـد حاولت الاجابة على الاسئلة التالية :-

- ما دور الدولة فى التعليم خلال تلك الفترة ؟ .
 - متى يبدأ تعليم الفرد المسلم خلال الفترة وحتى ينتهى ؟ .
 - ما المؤسسات التربوية التى كان يمارس فيها التعليم ؟ .
 - كيف كان تعليم الخاصة ؟ .
 - ما المستوى الثقافى والاقتصادى والاجتماعى للمعلمين وما مسئولياتهم؟
- وتألفت الدراسة من خمسة فصول هى :-

الفصل الاول : واشتمل على أهمية وأهداف وموضوع وحدود ومصطلحات البحث كما اشتمل ايضا على الدراسات السابقة التى لها علاقة بالدراسة .

الفصل الثانى : وتناول المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى من ناحية الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الجزيرة العربية والعراق والشام ، وكذلك تناول اثر هذه الاوضاع على الحالة العلمية والفكرية .

الفصل الثالث : وعالج نظام التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى . وتناول فيه دور الدولة فى التعليم ، أهداف التعليم ، مراحل التعليم ، تعليم الخاصة ، تعليم المرأة ، المعلمون .

الفصل الرابع : وعالج مؤسسات التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى وهى : الكتاتيب ، المساجد ، حوانيت الوراقين دور الكتب ، المكتبات ، بيوت العلماء ، الزوايا والربط ، الدواوين ، البيمارستانات . نشأة المدارس ، المدارس النظامية ، وظائفها ، ثم أهم المدارس التى ظهرت فى ذلك القرن .

الفصل الخامس : وقد احتوى على أهم النتائج والتوصيات التى توصل اليها البحث ، ومن أهم النتائج ما يلى :-

كان المسجد أول مكان للدعوة والتعليم . كما كان القرآن الكريم محور الارتكاز للمنهج الدراسى فى الكتاب ، ثم نشأة المدارس النظامية فى القرن الخامس الهجرى وكذلك تأثر التعليم الاسلامى بالمدارس الفكرية والمذاهب الدينية ، ثم ان النظرية التربوية الاسلامية لا تفصل بين الدين والعلم فجوهر النظام التربوى فى الاسلام هو العلم والعمل ، ومحوره الفرد المسلم .

المقدمة :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على خير من اصطفى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين . . وبعد :

اننا كمسلمين نسلم بحقيقة الاسلام القائمة على أنه نظام ديني وديني في وقت واحد، فالاسلام خلاصة اديان السماء . فهو يعمل على تكوين شخصية المسلم المتوازنة والتي ينمو فيها الجانب (الجسمي والروحي والعقلي) تنمية متوازنة بحيث لا يطفئ فيها جانب على جانب آخر، فهو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء، فنجده بعيدا في تربيته عمن . المادية البحتة كما يفعل الغرب الآن أو الروحانية الخالصة البعيدة بدورها عن الواقع المعاش . فلذلك نجد أن التربية الاسلامية تسعى لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، ويتم ذلك من خلال تربية الفرد المسلم منذ الطفولة في المنزل ثم مؤسسات التربية المختلفة المراحل حتى يكتمل بناء تلك الشخصية فتخرج للحياة هدفها عبادة الله وحده لا شريك له . ثم العمل على عمارة الارض بما يحقق غايات مجتمعها المسلم في ظروف التقدم العلمي والتقني .

ومن هذا يتضح ان الاسلام أنهى عمليا القطيعة بين الدين والعلم كما اعتقد بعض رجال الديانات الاخرى . فأننا نجد أن أول آية من آيات القرآن الكريم نزلت على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم تحت على العلم والتعليم حيث يقول سبحانه وتعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١)

ولكى يشعر العزيز الحكيم المسلمين بتقدير العلم والتعليم أقسم بأداة الكتابة فى قوله تعالى : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (٢)

فالعلم يؤدى الى تقوى الله وخشيته ، وهو جوهر الايمان وروحه ، ذلك انه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٣)

ولقد نادى علماء المسلمين من منطلق اهتمام الفقهاء المحدثين بوجوب العلم وتحدثوا عن مسئولية المعلم والمتعلم ، وقد دعم ذلك حكام المسلمين منذ صدر الاسلام وحتى عصور الازدهار للحضارة الاسلامية فى عهد الخلافة العباسية .

ولنذكر هنا كلمة للاستاذ الأمريكى " روبرت " فى كتابه " النزاع بين العلم والتعليم قوله بأن :

" امراء المسلمين فى الاقاليم ينافسون الملوك ويناظرونهم فى رعاية العلم والعلماء ، وكان من نتيجة تنشيطهم وتشجيعهم للعلماء ان انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فارس وقرطبة . ويروى عن وزير لأحد السلاطين انه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ، ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا ، وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غنى وفقير . ويعطون

(١) سورة العلق ، آية : (١ - ٥)

(٢) سورة القلم ، آية : (١)

(٣) سورة فاطر ، آية : (٢٨)

الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة، وكانت المؤلفات
تنسخ وتجمع سدا لحاجات اهل العلم، ورغبة
الأغنياء في جمع الكتب. (١)

ومن منطلق ما تقدم نستطيع ان نقول : ان الذات الاسلامية الاصيله
كانت وراء نجاح التعليم وتقدمه في عصر الازدهار الاسلامي . لقد طموح
وأثرى ذلك التعليم الحياة على الارض الاسلامية .
وهنا نتساءل ماذا نحتاج لكي نعي تلك الذات الاسلامية، ولكي
نستأنف المسيرة الزاهرة ؟
اننا نحتاج للجهد العقلي، والاهتمام بتراث الاقدمين ليكون اساسا
ومنطلقا للتجديد والاضافة والتطوير.



(١) محمد عطيه الابراشي : التربية الاسلامية وفلاسفتها ط١ القاهرة

أهمية البحث :

ان دراستنا لأحد عصور الإزدهار والرقى فى فترة من فترات الاسلام الزاهية، ليست فى الواقع توقفا عند الماضى، ولا هى دعوة للمــــودة الى الوراء، بقدر ما هى محاولة للتعرف على اساس ثابت يمكن ان نركن اليه فى بناء أمتنا الاسلامية فى العصر الحديث.

والاهمية الكبرى لهذه الرسالة تكمن فى اطلاعنا على الاسلوب الذى اتبعه المسلمون فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجــــرى فى تربية ابنائهم كما أنها تبين لنا مقدار الاهتمام الذى بذلوه دولة وشعبا فى هذا المجال الحيوى، علاوة على اطلاعنا على تاريخ تعليمنا فى العصور الوسطى التى كانت اورونا فيه تعيش فى ظلمات الجهل والتخلف.

ولعل هذه الدراسة تفيد فى التعرف على ما يجب الأخذ به وما يجب ان نبتعد عنه حتى نتمكن من بناء نظام تربوى سليم لتربية اجيالنا القادمة.

ان دراسة فكرنا التربوى الاسلامى يبدو أكثر أهمية لأنه سـازال يعيش حيا وعلى ذلك فأن دراسة هذا الفكر ليس احياء له. ولا مجرد تعلق به، ولكن احساسا بالحاضر وانتفاء للمستقبل وزيادة فى الوعي بعد أن اصبحنا نعيش على هامش الحضارة، مستهلكين لمنجزاتهم دون ان نسهم فى صنعها.

أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة الى تقديم صورة واضحة عن تطور التعليم في الجزيرة العربية والعراق والشام في القرن الخامس الهجرى ، أى كيف كان يتم اعداد الفرد المسلم وثقيفه ابتداءً من سنن حياته الأولى حتى يصل الى اقصى مايطمح اليه من تعليم مبينا النواحي التالية :

- الدولة ودورها فى التعليم؟
- متى يبدأ تعليم الفرد ومتى ينتهى ؟
- المؤسسات التربوية التى كان يمارس فيها التعليم خلال كل مرحلة من مراحل حياة الفرد .
- تعليم الخاصة مثل ابناء الامراء والوزراء والقادة ، وتعليم المرأة .
- المعلمون ومستواهم الثقافى والاقتصادى والاجتماعى ومسئولياتهم .

منهج البحث :
وقد استخدمت الباحثة منهج البحث التاريخي ، والمنهج الوصفي التحليلي .

" ذلك أن المنهج التاريخي هو اداة الوصول الى مادة تاريخ التربية ومن ناحية اخرى فان استخدام المنهج التاريخي في التربية قد يتناول دراسة احداث ووقائع معينة تمت في الماضي وذلك بقصد التوصل الى نتائج معينة لا تقف عند حد وصف او تقرير ماتم في الماضي فحسب، وانما يكون لها استنادا الى الخبرات والممارسات الماضية قيمتها او فائدتها في مجال العمل التربوي في حاضره أو مستقبله" (١)

والمنهج الوصفي التحليلي :

" يعتمد على وصف ما هو كائن ، وتفسيره ، وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع كما يهتم ايضا بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند كل من الافراد والجماعات وطرائقها في النمو والتطور" (٢) فهو اسلوب لوصف المحتوى الظاهر للاتصال وصفا موضوعيا منظما وكليا . (٣)

وبناء على ذلك فقد استخدمت الباحثة المنهج التاريخي في وصف الاحداث التاريخية ومن ثم دراستها وتحليلها وتفسيرها .

(١) جابر عبد الحميد جابر : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ط ٢ ،

القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٧٨ م ، ص ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٤ .

موضوع البحث:

لقد عرف الاسلام التعليم منذ اللحظات الاولى لنزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان يجتمع بالقلعة التي آمنت به في دار الارقم بن أبي الارقم تلك الدار التي تعتبر أول مؤسسة تعليمية عرفها المسلمون يتعلمون فيها ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن الكريم وبعد الهجرة النبوية المباركة يصبح المسجد المؤسسة التعليمية الهامة والتي لعبت دورا فـشـي شتى مجالات الحياة فهو الى جانب كونه مكانا للعبادة بالدرجة الاولى "نجده معهدا للتعليم، ودارا للقضاء وساحة

تتجمع فيها الجيوش ومنزلا لاستقبال السفراء" (١)

ويُخصر الاسلام ويعزز جانبهِ ويقوى وينتشر في انحاء المعمورة فتتوالى مؤسسات التعليم تباعا من المسجد الى الكتاب الاسلامي، ثم امام التقدم الحضارى الذى قطعه مدينة الاسلام تظهر دار الحكمة فبيوت العلماء، ثم حوانيت الوراقين وتظهر البيمارستانات والربط والزوايا .

ويعتبر القرن الرابع الهجرى من أزهى العصور الاسلامية ففكرا وثقافة، ففيه حدث اللقاء بين الفكر الاسلامي العريس الاصيل والفكر الاجنبى فى اوسع صوره . فنشأت نتيجة لذلك حياة عقلية وثقافية لها طابعها الخاص، ذلك الطابع الذى يمتاز بامتصاص

(١) احمد شلى : التربية الاسلامية نظمها - فلسفتها - تاريخها ط ٧ .

القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٨٢م ص ١٠٢ .

الثقافات الاجنبية وازافتها الى عناصر الفكر العربى . وكان ذلك مقدمة لظهور المؤسسات التعليمية الرسمية . (١)

وفى القرن الخامس الهجرى أصبح نظام المدرسة ضرورة تفرض نفسها على الواقع الاسلامى ، والحق أن ظهور المدارس فى تاريخ التعليم فى الاسلام يمثل أسس إنجازات النظام التربوى الاسلامى ذلك النظام الجدير بكل اهتمام ، فظهور المدارس لم يكن ظاهرة مفاجئة ، وانما هو حصيلة لتطور النظام التربوى الاسلامى عبر ما لا يقل عن اربع قرون . (٢) ومن هنا سوف تركز هذه الدراسة على تطور التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ، حيث ان القرن الرابع الهجرى يمثل أزهى عصور الازدهار الاسلامية ، وقد توج هذا الازدهار فى القرن الخامس الهجرى بظهور المدارس النظامية .

حدود البحث :-

أ - المجال الجغرافى :

لقد تناولت الباحثة موضوع دراستها فى اطار المشرق الاسلامى بصفة عامة ولكنها ركزت بصفة خاصة على شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ، حيث أن هذه المناطق الثلاث تعد منطقة متصلة تتأثر ببعضها البعض وليس هناك حواجز طبيعية تفصل بين تلك المناطق الثلاث

(١) انظر فى ذلك / حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، المجلد الثانى والثالث ط ٧ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م ، المقدمة .

(٢) منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى ، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ترجمة وتلخيص وتعليق سامى الصقار . الرياض : دار المريخ ، ١٤٠١ ص ١١١ .

ب- المجال الزمني :

اختارت الباحثة القرن الخامس الهجري حيث ان معظم المصادر التي أطلعت عليها تؤكد أن المدرسة بفهومها النظامي ظهرت في القرن الخامس الهجري في المشرق الاسلامي .

ج- المجال الموضوعي :

لقد تناولت الباحثة مظاهر تطور النظام التعليمي في المشرق الاسلامي في القرن الخامس الهجري مع التركيز على نشأة المؤسسات التربوية وتطورها .

مصطلحات الدراسة :

١- البيمارستانات :-

(بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب (وستان) بمعنى مكان أو دار فهـي اذا دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان - (١)

٢- الزوايا :-

وهي جمع زاوية وهي المكان الذي ينزوي فيه المعتكف

(١) احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ط ٢ بيروت : دار

الرائد العربي ، ١٤٠١ هـ ، ص ٤٠

فى ركن من اركان المسجد للعبادة . (١)

٣ - الديوان :

كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ، وأطلقت مجازا على المكان الذى يحفظ به الديوان . (٢)

الدراسات السابقة :

ان من أهم الدراسات التى اطلعت عليها الباحثة والتى نشرت فى كتب ، وكانت موضوعاتها تدور حول مجالات عصور الازدهار الاسلامية هى مايلى :-

الدراسة الاولى :

ان من أهم الدراسات التى اطلعت عليها الباحثة والتى نشرت فى كتب ، وكانت موضوعاتها تدور حول مجالات عصور الازدهار الاسلامية هى مايلى :-

دراسة احمد شلى والتى نشرت فى كتاب لاول مرة فى عام ١٩٥٣ . وكان عنوان الدراسة (التربية الاسلامية) ، والهدف من الدراسة تناول نظم التربية الاسلامية وفلسفتها وتاريخها .

وكانت نتائج الدراسة تتلخص فيما يلى : هى ابرازها جانباً مهماً من جوانب الحضارة الاسلامية وهو الجانب التربوى ، وهى تعتمد دراسة رائدة فى هذا المجال ، وان كانت الدراسة قد اخذت فترة

(١) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٤٤ .

زمنية طويلة من تاريخ التربية الاسلامية ومساحة جغرافية أوسع. (١)

الدراسة الثانية:

دراسة محمد اسعد طلس بعنوان التربية والتعليم في الاسلام.
والهدف من هذه الدراسة هو دراسة التعليم في الدولة الاسلامية
في المشرق الاسلامي ، والتعليم في بلاد الاندلس على حد سواء.

وتتلخص اهم نتائج الدراسة في ان ما وصلت اليه حضارة الاسلام
في الجانب التربوي ينم عن تقدم وازدهار . وكذلك الدراسة تعد
دراسة رائدة في هذا المجال . (٢)

الدراسة الثالثة :

دراسة احمد فؤاد الالهواني ، وقد طبعت في كتاب ايضا .
وعنوان الدراسة التربية في الاسلام .
والهدف من الدراسة هو ابراز النواحي التربوية التي نادى بها
القابسي ، وكان ايضا من اهدافها محاولة التوازن بين مذهب القابسي
وبين المذاهب الحديثة في التربية والتعليم .
وكانت نتائج الدراسة هي : ان تقدم الحضارة الاسلامية كله

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق .

(٢) محمد اسعد طلس ، التربية والتعليم في الاسلام ، بيروت : دار العلم

للملايين ، ١٩٥٢م .

كان مرتبطا ارتباط وثيقا بالتربية الاسلامية تلك التربية التي تحث على التقدم والازدهار والوصول بالانسان المسلم الى ارقى درجات الحضارة التي تنطلق من منطلق اسلامي عن طريق اجتهاد علماء ومفكرى الاسلام الذين يجب ان يعملوا على ايجاد اسلوب تربية جدير بان يتلقاه ابناء المسلمين تتكون بمقتضاها الذات الاسلامية الاصيلية. (١)

الدراسة الرابعة:

دراسة حسن عبدالعال بعنوان التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى . وقد هدفت الى الكشف عن الفكر التربوى الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى ، وكذلك الكشف عن اهداف التربية الاسلامية والتربية الخلقية فى القرن الرابع الهجرى .

وقد تمخضت هذه الدراسة عن وجود تراث تربوى عظيم خلفه المسلمون الاوائل فى القرن الرابع الهجرى ، فقد ازدهرت الحضارة الاسلامية بسبب دقة نظام التربية التي كانت محققة لروح الاسلام حيث صحبته منذ بدء ظهوره . ولقد تناولت فترة زمنية محددة هى القرن الرابع الهجرى ولم تحدد منطقة معينة فقد شملت الدراسة منطقة واسعة من الارض الاسلامية. (٢)

(١) احمد فؤاد الاهوانى ، التربية فى الاسلام ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠ م .

(٢) حسن عبدالعال ، التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨ م .

أما في هذه الدراسة التي تقوم بها الباحثة فهي تختلف عن الدراسات السابقة في أنها اختصت ببحث القرن الخامس الهجري من الناحية التربوية بصفة عامة والتركيز على تطور التعليم في تلك الفترة على وجه الخصوص ذلك التطور الذي تمثل في ظهور المدارس وانتشارها فيما بعد وهو أسمى إنجازات النظام التربوي الاسلامي وهذا كان نتيجة تطور اهداف التعليم التي تتضح من خلال دراسة فكر الماوردي والغزالي اللذان عاشا في تلك الفترة الزمنية واللذان يقدمان لنا فكريا تربويا متميزا في ثنايا كتب التربية الاسلامية. كما انهما حددت ايضا المجال الجغرافي وهو المشرق الاسلامي مع التركيز على الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على الناحية العلمية والفكرية في تلك الفترة.

الفصل الثانى

المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى

- الأوضاع السياسية فى الجزيرة العربية.
- الأوضاع السياسية فى العراق.
- الأوضاع السياسية فى بلاد الشام.
- الحالة الاجتماعية فى الجزيرة العربية.
- الحالة الاجتماعية فى العراق.
- الحالة الاجتماعية فى بلاد الشام.
- الحالة الاقتصادية فى الجزيرة العربية.
- الحالة الاقتصادية فى العراق.
- الحالة الاقتصادية فى بلاد الشام.
- أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحالة الفكرية والعلمية فى الجزيرة العربية وبلاد العراق وبلاد الشام.

ان من أهم ما يميز القرن الخامس الهجرى هو زيادة تجزئة الدولة الاسلامية فى المشرق الاسلامى . فبالنظر الى الجزيرة العربية نجد أن على الحجاز الاشراف من ابناء الحسن على مكة ومايتبعها والاشراف من ابناء الحسين على المدينة المنورة وما يتبعها . وبلاد اليمن خاضعة لدولة بنى زياد ، وبنى نجاح ثم الدولة الصليحية التى كانت تدعو للفاطميين ، فى حين ان بلاد الحجاز على طول فترة القرن الخامس الهجرى كانت تدعو للفاطميين مرة وللعباسيين أخرى وكذلك كان لحضرموت وعمان والبحرين حكامها المستقلين ايضا . (١)

ومنذ القرن الرابع الهجرى نجد أن العراق تحت سلطة البويهيين الذين عملوا على بسط سيادتهم ومد نفوذهم على المشرق الاسلامى حتى وصلوا بغداد . وكان من أبرز مميزات حكمهم اضعاف مركز الخليفة العباسى فى بغداد حيث جعلت الولاء له اسما . وماأن وافى القرن الخامس الهجرى حتى ضعف أمر البويهيين فزالت دولتهم من المشرق الاسلامى لتحل محلها دولة السلاجقة منذ النصف الاول من القرن الخامس الهجرى والتى اصبحت أكبر قوة عسكرية فى المنطقة .

(١) شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ، ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف

وقد تولى الخلافة خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع الهجرى الى أوائل القرن السادس أربعة خلفاء عباسيون هم: (١)

١- ابوالعباس احمد القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ)

٢- ابوجعفر عبدالله القائم بامر الله (٤٢٢ - ٤٦٦ هـ)

٣- ابوالقاسم عبدالله المقتدى بامر الله (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ)

٤- ابوالعباس احمد المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢ هـ)

أما بلاد الشام فقد كانت خاضعة للخليفة الفاطمى فى مصر. وما ان حل القرن الخامس الهجرى الا ونجد فلسطين وجنوب الشام يخضع لقبيلة طى، ودمشق ووسط الشام لقبيلة كلب. أما منطقة حلب واجزاء من الجزيرة فقد خضعا لسلطة قبيلة كلاب العدنانية. ثم تعرضت هذه المنطقة لاعتداءات البيزنطيين والتركمان والسلاجقة. فقد عاشت هذه المنطقة القرن الخامس الهجرى كله تتنازعها قوى مختلفة، وفى نهاية هذا القرن وفى العقد الأخير منه كانت حملات الغزو الصليبي لهذه البلاد كما سنرى. (٢)

أما عن الناحية الاجتماعية فلقد كان مجتمع القرن الخامس الهجرى خليط أجناس متعددة من عرب وفرس واثراك وأرمن وسريان وعناصر اسيوية وأخرى افريقية وذلك فى المشرق الاسلامى بصفة عامة

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ٩٠.

(٢) على محمد الغامدى: بلاد الشام قبل الغزو الصليبي، مكتبة الفيصلية، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٠٩.

وفى بعض جهات الجزيرة العربية بصفة خاصة كالحجاز كان هناك اختلاط بين عناصر أفريقية وأسيوية وان كانت الغلبة للعنصر العربي فيها وكذلك عمان (١) ويظهر تعدد الاجناس اكثر وضوحا فى بلاد العراق (٢) وبلاد الشام (٣) وهذا أثر فى الحياة الاجتماعية تأثيرا بالغاً من ناحية العادات والتقاليد . أضف الى ذلك ما كان عليه ذلك العصر من تقدم وازدهار نتج عنه اثرء المجتمع بحضارة لم يعهدها مجتمع القرنين الأولين من الهجرة، بل بلغت أوج تقدمها فى القرن الخامس الهجرى الذى سار بقوة دفع القرن الرابع الهجرى - عصر الازدهار- ولو أنها بدأت تشق طريقها فى المجتمعات الاسلامية منذ القرن الثالث الهجرى فكانت مظاهر الترف مشثلة فى كثرة الرقيق الذى أصبح من العناصر الهامة فى ذلك العصر وكذلك وسائل اللهو المختلفة. (٤)

كان هذا كله فى محيط الطبقة الارستقراطية فى المجتمع الاسلامى بصفة عامة، أما السواد الأعظم من الناس فكان يعانون ضيق ذات اليد مما أحدث ردة فعل مساوية لقوة ما كان يحدث تمثلت فى نزعة التصوف التى أصبحت سمة من سمات ذلك العصر، أضف الى ذلك ظهور اللصوية فى طبقة العامة هذا الى جانب الفرق الدينية

(١) شوقى ضيف، المرجع السابق، ص ٣٤ - ٣٩.

(٢) حسن ابراهيم حسن، ح ٣، المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(٣) أحمد رمضان: المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب

الصليبية، القاهرة: الجهاز المركزى للكتب الجامعية، مؤسسة روز

اليوسف، ١٩٧٧م ص ٣٦ - ٦٤. التاريخ الاسلامى العام، القاهرة: مكتبة

النهضة المصرية، د. ت ص ٥٨٥ - ٥٩٧.

والمذاهب المتعددة (١)

ومن الناحية الاقتصادية فإن رقعة المشرق الاسلامى من حيث موقعها وكبر مساحتها وتعدد ثرواتها تشير الى أنه لابد من وجود مردود اقتصادى رفيع المستوى، ولكن الظروف التى مرت بها من حروب وفتن ومنازعات وانشقاق واقطاع وتسلب مالى من طبقة فى المجتمع على بقية الطبقات جعلت عدم وجود تناسب بين ثروات البلدان الاسلامية وبين مردود تلك الثروات. ولا يعنى هذا عدم وجود انتعاش اقتصادى بل هناك ازدهار اقتصادى تمثل فى الصناعة والزراعة بصفة عامة وكذلك تجارة بلاد الشام وان كانت التجارة بالعراق قد انكشفت فى العهد البويهى فنجدها منتعشة فى الجزيرة العربية والتى لها ثرواتها الخاصة بها منذ القدم بحكم موقعها الجغرافى حيث لها موانئها الهامة كميناء عدن وموانئ عمان.

الحالة السياسية فى الجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى :

كان الحجاز مقسم الى امارتين : اماره مكة وكانت تتبعها قرى الطائف وجدة وعسفان ومرا الظهران ، وامارة المدينة وكانت تتبعها قرى خيبر وفدك وينبع والفرع ووادى القرى ومدین . وكانت اماره مكة للحسينيين من احفاد الحسن بن على بن ابي طالب فى حين كانت اماره المدينة للحسينيين من احفاد الحسين بن —

على بن ابي طالب . (١)

وحيث أن امانة مكة مرتبطة بالحج بالدرجة الاولى فعليه لابد من القاء الضوء على الحالة السياسية لاقليم الحجاز من منطلق الاوضاع السياسية للمدينة المقدسة " مكة " . فمع سقوط مصر في يد الفاطميين عام ٣٥٨ هـ استقل جعفر بن محمد بن الحسين بحكم مكة ، وبذلك تأسست حكومة الاشراف الموسويين . ثم بدأ النزاع بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية الجديدة حول الدعاء في خطبة الجمعة على منبر المسجد الحرام ، والى جانب ذلك النزاع كان هناك عبث القرامطة فى تلك الفترة . وبعد وفاة جعفر هذا تولى ابنه عيسى بن جعفر عام ٣٨٠ هـ . ثم تولاها أخوه ابو الفتوح عام ٣٨٤ هـ وضم لها رابغ . (٢)

وفى عهد حكم ابي الفتوح ومن كان قبله على حكم مكة ممن ذكرنا كانت الدعوة تقام على منبر المسجد الحرام للفاطميين حتى أرسل الحاكم الفاطمى لأبى الفتوح سجلا مضمونه انتقاص فى حق الصحابه رضوان الله عليهم وأمره أن يقرأ على منبر المسجد الحرام ، وكانت نتيجة ذلك اختلاف ابي الفتوح مع الفاطميين ، وزاد هذا الاختلاف حدة بموازرة الوزير أبى القاسم المغربي له ضد الفاطميين ، فوصل الأمر الى اعلانه الخلافة لنفسه وأخذ يتلقى البيعة من مؤيديه فى مكة والمدينة ، وجهز جيشا زحف به الى الشام وبايعه فيها بنو سليم

(١) شوقي ضيف ، مرجع سابق ص ١٢٠ .

(٢) احمد السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ط ٢ مكة . مطابع قریش ١٣٨٠ هـ

وبنو هلال وبنوعوف وبنو عامر. وفي تلك الاثناء اغتتم بنو عمه من السليمانيين الفرصة واستولوا على الحكم في مكة، أضف الى ذلك استمالة الحاكم الفاطمي لأهم مناصري أبو الفتوح وهم بنو الجراح السى التخلي عنه وكان له ما اراد. فحاول ابو الفتوح اللجوء اليهم مرة أخرى للتوسط عند الخليفة الفاطمي باخراج أبناء عمه السليمانيين من مكة وارجاعه لامارتها نظير تخليه عن الخلافة فعاد الى مكة عام ٤٠٣هـ، ودعى للخليفة الفاطمي على منبر المسجد الحرام. (١)

وتوفي ابو الفتوح عام ٤٣٠هـ ليخلفه ابنه محمد شكر. (٢) والذي توفي عام ٤٥٣هـ وفي عهده جمع بين الحرمين مكة والمدينة. وكانت مدة حكمه ثلاثة وعشرين سنة ولم يكن له ولد يخلفه فتولاها عبد له لم يعرف اسمه. (٣)

ولكن لم يدم حكمه طويلا فقد منع الدعاء لأى من الخليفين فى خطبة الجمعة، فأصبح كل أمير حج يدعو بأسم الخليفة التابع لـه فأزداد الموقف سوء. (٤) فما كان من السليمانيين الا اخراج العبد والاخذ بزمام الأمر. (٥)

(١) محمد بن محمد بن فهد: اتحاف الورى باخبارام القرى، ج٢ ط ١،

القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ من ٤٣٦-٤٤٠.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢٩.

(٣) الفاسى: شفا الفرام، ج٢، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت

ص - ١٩٥.

(٤) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، الرياض: مطبوعات دار الملك عبد

العزیز، ١٤٠٣هـ ص ٣٥.

(٥) احمد السباعى: مرجع سابق، ص ١٨٠.

وما أن حل عام ٤٥٤هـ حتى استولى محمد بن جعفر من الهواشم على حكم مكة من بنى سليمان وأقام الدعوة للعباسيين فرأى الخليفة المستنصر الفاطمي وضع حد لتلك القلاقل وكان هذا ممثلاً في بعث داعية في اليمن الصليحي إلى مكة وكان ذلك عام ٤٥٥هـ. (١)

ويقول ابن الاثير في احداث عام ٤٥٥هـ

"دخل الصليحي إلى مكة مالكا لها فأحسن السير فيها ، وجلب اليها الأقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة. (٢)

"وجعل محمد بن ابي هاشم في الامارة ورجع إلى اليمن بعد ان أمده بكل امداد يساعده على تثبيت الأمر من جيش وسلاح ومال. (٣)

وكانت الخطبة في عهده تقام مرة للعباسيين واخرى للفاطميين حسبما يفدقه عليه كلا منهما من أموال ، وجمع بين الحرمين وقراهما تحت امرته" (٤)

وفي عام ٤٨٤هـ خرج هاربا من التركمان الذين أرسلوا إلى مكة مستولين عليها قائمين بالنهب والتخريب. (٥) فهرب من مكة مستغيثا من أولئك. (٦)

-
- (١) سليمان مالكي ، المرجع السابق ص ٣٥ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، بيروت : دار الصادر ١٣٩٩ هـ .
(٣) الفاسي ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
(٤) شوقي ضيف ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
(٥) الفاسي ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
(٦) ابن الاثير ، المرجع السابق ، ج ١٠ ص ٢٠٠ .

ثم تولى الحكم بعده ابنه القاسم منذ عام ٤٨٧هـ وحتى سنة ٥١٨هـ ولم يختلف الوضع في عهده عن الوضع في عهد ابيه فكانت تقام الخطبة مرة للعباسيين وأخرى للفاطميين مما أثار الفتن والقلق وقد تولاها في عهده عنوة الاصبهيد بن سارتيك، وخرج منها سنة ٤٨٧هـ (١)

هذا ما كان من أمر الحجاز . أما نجد فكانت على النظام القبلي تغلب عليها حياة الرعي والبادية لا يعرف عن وضع تلك القبائل الباقية بعد الهجرة في عصر الفتح شيء يذكر سوى تحركاتها نحو الشرق والغرب فنجد في القرن الخامس الهجري رئاسة طي بيد بنى الجراح فيستولى دغفل المفرج على الرملة بفلسطين منذ القرن الرابع الهجري وفي عام ٤٠٤هـ يتولى الأمر ابنه حسان بن دغفل الذي يناصب الفاطميين في حروبهم ويستولى على عسقلان وأفامية، وكذلك قبيلة خفاجة التي تزحف في اتجاه اليمامة وتعيش القرن الخامس الهجري الى منتصف السادس في حروب ومنازعات مع أبناء عمومتهم من بنى المنتفق بن عقيل . وهناك قبائل وعشائر لبنى عقيل نزلت الموصل وأسست امارات فيه حتى نهاية القرن الخامس الهجري .

والجدير بالذكر أنه في بداية القرن الخامس الهجري تأسست اماره في انحاء الحلة على يد بنى أسد فما أن جاء نهاية القرن الخامس الا وقد بنيت الحلة على يد سيف الدولة صدقه الملقب بملك العرب وسكنها بعد ان كان يسكن اهله الخيام العربية. (٢)

(١) الفاسي ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢) شوقي ، ضيف ، مرجع سابق ، ص ١٧ - ١٩ .

وأما اليمن فقد دخل القرن الخامس الهجرى ويحكم اليمن دولة بنى زياد . ويتولى أمر عدن وصنعاء بنو يعفر وصعده الرسيون . وما أن حل عام ٤١٢ هـ حتى زالت دولة بنى زياد وقامت دولة بنى نجاح نسبة الى مؤسسها نجاح الحبشى والذى دانت له اليمن حتى عام ٤٥٢ هـ حيث انتزع زبيد الملك الصليحي فى تلك السنة المذكورة . وفى عام ٤٥٤ هـ استولى على صنعاء من اليعفرين ، وفى عام ٤٥٩ هـ خلفه ابنه المكرم الذى اتخذ جبيلة عاصمة له ، وعندما أصيب بمرض الفالج جعل شئون الدولة بيد زوجته الملكة أروى ، وفى العقد الأخير من القرن الخامس عام ٤٩١ هـ بدأت بعض القبائل تهاجم الملكة الحرة حتى استولى بنو حاتم الهمدانيون على صنعاء عام ٤٩٢ هـ وظلت تحت سلطتهم حتى عام ٥٠٢ هـ . (١)

وبالنسبة لحضرموت الواقعة فى جنوب الجزيرة على بحر العرب فهى منطقة جبلية كانت فى بداية القرن الخامس الهجرى تحت حكم بنى زياد فى اليمن ، ولم تهدأ الثورات فيها لوجود الخوارج بها فهم يشكلسون الاغلبية والذين ينتصرون فى الاستقلال بحضرموت فى القرن الخامس على يد ابي اسحق الحضرمى الخارجى الذى استطاع أن يرد الصليحي عنها ويتولى شئونها بنفسه . (٢)

وتبقى عمان فى القرن الخامس الهجرى خاضعة لحكم بنى مكرم وهم شيعة امامية ، كانوا قد استولوا عليها بمساعدة البويهيين

(١) نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٦ - ٢٧ .

في العقد الاخير من القرن الرابع الهجري عن طريق السفن من الخليج العربي، وطردها الخوارج حول الجبال في نزوى، وأخذ الاخيريون بتولية أئمة منهم في حين أن الشيعة خطبوا لبنى العباس وأهـم أئمة الخوارج الخليل بن شاذان. وظلت عمان في أيدي بنى مكرم حتى عام ٤٤٢هـ ثم بدأ حكمهم في الزوال بسبب تدخل النساء والمبيد في الحكم مما مكن الخوارج من الاستيلاء عليها وبقيت تحت حكمهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري. (١)

والبحرين في تلك الآونة كانت تشمل منطقة الاحساء والقطيف وهجر والبحرين الحالية واقليم قطر.

ومنذ عام ٣٩٨هـ خضعت هذه المناطق للاصغر بن أبي الحسن الثعلبي، وكان يخطب للخليفة الطائع العباسي وقابل نزاعات بنى ثعلب مع بنى عقيل، وحاول الاستيلاء على الموصل، ولكن صده بنى عقيل عام ٤٣٨هـ وبقي الحكم في ابناؤه حتى عام ٤٦٦هـ حيث تلاشت تلك الدولة لتحل محلها دولة بنى العيونى، وذلك بمساعدة ملكشاه السلجوقي الذى عمل على القضاء على دعوة القرامطة وتوفى سنة ٥٠٠هـ (٢)

الاضاع السياسية في بلاد العراق في القرن الخامس الهجري :

الى شمال هضبة ايران يقع اقليم الديلم الذى تنحدر منه الأسرة البويهية. (٢) حيث يقع في الجنوب الغربى من بحر قزوين. (٤)

(١) شوقى ضيف، مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩ .

(٢) نفس المرجع، ص ٣٠-٣٢ .

(٣) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام، ط ٣ . بيروت : دار الفكر

١٣٩٩ هـ ص ٣١٧ .

(٤) محمد حسين الزبيدي : العراق في العصر البويهى، القاهرة : دار

النهضة العربية، ١٩٦٩ م، ص ٢٩ .

وشعب هذا الاقليم محبا للقتال وتميزه القوة والقسوة أيضا. (١)
وهو من آخر شعوب الشرق التي اعتنقت الاسلام. وحدث ان لجأ بعض
من افراد البيت العلوي الى ذلك الاقليم خوفا من ملاحقة العباسيين
لهم. (٢)

وحاول هذا الاقليم العمل على استقلاله عن الخلافة العباسية
وبعد ذلك أخذ نفوذه يظهر على العراق وايران ولم يتم ذلك الا في
عهد البويهيين، فلقد أبدى أبناء بويه أثناء خدمتهم لدى مرداويج
بن زيار مؤسس الدولة الزيادية شجاعة وتفوق في القتال وهم على
والحسن، وأحمد، فأولى مرداويج على بن بويه بلاد الكرج (٣) الواقعة
بين همدان وأصفهان. (٤) وقد أظهر كفاءة ومقدرة في ادارة تلك
البلاد واحسن معاملة أهلها فأحببه الناس ومالوا اليه. وبعد مقتل
مرداويج سنة ٣٢٣ هـ استولى الحسن بن بويه على اصفهان والسري
وهمدان، ودخل احمد بن بويه الأهواز سنة ٣٢٦ هـ. وتأسست بذلك
الدولة البويهية فعليا في المشرق الاسلامي، وظلت هذه الدولة تحاول
مد سيطرتها على املك الخلافة العباسية في العراق ومن ثم السيطرة
على العاصمة بغداد. (٥)

وبعد أن اضطرب الوضع في عهد الخليفة المستكفي بالله قام قادة
بغداد بالكتابة الى احمد بن بويه في مقر الأهواز طالبين منه المجيء
الى بغداد فدخلها عام ٣٣٤ هـ دون أي عناء يذكر.

(١) سهيل زكار، المرجع السابق، ص ٣١٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٣١٨.

(٣) المرجع السابق،

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، بيروت: دار صادر،

دار بيروت، ١٤٠٤ هـ ص ٤٤٦.

(٥) سهيل زكار، المرجع السابق، ص ٣١٨.

وما كان من الخليفة العباسي الا أن استقبله واحتفى به ومنحه لقب معز الدولة وجعله أمير الأمراء (١) كما خلع على اخيه الحسن صاحب اصبهان والري وهمدان لقب ركن الدولة وعلى بن بويه لقب عماد الدولة (٢) وبعد أن استتب الأمر لمعز الدولة في بغداد أخذ يستأثر بالسلطة وكان استئثاره متمثلاً بالدرجة الاولى في اعتقاله للخليفة العباسي وخلعه من منصبه وما الحق به من اهانة وسجن (٣).

وظل المستكفي بالله معتقلاً حتى توفي سنة ٣٣٨ هـ (٤).
لقد ضعف مركز الخلافة بعد دخول البويهيين بغداد، وينقل لنا حسن ابراهيم حسن عبارة توماس ارنولد عن الحالة التي أصبح عليها الخلفاء العباسيون في عهد بني بويه : فيقول :

" أصبح الخلفاء في عهد بني بويه لاقية لهم في الوقت الذي غدا فيه غيرهم اكثر قسوة ونفوزاً، وأصبحوا يديرون العالم الاسلامي من غير ان يشيروا أو يحفلوا بمن يدعى أمير المؤمنين بل لقد أصبحوا العوة في ايدي سلاطين بني بويه يجلسونهم على العرش ويعزلونهم متى شاءوا وشاءت أهواؤهم " (٥).

-
- (١) محمد حسين الزيدى، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣ .
(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج ٣ ص ١٠٤ .
(٣) سهيل زكار ، مرجع سابق، ص ٣١٩ .
(٤) ابن الاثير، مرجع سابق، ج ٨ ص ٤٥١ .
(٥) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص ٣، ص ٢٤٩ .

ويقول ابن الاثير في ذلك :

"وزاد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق لهم من الأمر شيء"
الته، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل
والحرمة قائمة بعض الشيء، فلما كان أيام معز
الدولة زال ذلك جميعه بحيث ان الخليفة لم
يبقى له وزير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر
لنفسه من يريد" (١)

ومن بين الأسباب التي يذكرها ابن الاثير عن سوء معاملة البويهيين
للخليفة العباسي تعصبهم للشيعة، فهم يعتقدون أن العباسيين قد
غصبوا الخلافة من مستحقها، ولقد كان معز الدولة شيعيا متعصبا، وقد
كان يعمل على اقامة خلافة شيعية في بغداد حيث يجعل الخلافة في
أيدي العلويين، ولكنه عدل عن هذه الفكرة عندما شعر أنها قد تهدد
حكمه في المستقبل كما كان بإمكانه الاعتراف بالخليفة الفاطمي في مصر
ولكن هذا يعنى خضوع البويهيين للدولة الفاطمية، فقام باختيار خليفة
عباسي لمنصب الخلافة وهو ابو الفضل المقتدر فلقبه بلقب المطيع لله
وسلب منه كل صلاحيات الخليفة وقرر له مايكفيه على العيش فقط لله
ولموظفيه. (٢)

وقد جاء في كتاب سهيل زكار:

"وقد عين معز الدولة ابنه عز الدولة بختيار ليخلفه
في منصبه بعد وفاته حيث توفي عز الدولة
عام ٣٥٦ هـ وأوصاه بأن يعمل بمشورة عمه ركن
الدولة وابن عمه عضد الدولة حاكم فارس ولكنه
لم يعمل بوصية والده بل استغرق في اللهو
والمجون، هذا بالاضافة الى تخليه عن عدد من
كبار قادة الديلم، وقام بتجنيد عدد من

(١) ابن الاثير، مرجع سابق ج ٨ ص ٤٥٢

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥١ - ٤٥٢

من العناصر التركية في الجيش . وبذلك أصبح

الصراع ناشبا بين عناصر الديلم والترك" (١)

عندئذ قام ابن عمه عضد الدولة متجها الى بغداد عام ٣٦٢ هـ
فحارب عز الدولة وانتصر عليه وأخذ بغداد وبذلك صفا الجو لعضد
الدولة في العراق

"وقد بلغ من علو شأنه أن الخليفة العباسي

الطائع لله خلع على عضد الدولة السلطنة

وتوجه ^{بشاه} بفتح سيفه وعقد له اللواء الأبيض الذي

جرت العادة بمنحه لامراء الجيوش واللواء

المذهب الخاص بولاية اليهود . (٢)

ولكن سرعان ما تغيرت الاحوال بين الخليفة العباسي وعضد الدولة
البويهى حيث أمر الأخير بحذف اسم الخليفة من خطبة الجمعة لمدة
شهرين وقام بالدعوة لاسمه فى خطبة الجمعة ببغداد ، وهذا من أهم
اختصاصات الخليفة التى لا يجب أن تصرف لسواه . (٣)

ولقد بلغ عضد الدولة من سعة ملكه ما لم يبلغه احد من أمراء
بنى بويه ، فلقد جمع مملكة البويهيين وضم الى ذلك الموصل وبلاد
الجزيرة وغير ذلك . (٤) فشمس سلطانه بغداد ، وكرمان ، وفارس ، وعمان
وخوزستان ، والموصل ، وديار بكر ، وحران ، ومنبج . (٥)

(١) سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠

(٢) محمد حسن الزبيدي ، مرجع سابق ، ص ٣٩٠

(٣) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ج ٣ ص ٤٧٠

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٤ بيروت : دار صادر د . ت ص ٥١

(٥) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج ٣ ص ٤٨٠

وفى خضم نفوذ هذا السلطان كان للخليفة حق تفويض امراء الأقاليم حكم البلاد، وكان لهذا التفويض أهمية كبيرة لجعل الامير مقبولا لدى المسلمين من الناحية الشرعية. (١)

توفى عضد الدولة فى الثامن من شهر شوال سنة ٣٧٢هـ وقد استمرت ولايته خمس سنين ونصف السنة ويهدف توطيد دعائم سلطانه نشر العدل وشجع العلماء والادباء وعنى بالعمران، وبعد وفاة عضد الدولة خلفه ابنه الصمصام ولكن أخاه شرف الدولة لم يلبث أن عزله وتولى الحكم نحواً من اربع سنين. (٢) فعضد الدولة وشرف الدولة شجعا الروح الأدبية واحيا مدرسة بغداد التى كانت قد أصابها الاهمال أثناء الثورات التى قامت فى وجه الخلافة. (٣)

وبعد وفاة شرف الدولة خلفه ابنه بهاء الدولة عام ٣٧٩هـ وتوفى بهاء الدولة فى مطلع القرن الخامس الهجرى ٤٠٣هـ . وبوفاته دب النزاع والصراع بين البويهيين وأخذ حكمهم فى التلاشى حتى زال عندما دخل السلاجقة بغداد عام ٤٤٧هـ . فلقد تركز اهتمام البويهيين على تنمية اقتصاد العراق وغيره من الاقاليم بحجة احتياج الدولة لمزيد من الاموال، فاقطعت العسكريين الاراضى لزراعتها ما أدى الى ما يسمى بالاقطاع العسكرى . وتبعه مايتبع كنسب اقطاع من تحكم فى الاراضى والاقطاع العسكرى أخطر أنواع الاقطاع.

(١) محمد حسين الزبيدى، مرجع سابق، ص ٤٣ .

(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص ٤٩ .

(٣) سيد امير على : مختصر تاريخ العرب، ط ٤، بيروت: دار العلم

للملايين ١٩٨١م، ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

، فقد سبب انصراف هؤلاء عن مهنتهم الاصلية بالاضافة الى
استغلالهم لكل موارد الأرض بالقوة والسطوة مما أضعف النظام السياسى
والاقتصادى معا . (١)

الدولة السلجوقية :

يقسم بعض المؤرخين العصر السلجوقى الى عصرين :
العصر السلجوقى الاول ٤٢٩ - ٤٨٥ ويمتد من ظهور طغرليك الى وفاة
ملكشاه . والعصر السلجوقى الثانى عصر سنجر واخوته ٤٨٥ - ٥٥٢ هـ . (٢)
ينتسب السلاجقة الى سلجوق أحد زعماء الاترك وكان السلاجقة يسكنون
بلاد ماوراء النهر فى مكان يبعد عن بخارى ثمانين ميلا ، واجتاحوا
اعدادهم الهائلة الجزء الشمالى والشرقى من بلاد فارس . (٣)
وكان العرب يدعون هذه القبائل التركية بالفز أو التركمان وقد
ازدادت اعدادهم فى خراسان أثناء حكم السلطان محمود الفزنوى لها .
وقد قامت صراعات متعددة بين السلاجقة والفزنويين على أثر تفجّر
الازمة بينهما فى عهد السلطان مسعود بن محمد الفزنوى وتزايد
مشكلاتهم . (٤)

(١) سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ج٤ . مقدمة الكتاب ص ج .

(٣) المرجع السابق ، ص ١ .

(٤) سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧ .

وأخذت هجرة السلاجقة تزداد الى بلاد خراسان حتى استطاعوا
بزعامه طغرليک بن میکائيل بن سلجوق انتزاع اقليم خراسان كله من
أيدي الغزنويين، وفي سنة ٤٢٩ هـ استولوا على طوس وقيل الري. وبعدها
بقليل ملكوا نيسابور إحدى قواعد اقليم خراسان، وكان ذلك بزعامه
طغرليک. (١)

وتوالت انتصارات السلاجقة، ونتيجة لكل هذه الانتصارات المتلاحقة
أصبحت الدولة السلجوقية أكبر قوة عسكرية في المشرق الاسلامي، مما
اطمع طغرليک في فتح العراق وقرر المسير اليها بنفسه وأخذ من
مدينة الري عاصمة له، وكتب في سنة ٤٣٢ هـ، رسالة الى الخليفة
العباسي في بغداد القائم بأمر الله أظهر فيها ولاء السلاجقة له
وحبهم للجهاد في سبيل الله، طالبا من الخليفة اعترافا بشرعية دولته. (٢)

وبعد أن سيطر طغرليک على ايران بأكملها سنة ٤٤٦ هـ أخذ يوجه
اهتمامه لدخول بغداد بعد أن تداعى حكم آل بويه هناك على أثر
الفتن والمنازعات والثورات في صفوف الجند وبعد أن عجزت عن تأمين
الأمن للرعية، فدخلت جيوشه بغداد في سنة ٤٤٧ هـ وقبل ان يقوم
طغرليک بتدعيم اركان الدولة السلجوقية حدث انشقاق في صفوف السلاجقة
تطلب منه السرعة في الانسحاب من بغداد لمواجهة ثورة أخيه ابراهيم
وقد انتهز البساسيري القائد

(١) ابن خلکان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٦٥-٦٦.

(٢) مرزین سعيد مرزین: الحياة العلمية في العراق في العصر

السلجوقي، مكة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٧ هـ، ص ٨٨.

التركي البويهى تلك الفرصة فاستولى على بغداد عام ٤٥٠ هـ وقتل وزير الخليفة العباسى وسجن الخليفة نفسه معلنا انتهاء الخلافة العباسية وداعيا للخليفة الفاطمى ودام ذلك عام واحد عاد بعده طغرلىك بقواته فهزم البساسيرى وقتله واعاد الخليفة العباسى للخلافة وانصرف يدعم ويثبت اسس الدولة السلجوقية. (١)

ويرى بعض المؤرخين المعاصرين بأنه حيث ان السلاجقة سنة فقد مالوا الى التعصب فى نشر مذهبهم فحل التعصب محال التسامح الدينى. (٢) بينما يرى البعض الآخر أن الفضل يرجع الى السلاجقة فى تجديد قوة الاسلام واعادة تكوين وحدته السياسية. (٣) ثم عاد السلطان طغرلىك الى بغداد وحضر لدى الخليفة فكرمه احسن تكريم وتوجه وقلده سيفاً من ذهب. (٤) ولقبه بملك المشرق والمغرب. (٥)

”وكان طغرلىك حليماً كريماً محافظاً على الصلوات الخمسة فى أوقاتها جماعة، وكان يصوم الاثنين والخميس، ويكثر الصدقات ويبنى المساجد. (٦)

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ١١-١٧.

(٢) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ١.

(٤) الفتح بن على: تاريخ دولة سلجوق، ط٣، بيروت، دار الآفاق

الجديدة، ١٤٠٠ هـ، ص ١٦-١٧.

(٥) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج٤، ص ١٨.

(٦) ابن خلكان، مرجع سابق، ج٥، ص ٦٦.

توفي طغرليک في يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ٤٥٥ هـ
بالري فاضطرب بهلكه الملك، ودفن في العاصمة التي اختارها لحكمه
قبل دخوله بغداد وهي مدينة الري. (١)

وبعد وفاة طغرليک خلفه ابن اخيه ألب أرسلان وبعد هذا أعظم
سلاطين السلاجقة على الاطلاق. (٢) فقد أرسى قواعد الدولة السلجوقية
بدرجة أقوى مما كانت عليه، وفي عهده واجه السلاجقة امبراطورية الروم
وحققوا الانتصارات العظيمة عليها، وقد قاد ألب أرسلان جيشا عظيما
اتجه به صوب حلب للسيطرة على بلاد الشام وذلك في سنة ٤٦٢ هـ
ولكنه لم يوفق في هذه المرة فتوجه شرقا الى خراسان، وعند عودته
نعى الى سمعه ان امبراطور الروم جهز جيشا عظيما يريد به أن يفلق
طرق أرمنية لمنع التركمان من دخول الاراضي البيزنطية، فحقق ألب
أرسلان انتصارا عظيما على هذا الجيش حيث وقع الامبراطور الروماني
اسيرا لدى السلاجقة في هذه المعركة وعلى اثر ذلك تمكن التركمان من
الهجرة الى آسيا الصغرى وبلاد الشام. (٣)

ثم سار ألب أرسلان بجيش كبير تكون من مائتي الف مقاتل قاصدا
بلاد ما وراء النهر فعقد جسرا على نهر جيحون ليعبر عليه هذا
الجيش، وكان السلطان يطمع فيما يبدو في الوصول الى أقاصي بلاد
الصين ولكنه لقي مصرعه في تلك السنة وحمل جثته الى مرو ودفن

(١) الفتح بن علي، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٣) نفس المرجع

بجوار ابيه وكان له من العمر اربعون سنة، وخلقه ابنه ملكشاه فى السلطنة . (١)

" وكان ألب ارسلان كريما عاقلا يتصدق على الفقراء ويكثر الصدقة . ولم يكن فى جميع بلاده جنائية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم . " (٢)

" كان السلطان ألب ارسلان قد أخذ بيناه المدرسة النظامية فى بغداد سنة ٤٥٧ هـ . " (٣)
وقد تابع ولى عهده ملكشاه عملية البناء لبدأ بذلك عهد جديد يميز القرن الخامس الهجرى ويجعله عصر المدارس الاسلامية .

وملكشاه ولد فى التاسع من جمادى الاولى سنة سبع واربعين واربعمئة . (٤) واجه ملكشاه اضطرابات عنيفة على اطراف الدولة فتغلب عليها ومعه وزيره نظام الملك . وقد بقى القائم بالله خليفة مدة اربع واربعين سنة وثمانية أشهر، فقد توفى فى عهد خلافته عدد من العلماء والادباء مثل : الماوردى ، وابن سينا ، وابن حزم الظاهري والخطيب البغدادي صاحب كتاب " تاريخ بغداد " . (٥)

وفى عهد ملكشاه كانت الدولة السلجوقية فى غاية اتساعها فامتدادها شمل اقليم ماوراء النهر شرقا ، والبحر الابيض المتوسط وآسيا الصغرى غربا . (٦)

(١) ابن الاثير، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٧٣-٧٤ .

(٢) نفس المرجع، ص ٧٤-٧٥ .

(٣) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص ٢١ .

(٤) ابن خلكان، مرجع سابق، ص ٢٨٨ .

(٥) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٥-٣٧ .

(٦) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣٢ .

وفى أواخر عهد ملكشاه بدأ الخلاف بينه وبين وزيره نظام الملك
والذى تمخض عن اغتيال نظام الملك فى رمضان سنة ٤٨٥هـ كما كان
فى آخر أيامه يحاول إبعاد الخليفة العباسى إلى مكة أو المدينة ولكن
أدركته الوفاة بعد نظام الملك بإيام وجيزة. (١)

وفاته عام ٤٨٥هـ انتهى العصر السلجوقى الأول

والذى كان يسمى العصر الذهبى للدولة

السلجوقية وبعضهم يسميه عصر نظام الملك. (٢)

وبوفاة ملكشاه تعرضت الدولة السلجوقية للانقسام وكان للبيت السلجوقى
اليد الطولى فى ذلك حيث قامت الصراعات الداخلية بينهم على
خلافة السلطنة السلجوقية وذب الضعف فى صفوف الجيش السلجوقى
فقد كان لملكشاه عدد من الأولاد كان التنافس على أشده بين ابنه
الأكبر بروكياروق ومعه اتباع نظام الملك، وبين ابنه الأصغر محمود فأستغل
تتش أخو ملكشاه وحاكم دمشق ذلك النزاع لصالحه فقام معلنا نفسه
سلطانا للدولة السلجوقية. (٣)

وبدأ تتش يخطط للاستيلاء على كل أقاليم الدولة السلجوقية ثم
أخذ يوالى زحفه على مناطق السلطنة فحالفه النصر حتى عام ٤٨٨هـ
حيث قتل فى معركة دارت بينه وبين ابن أخيه بركياروق وحمل رأسه
إلى بغداد. (٤)

وأصبحت السلطنة لبركياروق حتى توفى سنة ٤٩٨هـ وكان عهده

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(٢) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٣.

(٣) سهيل زكار، المرجع السابق، ص ٣٣٣.

(٤) على محمد على عوده الغامدى، مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠٨.

عهد صراعات داخلية عملت على اضعاف شأن الدولة اقتصاديا وعسكريا مما أتاح الفرصة للصليبيين من دخول بلاد الشام واستيلائهم على كثير من اراضيها، ثم انتقل منصب السلطنة من بعده لأخيه محمد طبر والذي اشتغل ايضا بالمشكلات الداخلية وأهمها مشكلة الحشاشين الفرقة الاسماعيلية التي أسسها حسن الصباح والتي أخذت تمارس نشاطها بالاستيلاء على الحصون والقلاع والاغتيال السياسي، وقد حاول هذا السلطان مكافحة هذه الفرقة الخطيرة ولكن يظهر أنه لم يستطع ابادتها وتوفي هذا السلطان في عام ٥١١هـ. (١)

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣٣-٣٣٥.

- الأوضاع السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري :

ان حدود بلاد الشام جغرافيا هي : من الشرق الفرات ومــــن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب البحر الأحمر وعريش مصر، ومــــن الشمال الثغور مع بيزنطة، وهذه الثغور طرسوس في تركيا اليوم. (١)

ومنذ القرن الخامس الهجري أصبح يطلق على القسم الشمالي كله الشام وعلى القسم الجنوبي كله الشام الأعلى. (٢)

لقد خضعت سواحل شمال بلاد الشام وكذلك سواحل شمال غرب الشام في القرن الرابع الهجري لحكم البيزنطيين على أثر النزاعات المتكررة بينهم وبين سيف الدولة الحمداني في حلب. (٣) ولكن الجــــزء الجنوبي قد خضع للفاطميين منذ بداية القرن الخامس الهجري. وقد واجه الفاطميون عقبات متعددة كانت سببا في عدم استيلائهم على شمال بلاد الشام تمثلت في بعد المسافة بين مصر وشمال الشام أضف الى ذلك عدم قدرة القوات الفاطمية سواء كان من الناحية المالية أو العسكرية للدخول مع بيزنطة في معركة تنتزع فيها تلك الأقاليم من أيديهم بل ان بيزنطة كان يرضيها وجود حائل بينها وبين حدود الدولة الفاطمية مثلا في دولة الحمدانيين في حلب. والتي زالت عام ٤٠٦ هـ ليحكم حلب عزيز الدولة فاتك منذ عام ٤٠٧ هـ وحتى

(١) سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ط٢ بيروت دار

الفكر، ١٩٧٥ م، ص ٦٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٨.

(٣) محمد كرد علي : خطط الشام، ج١ دمشق : المطبعة الحديثة

١٣٤٣ هـ ، ص ٢٤٩.

عسام ٤١١ هـ حيث استردها الفاطميون (١)

وهناك عقبة كبرى واجهت النظام الفاطمي تمثلت في شدة كراهية الشاميين انفسهم للحكم الفاطمي فهم يبغضون سياسة القاطمين ففى شتى الأنظمة السياسية والاقتصادية والادارية. (٢) ومن منطلق ذلك تحالفت ثلاث قبائل من عرب الشام هم بنو الجراح الطائيين ومعهم قبيلتا كلب وكلاب، وكان تحالفهم يرمى الى طرد الفاطميين من الشام كليها. وتم لهم ذلك، ولكن ما ان حل عام ٤١٩ هـ الا واستردت الدولة الفاطمية سيطرتها على الشام حيث هزمت الحلفاء وعاد لها الجنوب وسواحله التى تشكل طرابلس، وصور، وصيدا، وعكا، مع حامية دمشق وفلسطين ولم تستطع السيطرة على الشمال. وهكذا بقى الوضع حتى بدأ ضعف الدولة الفاطمية وانحسارها فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (٣) وكان من نتائج ذلك الضعف قيام دول متعددة داخل الشام وهى: دولة فصي صور تولى أمرها القاضى بن أبى عقيل ودام حكمهم حتى عام ٤٨٢ هـ وكذلك دولة بنى عمار فى طرابلس من عام ٤٦٠-٤٩٢ هـ ودولة بنى مرداس من ٤١٥-٤٧٢ هـ والعقيلي بالجزيرة وشمال الشام من عام ٤٥٣-٤٧٨ هـ وبنى منقذ فى شيزر من عمام ٤٧٤-٤٩١ هـ وخلف بن ملاعب بامارة حمص وأفامية من سنة ٤٦٦-٤٩١ هـ. (٤)

(١) هـ على محمد على الغامدى، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق،

ص ٧٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٧٠-٧١.

(٤) على محمد على الغامدى، المرجع السابق، ص ٢٠٩.

ان عهد الحاكم الفاطمي كان عهدا مقرونا بالفتن والقلاقل والفزوات
ما أدى الى تشتت الأفكار وتمزق الآراء، وهذا بدوره أدى الى عدم
وجود الاستقرار وسيادة الأمن في شتى النواحي وذلك لتواجد أجواء
الصراع على السلطة والحكم دون أن يعبأ اصحابها بنتائج الانقسام
للبلد الواحد، ولم تخضع الشام كلها للحكم الفاطمي أبدا فنجس
جزءا يوالي وجزءا ينفصل وهكذا، زد على هذا أنه لم تكن نوعية الولاة
من قبل الفاطميين ذات رحمة وعقل راجح بل امتازوا بالظلم وحسب
الاموال والقتل وزاد الوضع تدهورا في عهد الحاكم الفاطمي (١) فقد
كان عهده في نهاية القرن الرابع الهجري مقرونا بالقلاقل والفتن وسوء
السياسة بين المسلمين.

وكذلك امتاز عهده في القرن الخامس الهجري (أي الأحد عشر
عاما) التي قضاها في الحكم من ذلك القرن باستخدامه العنف لجميع
الاديان (٢).

وحكم الظاهر الفاطمي من عام ٤١١-٤٢٧ هـ (٤) وفي عام ٤٢٧ هـ تولى
ابنه المستنصر وظل ستين سنة وأربعة أشهر، ظل الشطر الاول من
عهده متدا فيه سلطان الفاطميين على بلاد الشام وفلسطين والحجاز
وصقلية وشمال افريقية ويخطب له على منابرهما (٥) بل قطعت خطبة

(١) محمد كرد علي : مرجع سابق ، ص ٢٦١ = ٢٦٢ .

(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٩٤ .

(٤) نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٥) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٧ .

ال خليفة العباسي ببغداد على يد البساسيري ودعي على منابرها للخليفة
المستنصر الفاطمي لمدة سنة، وكذلك في اليمن فقد دعي الصليحي
للمستنصر بعد الخطبة. (١) ومنذ بداية القرن الخامس وخاصة العقدين
الأولين منه تعاقب على حكم دمشق سبعة عشر واليا من قبل الفاطميين. (٢)
ثم أخذ نفوذ الفاطميين يتدهور، وما أن جاء عام ٤٣٣ هـ إلا وظهر ذلك
التدهور جليا بحكم ضعف اقتصاديات مصر في تلك الفترة، فتعاقب على
حكم دمشق ووسط الشام من قبل الفاطميين ثلاثة عشر واليا انتهت
بتولي بدر الجمالي سنة ٤٥٥ هـ الحكم فيها، وتولاه أيضا في عام ٤٥٨ هـ
ولكنه لم يوفق في قض النزاع بين القوى المتنازعة داخل دمشق نفسها
وانتهى به الأمر للذهاب الى عكا سنة ٤٦٠ هـ وكان حاكما عليها حتى
عام ٤٦٦ هـ. وقد اشتعلت النيران في بعض أماكن دمشق ووصلت النار
الى المسجد الأموي ودمر من جميع الجوانب (٣) وظلت دمشق تحت
حكم ابن منزو من قبل الفاطميين بعد هرب بدر الجمالي حتى سنة
٤٦٧ هـ حيث هرب وقتل في مصر وتولاها المصمودي عام ٤٦٨ هـ ونفى
نفس العام سقطت في يد أتسز وقد أدى حكمه الى تدهور في الاقتصاد
وفقر شديد في دمشق وجنوب الشام نتيجة سياسته التعسفية وسوء
ادارته. (٤)

وما أن جاء عام ٤٧١ هـ حتى سير بدر الجمالي الوزير الفاطمي
جيشا عظيما استرد به أعمال فلسطين الى سلطة الفاطميين فاستنجد
اتسز بتتس فتسلم هذا الاخير مدينة دمشق عام ٤٧٢ هـ وقتل اتسز كما ذكرنا

(١) ابن خلكان: المرجع السابق، ج ٥ ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) علي محمد علي الفامدي، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٨١ - ٨٣.

(٤) نفس المرجع، ص ١٥٠ - ١٥٦.

سابقا . (١)

واستقلت طرابلس عن الحكم الفاطمي على يد القاضي أمين الدولة بن عمار سنة ٤٦٢ هـ وهي نفس السنة التي أعلنت فيها دمشق وصور وفلسطين استقلالها ما زاد في تدهور سلطة الدولة الفاطمية على بلاد الشام ولم يبق مع الفاطميين سوى عكا وصيدا، وفي عهد امين الدولة هذا زادت الاضطرابات في بلاد الشام ولكنه اتبع سياسة حيادية بين المعسكرين الفاطمي والسلجوقي ما أدى الى نجاح في استقلال طرابلس. وفي عام ٤٦٤ هـ خلفه جلال الملك على بن عمار الذي دام حكمه ثلاثون عاما كانت فيها بلاد الشام ملتقى اضطرابات سياسية وهذا يدل على قوة احتمال الرجل وحسن سياسته ولم يكتفي بذلك بل عمل على توسيع رقعة امارته فيضم جبلة الى أملاكه عام ٤٧٣ هـ وتظل تحت سيطرتهم حتى عام ٤٩٤ هـ فخلفه أخوه فخر الملك، واشتكى اهل جبلة من حكم اتابك دمشق وما كان منه الاتجهيز حملة قبضت على اتابك دمشق وأتت به الى طرابلس . وعلى ذلك أصبحت أمارته تشمل جبلة وأنطوطوس عام ٤٩٥ هـ ، وعرقه . ولكن في عام ٥٠١ هـ حدث انقلاب داخلي في طرابلس اطاح بحكم فخر الملك فبقي معه حكم جبلة التي سقطت في ايدي الصليبيين عام ٥٠٢ هـ بالامان وذلك بعد سقوط طرابلس في ايديهم بأحد عشر يوما . (٢)

أما مدينة صور التي كانت تحت حكم القاضي عين الدولة ابن ابي عقيل فقد توجه اليها في سنة ٤٦٢ هـ امير الجيوش من مصر في حملة

(١) علي محمد علي الغامدي، مرجع سابق، ص ١٦٣-١٦٥ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي .

الاشكدرية : مطابع رمسيس - ١٩٦٧ م ص ٦٦-٧٦ .

كبيرة وحاصر مدينة صيدا وهي ليدر أمير الجيوش ، فرحل هذا عن صور وعاد الاتراك فما ليث بدر أن عاد وحاصر صور برا وبحرا حتى قيل ان الناس أكلت الخبز كل رطل بنصف دينار، ولم يبلغ غرضه ——— الاستيلاء عليها فرحل عنها. (١) وحيث ان ضعف الدولة الفاطمية بدأ منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري يظهر بوضوح فنجد على أثره ظهور طمع السلاجقة في الاستيلاء على حلب ودمشق فأعلن أمير حلب المرداس في عام ٤٦٢ هـ ولائه للسلاجقة (٢) وما أن جاء عام ٤٧١ هـ حتى تمكن هؤلاء من دخول دمشق والاستيلاء عليها وقبلها تم الاستيلاء على الرملة وبيت المقدس وبقيت في يد السلاجقة حتى نشب القتال بين ولدي تتش فانتهز الوزير الفاطمي تلك الفرصة لاسترجاع النفوذ الفاطمي على الشام فاستولى عام ٤٨٣ هـ على بيت المقدس. (٣)

وعند بداية العقد الأخير من القرن الخامس الهجري بدأت جموع الفرنجة تزحف الى بلاد الشام مستهلة حملاتها الصليبية على انطاكية (٤) وما يورده التاريخ العام عن حجاج النصارى يقوم على أن اهدافهم تكن في الاستيلاء على بيت المقدس من منطلق شعور ديني قوي حيث يرون أن الارض المقدسة لا بد أن تكون في حوزة النصارى ليرضى عنهم سيدهم المسيح حيث يعتقدون ان قبره يكمن هناك فهم لا يكتفون ان يؤدوا شعائهم الدينية بحرية وهذه الارض المباركة في حوزة المسلمين، بالإضافة لهذا فقد شاهد بعض هؤلاء النصارى عند زيارتهم الارض المقدسة معاملة سيئة في بيت المقدس، لم يعهدوها فـ

(١) ابن الاثير، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٠-٦١.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، المرجع السابق، ص ٦٣.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٦٤.

(٤) سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية مرجع سابق،

ادوار الحكومات العربية القوية واختفت ساحة العرب وحلت بدلا عنها
قسوة وجفاء التركمان، فقام هؤلاء بنقل اخبار ما شاهدوا من شدة فكان
نتيجتها قيام الحملة الصليبية الاولى التي شد من ازرها الحماسة
الدينية في شعوب النصارى في تلك الآونة تلك الحماسة التي صنعها
رجال الكنيسة المتحكمين في مجريات الامور آنذاك. هذا الى جانب
قيام المحاربون الاثراك والذين اصبح بيت المقدس في حوزتهم منذ عام
٤٦٩ هـ بعد تداعى الحكم العربي آنذاك. كل هذه التغيرات ففى
مجموعها كانت عاملا خفيا قويا للندن التجارية فى البحر المتوسط فقد
تؤدي الى اغلاق الاثراك اسواق المشرق أمام اوروبا لاختلال العلاقات
بين آسيا وأوروبا. (١)

وكانت بيت المقدس منذ عام ٤٩١ هـ فى يد الفاطميين وكانوا هم
والصليبيون حلفاء ضد السلاجقة، وعندما وصلها الصليبيون حاصروها
اكثر من اربعين يوما ودخلوها سنة ٤٩٢ هـ وقتلوا جميع أهل المدينة
فى خلال اسبوع، ونهبوا ما فى الصخرة من قناديل الذهب والفضة
وأصبح جودفروي ملكا على بيت المقدس، وبعد وفاته فى العام التالى
تولاها اخوه بلدوين وهذا مر بالرها وانطاكية، واللاذقية ثم طرابلس
فاكرمه أميرها ورحل عنها، واستعان أميرها بن عمار بحاكم دمشق سنة
٤٩٥ هـ فأرسل جيشا انضم له جيش حمص التى تحت حكم جناح الدولة
حسين اتابك. فهب الموارنة سكان طرابلس يساعدون الصليبيين ورغم
ذلك أحسوا بمناعة المدينة فلم يدخلوها ثم عادوا حصارهم بها
بعد ان بنوا حصنا مرايى لسكنى الجنود.

(١) محمد كرد على، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٨٩.

ولكن قام فخر الملك بفجارة مباغته أحرق فيها الحصن ونهب قواته مافيه من السلاح والمال ، ومات قائدهم على أثر حروق شديدة. (١)

أخذ الصليبيون يقومون بأعمال التخريب والقتل في البلاد التي يدخلونها ، فنجدهم يحرقون كتب تلك الامصار وامتعته وآثارها مما جعل الناس يفرون الى البراري ، وبعضهم قصد داخلية الشام وآخرون هربوا الى مصر في أسوأ حال . ودخل ماحول بيت المقدس من صور وعكا والرملة ويافا تحت حكم الفرنجة وذلك عام ٤٩٢ هـ . وأخذت بقية سواحل الشام تقاوم كطرابلس وبيروت واللاذقية حتى عام ٥٠٠ هـ بالاعتصام خلف الاسوار في منطقة ضيقة وأول مملك الفرنجة من هذه الارحاء الرها وما حولها من الحصون الفراتية ، ثم انطاكية والمرة ويمدُّ هرب التركمان بمثابة مزيدا لضعف قوادهم مما ممكن الفرنجة من الدخول والاستيلاء على المناطق ، فدخلوا حيفا وأرسوف بالامان وقيسارية بالسيف ، فنهبوا وقتلوا . أما جبلة فأستجد صاحبها بحاكم دمشق الذي قام بارسال ابنه لانقاذها ، فمالبت هذا الاخير أن ظلم أهلها الذين شكوه الى ابن عمار صاحب طرابلس ويقال أن الفرنجة استولوا على جبلة في تلك السنة. (٢)

وفي سنة ٤٩٧ هـ استولوا على جبيل بالامان ثم غدروا بهم ، وفي

(١) السيد عبدالعزيز سالم ، مرجع سابق ، ص ٨٤ - ١٠١ .

(٢) محمد كرد علي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

عام ٤٩٨ هـ قاومت حلب وطرابلس الفرنجة في أقوى فترة للاضطراب. (١)
وأما عن حلب فمنذ عام ٤١٥ هـ ظلت تحت حكم المرداسيين ولم
تستطع الخلافة العباسية ردها وكانت تقام الخطبة للفاطميين، وكانت
الرحبة تحت حوزتهم منذ عام ٣٩٩ هـ. وفي عام ٤٢٩ هـ قتل نصر بن
صالح بن مروان حاكم حلب ورجعت السيطرة الفاطمية لمدة أربع سنوات
ثم استردها أخوه شمال عام ٤٣٣ هـ وحتى عام ٤٤٨ هـ، ولكن امتداد
نفوذ الفاطميين في عهد البساسيري مكن هذا القائد من استلام حلب
من يد شمال بن مرداس سنة ٤٤٩ هـ ولكن ما حل عام ٤٥٢ هـ إلا وحلب
ردت للمرداسيين بزعامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس فأعادها
شمال إليه عام ٤٥٣ هـ. (٢) وفي عام ٤٧٢ هـ دخل مسلم بن قريش
حلب وانتهت دولة المرداسيين عام ٤٧٣ هـ. (٣) وقام مسلم بتحسين
أحوالها الاقتصادية التي تدهورت على أثر غزو التركمان لها. (٤)
وبعد مقتل مسلم بن قريش ضعف بنو عقيل على أثر دخول الأتراك
بلاد الشام وفقد علي بن مسلم بن قريش الموصل سنة ٤٨٩ هـ أمام
قوى الأتراك. (٥)

وأما عن إمارة بنو منقذ في شيزر فقد استقل بها ابن منقذ
عام ٤٧٤ هـ، ثم ان سياسة التسامح التي اتبعها ابن منقذ جعلت
أهالي الحصون المجاورة والخاضعة للبيزنطيين يدخلون تحت امرته وقد

(١) نفس المرجع، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) علي محمد علي عوده الغامدي، مرجع سابق ص ٢١١-٢١٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٨.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٤٠.

(٥) نفس المرجع، ص ٢٦٠-٢٦١.

انضم الى زعماء الشام الآخرين للتحالف مع تتش ضد اطماع مسلم بن قريش . وقد حكم نصر بن علي بن منقذ. شيزر حتى وفاته سنة ٤٩١ هـ فالت الى أخيه مجد الدين الذي سلمها لأخيه عز الدين . (١)

الحالة الاجتماعية في الجزيرة العربية :-

ومجتمع الجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري يتكون من عناصر عربية خالصة وهي التي تسكن البوادي وعناصر عربية اختلطت بأخسرى افريقية واسيوية، والغلبة للعنصر العربي فيها وكانت تسكن المدن والحوضر (٢) ومكة والمدينة من المدن الحجازية التي وفد اليها العديد من الاجناس عن طريق الهجرة اليها سواء من أجل الانقطاع للعبادة والتصوف أو بسبب البحث عن الرزق . ولكن بقية المدن الحجازية كالطائف وينبع لم تتعرض لذلك الخلط من الاجناس كما حدث لتلك المدينتين فالعنصر العربي هو السائد في تلك المدن . (٣)

وفي غالب هذا العهد كانت مكة والطائف وجدة وماحولها من قرى تابعة لأشراف مكة . والمدينة وينبع وما حولها تابعة لأشراف المدينة من آل المهنا كما ذكرنا ذلك عند الكلام عن الاوضاع السياسية لهذا الاقليم، ولكن التشابه قائم في الحياة الاجتماعية لهذا الاقليم، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فنظرا لكثرة المنازعات الداخلية في مكة فقد

(١) نفس المرجع، ص ٢٦٢ - ٢٧٠ .

(٢) شوقي، ضيف، مرجع سابق، ص ٣٤ .

(٣) ابن جبير: الرحلة، ط ٢ بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٦ م

انصرف أمراءها وساكنيها عن التوسع في العمران وأخذوا في الاهتمام ببناء القلاع للتحصن فيها وقت الحاجة وانعكس هذا على حياة السكان فقاموا من الجوع والقحط الكثير حتى أن في سنة ٤٤٢هـ أصبح سكانها ألفي نسمة حيث هاجر منها ما يقارب خمسة وثلاثين ألفاً ولقد أخذ أهلها بمظاهر الابهة الفاطمية نتيجة تأثرهم بها، وهذا أمر لم تعرفه مكة قبل ذلك العهد، وكذلك كانت حالة الأعيان والوزراء فظهرت وظائف إدارية جديدة. وزاد عدد الأعيان عن العيدين الشرعيين الفطري والاضحى. ورغم تعمس الحالة بصورة عامة إلا أن ملابس جديدة كالحرير والكتان أخذت تشق طريقها في الدخول إلى مكة عن طريق التجارة وكذلك الملابس المشاة بالقصب والعمام المزركشة، وكان حكام الفاطميين يخلعون خلعاً فخمة على الحكام والوزراء في مكة، وهذا بدوره انعكس على لباس العامة عن طريق التقليد. (١) أما نجد فهي عشائر بدوية تعتمد على رعي الأغنام والأبل في تلك الآونة. (٢)

ويقول ابن جبير عن نجد :

" ما أرى في المعمورة أرضاً أفسح بسيطا، ولا أوسع
أنفاً، ولا أطيب نسيماً، ولا أحسن هواءاً، ولا أحد استواءاً
ولا أصفى جواً، ولا أنقى تربة، ولا أنعمش للنفوس
والأبدان، ولا أحسن اعتدالاً، في كل الأزمان من
أرض نجد". (٣)

(١) أحمد السباعي، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٦.

(٢) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٣) ابن جبير، المرجع السابق، ص ١٦٢.

واما عن قبائلها الباقية بعد الهجرة وعلى اثر الفتح الاسلامي للبلدان لم يمدنا التاريخ بشيء واضح عن اوضاعها الاجتماعية ~~سوى~~ ان الحياة قوامها الرعي وبساطة الحياة البدوية في ذلك القرن خاصة وكذلك ما بعده . (١)

" واليمن مجتمع يتمتع برفاهية ونعيم منذ القدم وكان في ذلك العهد من القرن الخامس الهجري بيوت الامراء والاكابر تموج بالجواري والخدم من اجناس مختلفة على ابواب القصور التي اتخذت من الداخل اجمل ألوان النقش والغرش الوثير وكان دهان الذهب والرخام لبيوت السلاطين فقط . وكانوا يكثرون الصدقة في شهر رمضان وتكثر في مطابخهم كميات واصناف الاكل المختلفة بغرض توزيعها على الفقراء والمحتاجين . ونتيجة لكثرة الجواري والاماء في هذا المجتمع فقد شاع الغناء والطرب ، فبالاضافة الى الغناء الحميري القديم وجد غناء في عهد الاسلام وسعى بالحنفي . وكانوا يتفننون في المأكول ويتفاخرون بالوان العطور وتعدد انواعها وروائحها ، وقد قامت المرأة بتدبير شئون الحكم في ذلك القرن مثل اسماء زوجة الصليحي وكذلك الملكة آروي بنت احمد الصليحي وزوجة ابنها المكرم والتي تولت شئون الحكم بعد وفاته . (٢)

وحضرموت وظفار بلد ذو طبيعة واحدة تتميز فيها الحياة بشطف العيش وكانوا ملاحين متازين جابوا الاقطار ونشروا الاسلام بشرق افريقيا والملايو واندونيسيا والهند وعاشوا اهل هذه الاقاليم (٣)

(١) شوقي ضيف ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٣٨ .

وعمان وعاصمتها مسقط، وهي بلد تطل على بحر العرب وسكانها من عناصر مختلفة افريقية وايرانية وهندية وعربية والغلبة للعنصر العربي ويجلس اهلها في صحون المساجد للاكل، وقد كان هذا البلد على درجة عالية من الثراء يدل على ذلك الكثير من المواقف التاريخية في ذلك العهد. وكل هذه الاقاليم كانت المرأة فيها تهتم بزینتها والغناء منتشرة واحتفالاتهم بعيدي الفطر والاضحى كانت كبيرة، علاوة على اهتمامهم بتصنيف الاطعمة والتفنن فيها. (١)

والتشيع شائع في انحاء الجزيرة العربية وكانت الزيدية تمارس نشاطها في الحجاز واليمن. والقرامطة فرقة شيعية اسماعيلية نزلت الاحساء أما الخوارج فكانت لهم بقية من الاباضية سكنت نزوى جنوب الجبل الاخضر داخل اقليم عمان وجعلوها مركزا وحاضرة لهم وعندما استولوا على عمان منذ منتصف القرن الخامس الهجري فكان طبيعيا أن ينتشر مذهبهم هناك وانتهى القرن الخامس وهذه المنطقة معهم. (٢)

الحالة الاجتماعية في بلاد العراق:

عند الحديث عن الاوضاع الاجتماعية في بلاد العراق في القرن الخامس الهجري لابد أن نتحدث عن طبقات المجتمع التي تميزت في هذا القرن وفي القرن الذي سبقه. بعد أن تعرض المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري الى التفكك والتنازع كنتيجة طبيعية للظروف السياسية والاقتصادية تميزت

(١) نفس المرجع، ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٠ - ٤٦.

في هذا المجتمع ثلاث طبقات :-

طبقة ارسقراطية تتألف من الخلفاء والوزراء والقواد وكبار التجار وطبقة وسطى تتكون من تجار متوسطين ونحوهم، وطبقة ثالثة فقيرة هى سواد الشعب الأعظم من صفار الفلاحين و صفار العمال والعلماء والفقهاء (١) وأغدى الأغنياء الاموال على المغنيين والمغنيينات أى انصرف اصحاب الطبقة الفنية الى انواع اللهو واقتناء الجمـوارى والفلمان ما جعل الرقيق عنصرا هاما من عناصر المجتمع ، وكل هذا ساعد على فساد الاخلاق والانحراف عن الجادة. (٢)

أما السواد الأعظم من الناس كان يعانى ضيق الحال والبطالة الأمر الذى أدى الى اسوأ النتائج مثلة بالدرجة الاولى فى اللصوصية التى شاعت فى العراق بل وفى كل المدن الاسلامية وهؤلاء سموا بالعياريين أو الشطار، ولهم ملابسهم المميزة، وكان عملهم التجول فى الاسواق بهدف السلب والنهب. (٣) وقد نسجت حول مفامراتهم القصص والحكايا فنجدهم فى سنة ٤١٦ هـ يتفاقم شرهم فيقتلوا وينهبوا الاموال ويفعلوا ما يريدوا. (٤) وكذلك فى سنة ٤٢٥ هـ اشتد اذاهم وعظم فسادهم. (٥) وايضا فى عام ٤٩٣ هـ زاد أمر العيارين فى الجانب الغربى من بغداد وعظم ضررهم فأخذ الخليفة جماعة من اعيانهم وطلب الباقين فهربوا. (٦)

(١) حسن عبدالعال ، مرجع سابق ص ٦٢ .

(٢) نفس المرجع، ص

(٣) نفس المرجع، ص ٦٣ .

(٤) ابن الاثير، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٤٩ .

(٥) نفس المرجع، ص ٤٣٧ .

(٦) نفس المرجع، ج ١٠ ، ص ٣٠١ .

ثم في عام ٤٩٧ هـ زاد نشاطهم وكثر العياريين في كل مكان. (١)
ويرى بعض المؤرخين أن حركات العياريين أوجدتها فوضى
السياسة والظلم الاجتماعي، وكذلك الاستغلال الاقتصادي فطبعي أن يكون
رد الفعل بهذه الصورة فالنفس البشرية تبحث عن العدالة والمساواة
فلايسعها إلا أن تلجأ للفوضى في مجتمع مليء بالفوضى والظلم.
أما النتيجة الثانية فهي انتشار نزعة التصوف والزهد، فكان الأغنياء
والمترفون منغمسين في اللهو والملذات، وكرد فعل لهذا تمسكت نسبة
من الشعب بشعائر الدين واجبا وسنة كتعبير عن سخطهم بما
في المجتمع من فساد، فاتجهوا للمساجد والعبادة والزهد وكان
اعتقادهم يتمثل في زوال نعمة الدنيا لامحالة وبقاء نعيم الآخرة
فلا بد من العمل لها. (٢)

وقد رأينا عند الحديث عن الحالة السياسية بالعراق أن الخليفة
العباسي رحب بدخول السلاجقة إلى بغداد رغبة منه في التخلص من
السيطرة البويهية الشيعية التي لاتعترف بالخلافة العباسية والتي سلبت
الخليفة العباسي كل ماله من سلطة ونفوذ. فالسلاجقة كما هو معروف
سنيون والخليفة العباسي سني، هذا بالإضافة إلى ما عانوه من ظلم
وجور أبان تسلط الحكم الشيعي البويهي في العراق والمشرق.
فاخذ السلاجقة يقدمون كل الجهد لتفتيت وإضعاف قوة الشيعة
في المجتمع العراقي فنجد اجماع المؤرخين يشير إلى أن من الأسباب

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٢) حسن عبدالعال، المرجع السابق، ص ٦٣.

الرئيسية التي دعت الوزير نظام الملك الى الاهتمام والاسراع بانشاء المدارس النظامية كان محاولته محاربة الفكر الشيعي عن طريق نشر العلم والثقافة الاسلامية الصحيحة ، واعتماد اساليب الجدل وعلم الكلام والمنطق للرد عليهم ، ولكن يبدو ان تماسك الشيعة وكثرة انصارها واسلوب عملها كان اقوى من جهود السلاجقة فلم تتحقق النتائج المرجوة على الوجه المطلوب. (١)

والى جانب هذا الخلاف بين السنة والشيعة كان هناك الخلاف القائم بين اصحاب المذاهب السنية وهم : الشافعية ، والحنفية ، والحنابلة. (٢)

فلقد التزم نظام الملك بالمذهب الشافعي ودعى له في مدارس النظامية ، ولم يرض رجال الدولة السلجوقية المتعصبين للمذهب الحنفي وهو المذهب الرسمي للدولة العباسية عن ذلك ما حدى ببعض رجالاتها من تأسيس مدرسة للحنفية ببغداد سنة ٤٥٩ هـ وكان هذا الرجل هو شرف الملك الخوارزمي مستوفي ملكة السلطان آلب ارسلان وكانت تقوم بالدعوة للمذهب الحنفي (٣) : ثم ما كان من دور الأشاعرة على يد ابوالحسن الأشعري منذ القرن الثالث الهجري في محاربة المعتزلة بسلاح المنطق والفلسفة ، هذا بالاضافة الى كراهية اهل السنة لهم ما حدى بالحنابلة في القرن الخامس الهجري الى حرق كتب المعتزلة ومعاداتهم (٤)

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

ولقد أصبحت النزعة الصوفية ظاهرة مميزة لهذا القرن بعد أن اتسعت موجة الزهد التي بدأت منذ القرن الثالث الهجري ، والتي أغرت أعدادا كبيرة من مجتمع القرن الخامس الهجري للانخراط بسلك الصوفية التي أصبح لها زوايا وفكر وعلوم خاصة . وقد أشرت الصوفية في الحياة العلمية والفكرية . (١)

ومن طبقات الشعب التي لها دور فعال في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي عامة طبقة الرقيق ، فقد امتلأت بهم دور الخلفاء والأمراء والأعيان . (٢)

وظل أهل الذمة من اليهود والنصارى يمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية وأمن ، ولم تتدخل الدولة في شعائرهم ، بل بلغ تسامح بعض الخلفاء بأن يحضروا أعيادهم . (٣)

ومنذ القرن الرابع الهجري أخذ عدد المجوس يتزايد في العراق وجنوب فارس نتيجة تمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم فاعترفت الدولة العباسية بهم . (٤)

وهكذا نجد أن التفكك والتنازع قد اشر على المجتمع أبلغ الأثر ، فهناك طوائف للشيعة وفرق للسنن أضعفت كاهل هذا المجتمع المسلم بما قدمه السلاجقة والبويهيون من تحزب لطوائفهم في شتى النواحي .

(١) نفس المرجع ، ص ١٤٣ - ١٤٨ .

(٢) حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٢٥ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٤٢٦ .

وقد كان لهذه التصرفات آثار خطيرة على المجتمع آنذاك ، فبدأت المنازعات بين الشيعة والسنة تظهر للعلن ، ففي منتصف القرن الرابع الهجري ، وفي سنة ٣٤٩ هـ حدثت فتنة كبيرة في بغداد تعطلت على إثرها صلاة الجمعة في مساجد السنين و اقيمت في مسجد شيعي وأمر معز الدولة البويهني باعتقال جماعة من أهل السنة . (١)

وكانت الاحتفالات التي يحرصون عليها الشيعة ويعملون على اقامتها سببا هاما في اثاره الفتن والقلاقل كذكرى يوم عاشوراء واحتفاءهم بذكر يوم غدیر خم . (٢)

ونشطت فرقة الاسماعيلية الباطنية في القرن الخامس الهجري فقد كان لها اسلوبا خاصا في نشر دعوتها يعتمد على السرية التامة ، وكانت تتخذ أحيانا من رعاية العلوم وتنظيمات العمال طريقا غير مباشر لبث دعوتها في عقول الناس . وقد تصدى العلماء المسلمون لهذه الفرقة منذ بداية الأمر لعلمهم بخطورة ماتدعوا اليه ومن هؤلاء حجة الاسلام الامام ابو حامد الفزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وقد اتفق الاثنان على رأى واحد حول السبب في سهولة انقياد العامة لتعاليمهم وهو : تركيز الدعوة الباطنية على المزارعين وأصحاب الحرف ، من ذوي الثقافة المحدودة ، والذين كانوا يعانون من الاوضاع الاقتصادية السيئة في تلك الفترة (٣)

(١) نفس المرجع ، ص ٤٢٣ .

(٢) حسن عبدالعال ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .

ومن المظاهر الاجتماعية التي قاومها فقهاء الحنابلة ظاهرة الفناء، ونتيجة لاضطراب الحكم كثر شرب الخمر وأنحلت الأخلاق وتصدى لذلك بعض الصالحين. (١)

وكان للموأة قسط وافر من الحرية، فهي تحضر مجالس الوعظ في المساجد، وهي تشارك الرجل في إقامة الشعائر الدينية وفي ميدان العلم والثقافة ولكن من وراء حجاب. ولبعض نساء العصر السلجوقي تأثير على الخلفاء والسلاطين، فقد استطاعت ترکان خاتون زوجة السلطان ملكشاه والتي اشتهرت بدهائها ان تحمل الخليفة العباسي القائم بأمر الله على تقليد ابنها محمود السلطنة مما فجر الصراعات الداخلية في صفوف السلاجقة فيما بعد. (٢)

وأما عن الاحتفالات فنجد الشعب يحيي ليالي رمضان بتلاوة القرآن وصلاة التراويح طيلة أيامه. فيدركهم عيد الفطر الذي له من الاستعدادات الشيء الكثير من اتخاذ الزينة والاعلام واستخدام الألوان الزاهية وضرب الطبول، وكذلك عيد الاضحى أيضا يقام ذلك وتذبح الاضاحي وتوزع على الفقراء، وفي عيد الفطر توزع الفطرة، وفي كلا العيدين تقام صلاة العيد بحضرة الخليفة الذي يخرج في موكب ومعه رجال الدولة وتصف الناس على الجانبين (٣)

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ٦٣١-٦٣٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٤١-٦٤٢.

(٣) نفس المرجع، ص ٦٤٣-٦٤٤.

الحالة الاجتماعية في بلاد الشام:

ينقسم فئات السكان في بلاد الشام الى طبقتين كبيرتين هما :-

(١) طبقة الخاصة:

وهذه تشمل الحكام وأهلهم والاعيان وكذلك اتباع هذه الطبقة من موالى وعبيد (١). والعلماء والفقهاء والادباء من طبقة العامة الذين تقربوا من الحكام والوزراء فكانوا في رغد من العيش فهم يسكنون أحسن سكن ويتقاضون احسن رواتب فصنفوا ضمن طبقة الخاصة. (٢)

(٢) طبقة العامة:

وهذه تشمل طبقة من التجار يبيعون المجوهرات والمصوغات والرياش الثمينة والثياب الفاخرة والرقيق، وكان اكثر ارتزاقهم من الحكام وجلسائهم. ويقيمون في اكبر مدن الشام كحلب ودمشق وطرابلس وحماة. وقد وصل بهم الامر الى تكليف الدولة لهم كسفراء بين الدول والولاة. (٣)

وكذلك تشمل طبقة العامة الصناع وصغار التجار اصحاب الحوانيت داخل البلد والخطاطون والمصورون والمعماريون ، وكذلك العياريون والشطار والفتوة واصحاب الحرف الصغرى (٤)

(١) احمد رمضان: المجتمع الاسلامي في بلاد الشام- القاهرة الجهاز

المركزي للكتب الجامعية، مؤسسة روزاليوسف ١٩٧٢م ص ٨٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٩١-٩٢.

(٣) نفس المرجع، ص ١٠٦-١٠٨.

(٤) نفس المرجع، ص ١٠٠.

والمجتمع الاسلامي في بلاد الشام تشكل الفرق الاسلامية من السنة بمذاهبها الاربعة والشيعة بطوائفها المختلفة (١) والعنصر الغالب هم العرب وقد قامت على أيديهم امارات بلاد الشام كما ورد في الحديث عن الحالة السياسية بالشام لهذا البحث ثم العناصر غير العربية وهم: الاتراك والسلاجقة والاراتقة والاتبكة، ثم أهل الذمة والسريان والارمن. (٢) وهؤلاء تمتعوا بحرية دينية، وكانت التجارة المسيحية تنال من التشجيع الكثير في عهد السيطرة الفاطمية على بلاد الشام. (٣)

ويصف المقدسي مذاهب أهل الشام في القرن الرابع الهجري أثناء سيطرة الفاطميين عليها والتي لم تضعف الا في القرن السادس الهجري فيقول :-

” ان السامرة منتشرون من فلسطين الى طبرية ، ولانجد مجوسيا ولا صابثا مذاهبهم مستقيمة اهل جماعة وسنة واهل طبرية ونصف نابلس واكثر عمان شيعة، ولا ماء فيه لمعتزل انما هم في خفية، وفي بيست المقدس خلق من الكرامية لهم خوانق ومجالس بجامع دمشق والعمل كان فيه على مذهب اصحاب الحديث والفقهاء شفاوية واليوم أكثر العمل على المذهب الفاطمي“ (٤)

(١) نفس المرجع ، ص ٦٦ - ٨٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٥٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٦٠ .

(٤) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط ٢ لندن ١٩٠٩م

ويحدثنا ايضا عن وضع أهل الذمة بها فيقول :

" ان اكثر الجهابذه والصباغين والسيارفة والدباغين بهذا الاقليم يهود ، واكثر الاطباء والكتبة نصارى " . (١)

وقد بقى الكثير من اهل الذمة والسريان والارمن على لغتهم بل كانت لغة التخاطب اليومي بينهم ، ولهم مناطقهم وجزرهم الخاصة . (٢)

وكان لهذا أثره الاجتماعي حيث استقلال هؤلاء بلغتهم سهل عليهم الاتصال بمن هم على دينهم مثل البيزنطيين والصليبيين . (٣)

ثم ان الخلط لهذه العناصر في تكوين مجتمع الشام كان له أثره الواضح على التعمير والتخريب والعدل والظلم ، وكذلك أثر في المرأة وأخلاقها وعاداتها ومظهرها ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد دور كثرة الجدل بين فقهاء الدين الاسلامي وماسبه من مشاكل سياسية واجتماعية ، وكبرى مخاطر التنازع المذهبي والطائفي هو التعصب من جانب السنة والشيعة الذي بذرت روح العصبية القومية والتي كانت في الاعماق معادية لدين الاسلام نفسه ومنتج عنها من قيام دول للشيعة تبث افكارها المستوحاة من انظمتها الوضعية والتي تخدم الدعوة لهم بنظام حكم معين ، وأما من الناحية العلمية فيرى بعض الكتاب انه ان كان القرن الرابع الهجري هو عصر التقدم العلمي وازدهاره فان القرن الخامس وصل الى قمة ذلك الازدهار بتعاون رجال العلم من جميع تلك

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ١ ، ط ٣ ، بيروت ، دار الكتياب

العربي ، د . ت ، ص ٨٢ .

(٢) احمد رمضان : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٣) احمد امين ، المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٩ .

من قبل الخليفة الفاطمي بتقديم الاطعمة والحلوى، ثم يخرج هؤلاء النواب في مواكب فخمة وتسك النقود بهذه المناسبة، واما يوم عاشوراء فتبعاً لسياسة الفاطميين اتخذ في الشام يوم حزن تعطل فيه الاسواق وتقدم اطعمة معينة، وبعد زوالها من الشام أصبح يقام يوم سمرور وكذلك يحتفل بيوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ليالى الوقود، وهى اربع ليالى: مستهل رجب ونصفه، ومستهل شعبان ونصفه وأيضاً كان يحتفل بيوم الغدير كعيد في محيط الشيعة، فرد عليه السنة بعيد بعده بثمانية أيام تغاؤل بدخول النبی صلى الله عليه وسلم الفار في طريق هجرته الى المدينة مع ابى بكر الصديق رضى الله عنه، ويظهرون فيه الكثير من الفرح. (١)

والبلاد الاسلامية كلها تحتفل بشهر رمضان وبحكم خضوع مصر والشام للحكم الفاطمي فكانت كثير من العادات والتقاليد يتشابه فيها القطرين وكذلك الحجاز وخاصة مكة، فكان الاحتفال بشهر رمضان يلقي اهتماماً بالفا في كل تلك الاقطار متمثلاً في تلاوة القرآن الكريم والصلوات وتمتلي زوايا واركبان مساجد طرسوس بالمصلين والمقرئين، واذ ختم الصبي القرآن في رمضان قام أهل دمشق بتنصيبه خطيباً وذلك بحضور القاضي وجماعة من الشيوخ. ويكون اهتمامهم بمقدم رمضان منذ شهر شعبان فيقوم نظار أوقاف المساجد بتغيير الحصر وزيادة الاضاءة واعداد قناديل المنارات التي تظل مضيئة حتى السحور في جميع مدن الشام وماحولها ويقوم بائعي النقل والقمرالدين بابرار بضاعتهم منهما وتحتشد بهما الاسواق في شهر رمضان بل تصدر منه الشام لمصر

(١) نفس المرجع، ص ٢٣٩ - ٢٤٣.

الشيء الكثير. (١)

ولأهل الشام عادات وتقاليد خاصة بهم في احتفالاتهم المدنية كالزواج واليوم السابع من الولادة يخرجون في مجموعها بمواكب واحتفالات تقدم فيها الأطعمة والحلوى الزاخرة بالاصناف المختلفة. وفي المآتم والأحزان كانت لهم عادات وتقاليد أيضا نقلت لهم من قدماء المصريين وهي بعيدة عن سمات الاسلام. (٢)

وكانت عادات وتقاليد المزارعين الشاميين خليط من عادات السوريين القدماء وعادات العرب وذلك في مثل مناسبات الزواج، وهناك تضامن ومساعدة في مناسبات الاحزان والمآتم أيضا. (٣)

وأما البدو فلهم أيضا عادات خاصة بهم أهمها عدم الاستقرار والتنقل خلف العشب والماء، ويعتمد البدوي على سيفه وله قضاءه الخاص من نفس القبيلة، ويقدر ثراء البدوي بكبر أسرته من النساء والبنات. ومن عاداتهم الكرم المنقطع النظير. (٤)

الحالة الاقتصادية في الجزيرة العربية:

ان الصلة وثيقة بين اقليم الحجاز ومصر منذ الفتح الاسلامي وظل هذا الاقليم مدعنا لمصر اثناء الخلافة الفاطمية وفي عهد الحاكم

(١٠) نفس المرجع، ص ٢٢٤ - ٢٤٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٤٨ - ٢٥٣.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٠٩.

(٤) نفس المرجع، ص ٢١٢ - ٢١٨.

والظاهر والمستنمر ، وتحمل لمواطنيه الغلال والاموال والخلق والهدايا وكسوة الكعبة من مصر. (١)

فقد كان يرد الى مكة كميات كبيرة من القمح سنويا من مصر في العهد الفاطمي. (٢)

وكانت مكة والمدينة يعتمدان على الزراعة وذلك عن طريق زراعة المناطق القريبة منها وماحولها وذلك رغم عدم كثرة المياه حول مكة ، اما المدينة فتشتهر بوفرة المياه فيها وكذلك الزراعة . هذا بالاضافة الى وجود حرف يعيش منها اهل تلك المدن كالنجارة والعمارة والحياكة ، الى جانب التجاره والتي تتمثل بالدرجة الاولى في تمدير التمر الى المدن الأخرى كما يستوردون التوابل وغيرها مما يحتاجه اهل المدن. (٣)

لقد ساعد على الاضطراب الاقتصادي في الحجاز السياسة النفعية التي ينتهجها أمراء مكة في تلك الآونة ومن أبرز مميزات الخطبة على منبرى الحرمين للفاطميين مره والعباسيين أخرى على اساس استمرار أو قطع الهبات والعطايا من قبل الخلفاء في الدولتين. (٤)

ونتيجة طبيعیه لذلك الاضطراب عانت مكة الكثير من الخيـق

(١) احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي .

بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢) شوقي ضيف ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٣) ~~عن السكك السليقة~~ . ~~في المرجع~~ .

(٤) احمد مختار ، المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

والغلاء ، والفقر والشدة في تلك الفترة.

ويخبرنا ابن الاثير عن النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وفي احداث عام ٤٥٥ هـ فيقول :

دخل الصليحي صاحب اليمن الى مكة مالكا لها
فأحسن السيرة فيها، وجلب لها الأقوات ورفع
جور من تقدم، وظهرت منه افعال جميلة. (١)

وما تقدم يتبين لنا ان في هذا القرن كان الحجاز عرضة للفتن
والمنازعات والاضطرابات السياسية والاقتصادية مما أثر على
حياة المواطنين فيه بالفقر وشتى الاضرار وعلى الحجاج بالسلب
والنهب وقطع الحج في بعض الاعوام لبعض الأجناس من الحجيج،
حيث نهب بعض الحجاج سنة ٤٨٦ هـ وقتل منهم خلقا عظيما. (٢)

أما نجد فكانت تعتمد بالدرجة الاولى على رعي الابل
والاغنام. (٣)

وبلاد اليمن وتشمل حضرموت واليمن ، واليمن ذات ثراء زراعي
واسع النطاق وثروة حيوانية ، وكذلك ثراء تجاري منذ القدم
وبحضرموت ميناء عدن التجاري الهام والذي تفرغ فيه السفن
منتجات البلدان الأخرى، وما لذلك من ثراء على اقتصاديات البلاد (٤)

وعمان بلد على درجة كبيرة من الثراء وتعتمد على الزراعة
فهى تشتهر بالتمور والفواكه والزروع من الحنطة والذرة والشعير وتطل

(١) ابن الاثير، مرجع سابق، ج. ١، ص ٣٠

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣٩

(٣) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٣٤

(٤) نفس المرجع، ص ٣٥

على بحر العرب مما مكن للسفن أن ترسو على سواحلها التي
تكثر فيها مفاصات اللؤلؤ. (١)

والبحرين وجميع مايشمله هذا الاسم من مناطق كانت ذات موانئ
وتجارة واسعة فهي ذات انتعاش اقتصادي، هذا بالإضافة إلى
اعتمادها على الزراعة والتي تتوفر لها عيون ماء كثيرة. (٢)

الحالة الاقتصادية في العراق:

هناك عدة اسباب أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في
القرنين الثاني والثالث الهجريين وتتلخص هذه الاسباب فيما يلي: (٣)

(١) الاستقرار السياسي والرخاء المادي خلال هذين القرنين
ما حدى بالخلفاء ان ينصرفوا إلى العناية بالزراعة والصناعة
والتجارة.

(٢) قوة خلفاء بني العباس الأوائل وقدرتهم على السيطرة
على الدولة الاسلامية ككل جعل خزانهم وبيوت المال تطفح
بما يرد إليها من انحاء الدولة المترامية الاطراف فكانوا يشيدون
القصور، ويحفرون الترع وينتجون الجسور.

(١) نفس المرجع، ص ٣٨.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٩.

(٣) حسن احمد محمود، احمد ابراهيم الشريف: العالم الاسلامي

العصر العباسي، ط ٥. القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.

فلقد كان العصر العباسي حقا عصر الحضارة والازدهار في شتى نواحي الحياة، ولكن اضطراب الحياة السياسية في القرنين الرابع والخامس الهجريين كان له انعكاساته على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ويلاحظ أن البويهيين قاموا ببعض الاصلاحات في ميدان الري والزراعة ، وكذلك لجؤ البعض منهم الى منح الجند اقطاعات من الارض لاستغلالها والذي كان مقدمة لظهور الاقطاع العسكري الذي سيتطور تطورا كبيرا في عهد السلاجقة ويصبح أحد ركائز العمل الزراعي ، وهذا بدوره أدى الى تحريك الجند بالأرض واستغلالهم لها وللأفلاحين والمزارعين الذين يعملون بها. (١)

ويأتى عهد السلاجقة الذي انتشر فيه النظام الاقطاعي الى حد كبير ، فلقد كان لكل فرد من أفراد الأسرة المالكة مدنا ومناطق يمارس فيها الحكم والسلطة الاقطاعية مقابل تقديم جزية سنوية للسلطان السلجوقي كما يجهز الجيوش التي تحت سيطرته بالمؤن والاسلحة أثناء الحروب، وكانت الكثرة للاقطاعيين غير العرب. (٢)

وكانت إيرادات الدولة في العصر العباسي تجبى من الخراج والعشور وأخماس المعادن والجزية والفسى والغنائم (٣)

(١) سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

(٢) سيد أمير علي ، مرجع سابق ، ص ٣٧١ .

(٣) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

وهناك ضرائب ترد الى بيت المال أهمها : هريبة الواردات (الجمارك)
وضرائب الصناعات ، وضرائب الكماليات وضرائب الحوانيت والمحلات. (١)
وهناك نظام اقتصادي آخر عمل على ارهاق الفلاحين وظلمهم
عرف فيما بعد بنظام الالتزام :

" ولم يكن الالتزام مقصورا على اقطاع اجزاء من
الارض في الولاية الواحدة بل قد يمتد ليشمل
ولاية برمتها ، وقد ساد هذا النظام حين تولى
الأتراك حكم الدولة العباسية واصبحوا يقطعون
الولايات على أن يؤدوا لدار الخلافة مبلغا من
المال عدا الهدايا والطرق. (٢)

وحيث أن اقتصاد العراق كان يعتمد على الزراعة فأني ارتباك فيها
أو اصلاح يكون له أبلغ الاثر على اقتصاد الدولة وعلى وضع مواطنيها
ونتيجة لقيام نظام الاقطاع الذي كان بدايته في عهد البويهيين بالعراق
فقد ساءت احوال الزراعة واهملت الارض من قبل الاقطاعيين ووكلائهم
فقلت واردات بيت المال. (٣)

ومن اخطر الانظمة التي ظهرت كنتيجة طبيعية لفساد الاحوال
الاقتصادية واضطرابها ، ذلك النظام الذي يقوم على المصادرات
فقد اعتبر هذا النظام في بداية الأمر لونا من اللون العقوبة
تصادر فيه أموال الامراء والوزراء وكبار رجالات الدولة ، ولكنه أصبح

(١) سيد امير على ، مرجع سابق ، ص ٣٦٤ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

فيما بعد غرضا من اغراض الدولة تلجأ اليه عند الحاجة الماسة الى المال ، ونتيجة لتلك المصادرات فقد الناس الطمأنينة على أرزاقهم وأموالهم. (١)

ولقد لجأ كثير من المزارعين هربا من دفع الضرائب الجائـيرة والقسرية الى نقل ملكية الأرض للرجل الذي يقوم بحمايتها صوريا ولكن كثيرا ما أدى ذلك الى نقلها فعليا للحامي أو ورثته. (٢)

وفي العصر السلجوقي تطور نظام الاقطاع وطبق الوزير نظام الملك نظاما اقطاعيا يتمشى مع أهدافه المحددة ، فقد فرق اقطاع القائد أو الجند الواحد في بلاد مختلفة ، ولم يجعله في مكان واحد حتى لا تكون له قوة قد تكون خطرا على كيان الدولة ، كما أن الوزير حدد لهؤلاء الجند بعض الالتزامات الرئيسية ، كما أنه لم يجعل الاقطاع تملكيا وانما استغلالا للأرض فقط ، أما الأرض فتبقى ملكيتها للدولة ، ولكن يبدو أن التطبيق العملي كان عكس ذلك تماما حيث سيطر الاقطاعيون على الأرض عن طريق وكلائهم وصار الاقطاع وراثيا. (٣)

أما مجال الصناعة فيبدو أن حظها كان افضل فقد كان الخلفاء والوزراء يعملون على تشجيعها لأنها مورد هام من موارد الدولة فقد بلغت صناعة النسيج في القرنين الرابع والخامس الهجريين درجة عالية من الجودة والاتقان ، فقد أنشأ البويهيون دورا للطراز بغرض تقديم

(١) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج ٣ ص ٢٩٧-٢٩٨ .

(٢) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠٢-١٠٤ .

المنسوجات الراقية للخليفة وكبار رجالات الدولة، كما كانت المصانع
الاهلية تنتج المنسوجات اللازمة لافراد الشعب . ومن اشهر دور
الطراز: دار الطراز ببغداد، كما كان في الموصل والجزيرة الفراتية
دور للطراز اقامها بني حمدان. (١)

ومن الصناعات التي كانت مزدهرة : صناعة الاسلحة كالسيوف
والدروع والخوذ والرماح ، وتعد بغداد من المراكز البارزة في صناعة
السيوف خاصة بعد أن وفد اليها كثير من صناع خراسان المتفوقين
بمهاره في صناعتها، كما ان كثرة المعادن بأرض العراق ساعدت على
ذلك. (٢)

ومن الصناعات الاخرى : صناعة السجاد والستور والخيام، والخزف
والزجاج ، وصناعة الورق، وصناعة المصوغات الذهبية وصناعة السفن
والقوارب ، وقد شهد القرن الرابع الهجري نهضة في صناعة الورق
في معظم انحاء الدولة الاسلامية فأنشئت مصانع الورق في كل من
دمشق وطبرية في فلسطين وبغداد. (٣)

أما في مجال التجارة ففي القرن الرابع الهجري كانت هنالك ضائقة
مالية أخذت تعاني منها الدولة مما سبب صعوبة لدفع التجارة التي
الامام وتنشيطها. (٤)

ثم ان الدولة خرجت من هذه الضائقة المالية عن طريق تقسيط
اجور ارزاق الجند على الكتاب والعمال والتجار. (٥)

واستوردت الدولة الحبوب لحسابها الخاص بهدف بيعها بسعر
مناسب فحدث من نشاط التجار والمحتكرين بعض الشيء (٦) وكانت التجارة

(١) محمد حسين الزبيدي، مرجع سابق ص ١٣٩.

(٢) نفس المرجع، ص ١٤٨ (٣) نفس المرجع، ص ١٤٤-١٥٢.

(٤) نفس المرجع، ص ١٥٢.

(٥) ابن مسكويه: تجارب الامم وتعاقب الهمم، ج٢ القاهرة ١٣٣٤هـ.

(٦) محمد حسن الزبيدي، مرجع سابق ص ١٥٧-١٥٨.

فى العراق تدر ارباحا كبيرة على التجار حتى وجد عدد من التجار
ذوى ثروات طائلة لدرجة أن الخلفاء وكبار رجال الدولة كانوا يقترضون
منهم وقت اشتداد الازمة المالية. (١)

وقد نتج عن عدم توفر الامن والاستقرار فى عهد الحكم البويهى
انكماش التجارة تارة وتنشيطها تارة أخرى. (٢)

وقد انتشر الدينار الذهبى فى هذه الفترة حيث أصبح التعامل
بالنقود أساسى بالعراق وأخذت الظاهرة تنتشر فى شرق الدولة
الاسلامية منذ بداية القرن الرابع الهجرى الى جانب التعامل بالدرهم
الفضى الذى اختفى بالقرن الخامس الهجرى وساد استخدام الدينار
كل البلاد الاسلامية. (٣)

وقد ظهر التخصص المهنى فى القرن الرابع الهجرى نتيجة لظروف
المجتمع فكانت هناك فئات متعددة المهن وبطبيعة الحال ظلت وظل
دورها الاقتصادية واضحة فى بغداد ودمشق وحلب والقاهرة وحواضر
المدن الاسلامية كالحبوبيين والدقاقين والخبازين والجزارين فمهنه كل
فئة من هؤلاء هى مصدر رزقها. (٤)

الحالة الاقتصادية فى بلاد الشام:

من المعروف أن بلاد الشام بلد تجارى من الدرجة الأولى بحكم
موقعها الجغرافى وهى تشتهر بذلك منذ ما قبل الاسلام حيث يقول

(١) نفس المرجع، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٢١٩.

(٤) حسن عبدالعال، مرجع سابق، ص ٦١.

تبارك وتعالى " لأ يلاق قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف" (١) ويُقصد
برحلة الصيف رحلة القرشيين الى الشام بغرض التجارة صيفا .
فنجد ان تجارة بلاد الشام واسعة زاهرة على مر العصور فهم
يتاجرون في الألباس والياقوت واللؤلؤ الذي يحملونه من بلاد الهند
والبحرين واقمشة القباطي وغيرها من مصر، والزجاج والخزف من البصرة
والمسك والكافور من الصين، والحصر من عبادان، وأكثر طوائف التجار
كان اليهود (٢) .

هذا ماتستورده الشام، أما ما تصدره فهو الزيت، والذهب، والقمر
الدين، والفسنق، والقناديل، والتمور، والحبوب، والخرفان، والسكر
والمرايا، والزجاج، والانسجة مثل الدمشقي والديباج، والجوز، ودهن
البنفسج، والصابون . وكان ذلك ينقل في سفن أو قوافل حسب الظروف
المكانية التي تقتضى ذلك من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى
الشمال . وكانت الدولة تستفيد من التجارة في اقتصادياتها بأخذ
الضرائب من التجار (٣) .

وكانت الشام تتاجر في الخشب لكثرة الغابات لديها . هذا بالإضافة
الى صناعة نهائية الجلود (٤) وكانت صناعة المرايا تقوم في صيدا وهي
صناعة قديمة منذ عهد الرومان بالشام . وكانت طبرية تتفوق في
صناعة الحصر والسجاد (٥) وتعتمد الزراعة الى درجة كبيرة على

(١) سورة قريش - آية - ١ - ٢ .

(٢) احمد رمضان ^٢ مرجع سابق، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) نفس المرجع، ص ١٢٣ .

(٤) نفس المرجع، ص ١٢٧ .

(٥) نفس المرجع، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

مياه الأمطار فيجبى الخراج على فترتين وذلك فى الأراضى المعتمدة على الأمطار، وتكون الأراضى التى تروى من العيون ذات محصول أوفر بالتالى لسهولة زراعتها ، وتتؤخذ من المزارع قيمة الأرض البور ويكون مناصفة أرض السقي ومثلثة ومربعة فو. باقى الأراضى والخالية من السكان مخامسة أو مسادسة ، وفى الأراضى المتاخمة لبلاذ العدو تكون مسابعة ومثامنة ثم يفرغ المباشر من المقاس وبأخذ ما يخص الديوان (١) وقد انعكست هذه الاقتصاديات على المجتمع بالرفاهية والثراء هذا بالإضافة الى طمع الصليبيين فيها الذى عكسته تلك الاقتصاديات ايضا .

وكان نظام الاقطاع سائد فى عهد الفاطميين والسلاجقة، وكان الفاطميون يقطعون الاراضى للمدنيين من الوزراء أو الامراء أو يقطعونها للقواد ، فى حين كان السلاجقة يقطعونها للجند فنشأ نظام الاقطاع الحربى الذى نبذ نظام الرواتب وأصبح السائد هو نظام المكافئة على أساس اقطاعى . ولم يقف الحد عند ذلك بل نجد ان القرن الخامس الهجرى قابل استبداد زاد عن حده فى هذه الناحية فلم يقف الأمر عند اقطاع الأراضى انما تعداه الى التلاعب فى حقوق بيت مال المسلمين التى كانت تحول لاقطاعات يخص بها أنصار السلاطين من بويهيين وسلاجقة، ثم ان المقطعين وضعوا وكلاء لإدارة تلك الاقطاعات مما زاد تدهور الوضع، وقد ساهم فى ذلك النظام الفاطمى والبويهى والسلجوقى على حد سواء ولم يكن احدهم احسن من الآخر

(١) نفس المراجع ، ص ١٣٠ .

فى حفظ حقوق الرعية وحقوق بيت مال المسلمين . (١)

ويلاحظ ان المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام قابل سوء حالة اقتصادية فى العقد الأخير من القرن الخامس الهجرى بسبب قيام الحروب الصليبية الذى بدأت فيه الشام تستنفذ الكثير من الاموال وارهاق الاقتصاد نتيجة الاستعداد لها وصد عبث الصليبيين بالمدن والقلاع والضياع الشامية ونهبها والفتك بكل ما يصادفهم من أراضى وقع استيلائهم عليها فى تلك الفترة . (٢)

أثر الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحالة الفكرية والعلمية فى الجزيرة العربية وبلاد العراق وبلاد الشام :-

يرى بعض المؤرخين المعاصرين ان الخلافة الذى حصل بين المذاهب الاسلامية وافرق الدينية فى العصر العباسى عامة وفى العصر السلجوقى خاصة كان قد لعب دورا كبيرا فى تطور الحركة العلمية والثقافية . (٢)

وانا كانت الاحوال السياسية المضطربة فى هذا القرن ، والاوضاع الاقتصادية المتردية ، وضعف الخلفاء العباسيين قد ألقت بظلالها على الاوضاع الاجتماعية الاجتماعية فان النهضة العلمية والفكرية كانت على قدر من التقدم والتطور ، وكانت تلقى التشجيع والدعم من بعض الامراء والوزراء ، ومع ان سيطرة السلاجقة على العراق تمثل فترة ضعف واضطراب سياسيين ، فان الحركة العلمية قد نشطت وسارت باتجاه مغاير تماما وقد

(١) احمد رمضان ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) محمد كرد على ، خطط الشام ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

ساهمت المدارس السنية المختلفة في التركيز على الدراسات الشرعية واللغوية ويبدو أن تفكك الدولة العباسية في أواخر القرن الخامس واول القرن السادس الى دويلات منفصلة كان له دور في تنافس العلماء والادباء ، فقد أصبح لكل دويلة استقلالها المالي ، فكان بإمكانها ان تخصص جزء من واردات خزينتها لرعاية العلم وتشجيع العلماء . (١)

" فكانت قصور (صاحب بن عباد) وزير آل بويه في الري واصفهان ملتقى العلماء والادباء من امثال القاضي عبد الجبار ، والمعتزلي ، وديع الزمان الهمداني ، وابومنصور الثعالبي ، وفي بلاد الفزنويين في الشرق كان ابو الفتح البستي وابو اسحاق الاسفراييني يحظيان بالرعاية والاهتمام وفي اماره خوارزم عاش ابن سينا والبيروني فترة من الزمن " . (٢)

ويبدو ان الاحتكاك الفكري والمنافسات المذهبية كالاحتكاك بين أهل السنة والمعتزلة ، وبين أهل السنة والشيعة ، وبين الفقهاء والصوفية ، وبين الفقهاء والفلاسفة كان ذلك كله من أهم اسباب نشاط الحركة العلمية . (٣)

ففي ظل كل تلك الاضطرابات السياسية كان العراق خلال القرن الخامس الهجري يمتاز بحركة ثقافية واسعة النطاق ساهمت فيها شتى الاجناس والمذاهب ، وامتلات المدارس والمساجد والمكتبات بطلاب العلم الوافدين الى بغداد بهدف الاطلاع والدراسة من شتى الاقطار ، فلقد كانت نظامية بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس

(١) عبد المجيد ابو الفتح بدوي : التاريخ السياسي والفكري ، ط ١ جدة عالم المعرفة ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٢٠

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

قبلة انظار الدارسين والمعلمين. (١)

وكان ظهور المدارس في المشرق الاسلامي من مميزات القرن الخامس الهجري، وهذا ساعد على ازدهار الحركة الفكرية والعلمية خلال القرن وقد كان سلاطين السلاجقة يقدرون العلم، ويجد العلماء عندهم كل تشجيع واهتمام، فقد أدرك هؤلاء ماللعلم من حى للدولة بفضل اولئك العلماء الذين يعتبرون نورا يهدى أبناء الدولة الاسلامية الى سعادة الدنيا والآخرة، فقد حاولوا الاهتمام بكل الوان الثقافات فنجد قصورهم عامرة بالعلماء والأدباء والشعراء، وقد كان من أبرز هؤلاء ألب ارسلان الذى أحب العلم ومال الى صحبة المثقفين وسمع ما عندهم. (٢)

وكان من أهم الأخطار الداخلية التى هددت الامة الاسلامية تجزئة الدولة الاسلامية الى دويلات وكذلك كثرة الفرق الدينية وأهم الاخطار الخارجية هو مطامع الصليبيين فى بلاد الشام، كل هذا دفع نظام الملك الى الأخذ بازالة اسباب الخلافات والدفع عن الفكر والعقيدة عن طريق نشر العلم وتشجيع العلماء وافتتاح المدارس من جهة والاهتمام بالجيش بما يكفل له مواجهة العدو من جهة أخرى وفى فترة توليه الوزارة جعل داره مأهولة

(١) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧٢-١٧٣

(٣) نفس المرجع، ص ١٧٥

بالعلماء ، وقد وصف السبكي داره بقوله :

" كانت داره معمورة بالعلماء ، مأهولة بالأئمة والزهاد

ولم يتفق لغيره ما اتفق له من إرضاح العلماء عليه

وتردد هم على بابه وتصنيفهم الكتب باسمه". (١)

ويقول السبكي عنه أيضا :

" كانت سوق العلم في أيامه قائمة ، والنعم على

أهله داره ، وكانوا مستظلين على صدور أرباب

الدولة أرفع الناس في مجلسه لا يخجبون عن بابه". (٢)

وقد شهد القرن الخامس الهجري حركة تأليف وتصنيف خاصة في العلوم الشرعية ، فلقد كانت المؤلفات لا حصر لها وليس أدل على ذلك مما ألفه الغزالي وصفه ، فقد صنف أكثر من أربع مائة كتاب ورسالة . وهو أحد المربين الذين عاشوا ذلك العصر. (٣)

ثم إن جودة أنواع الورق وكثرة عدد حوانيت الوراقين ببغداد وحدها في القرن الخامس الهجري كان من أهم العوامل التي ساعدت على ازدياد خزائن الكتب في حواضر العالم الاسلامي ، والذي دعمه بنشاط حركة النسخ ساهم فيها الرجال والنساء بأعداد لا تحصى

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٤ . القاهرة عيسى البابي

الحابي ، ١٩٦٦ م ص ٣١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣١٩ .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٨١

فأدى ذلك مردودا اقتصاديا فعلا (١).

وقد امتلأت خزائن كتب الخلفاء والوزراء ، ولم يقتصر الامر على ذلك بل ، عم انتشار المكتبات الكثير من المساجد والمباني والبيمارستانات. (٢)

وكذلك ، الرحلة في طلب العلم ساهمت في نشاط الحركة العلمية في ذلك القرن نشاطا جيدا من احتواء المشرق بما يبرز فيه أهـال المغرب والعكس في شتى مجالات العلم المختلفة. فنجد للشيخ السبكي سفرات متعددة من بغداد الى الشام ومصر في طلب جمع الكتب وكانت حواضر العالم الاسلامي هي : القيروان ، وفاس ، ودمياط ، واللاذقية والرملة ، والقدس ، وعسقلان ، وصيدا ، وصور ، وبيروت ، والمعرة ، وحران ، والحزيرة ، والموصل ، وبغداد ، وواسط ، والأهواز ، وشيراز ، وكرمان ، وأصفهان ، ونيسابور (٤) كما يدل على أن كل مدينة كانت مركزا من مراكز العلم بها شيوخها ومؤلفيها وعلمائها. ولم تكن بغداد وحدها مركز ذلك.

وهناك العديد من العلماء والمؤلفين الذين اثروا مجالات العلم المختلفة بشتى ألوان العلوم والمعرفة المختلفة كانوا قد ظهوروا في القرنين الرابع والخامس الهجري وذلك في مجالات الدراسات الشرعية معانوم اللغة والنحو والادب ، والعلوم الانسانية والعلوم البحتة. (٥)

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ، ٢٠١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٤٦ .

(٥) انظر حسن ابراهيم ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٤٢ - ٤٥٠ .

وكذلك مريزن سعيد مريزن ، المرجع السابق ، ص ٣١٦ - ٥٠٦ .

مذكر من علماء تلك العلوم مايلي :

أولا : في محلات القراءات القرآنية

فعلم القراءات من العلوم المهمة عند المسلمين وقد استقرت هذه القراءات على سبع قراءات. (١) فنجد في القرن الخامس الهجري عدد من القراء مثل :

محمد بن علي بن موسى ابوبكر الخياط المتوفى سنة (٤٦٧هـ) (٢).

وكذلك شيخ القراء ابو علي حسن بن القاسم بن علي الواسطي المتوفى سنة (٤٦٧هـ) الذي رحل في طلب القراءات الى كل من بغداد ودمشق والبصرة وحران ومكة المكرمة والمدينة المنورة. (٣) وايضا الحسن بن احمد بن عبدالله ابن البنا ابو علي المقرئ الحنبلي المحدث المتوفى سنة (٤٧١هـ). (٤) ثم ابومنصور محمد بن احمد ابن عبدالرزاق البغدادي الحنبلي المتوفى سنة (٤٩٩هـ). (٥)

أما في مجال علوم التفسير :

فمن أشهر مفسري القرن الخامس الهجري : الشريك العلوي المعروف بعلم الهدى المرتضى المتوفى سنة (٤٣٦هـ) (٦) ومفسرين المشهورين ايضا في هذا القرن ابويونس عبدالسلام القزويني المتوفى سنة (٤٨٣هـ) وقد فسر القرآن تفسيراً مطولاً حتى أن تفسير

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ط ٤ ، بيروت : دار احياء التراث العربي ،

١٣٩٨هـ ، ص ٤٣٧ .

(٢) مريزن ، سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

(٤) المرجع السابق ،

(٥) المرجع السابق ،

(٦) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ط ٤ ، ص ٤٤٣ .

الفتاحه وحدها شغل سبع مجلدات. (١) وكذلك من أشهر المفسرين
أيضا أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن صويه المتوفى سنة
(٤٦٨هـ) وكان أشهر علماء عصره في النحو والتفسير الذي أخذه
عن أبي إسحق الثعلبي وله عدة كتب في التفسير، ويقال بأن أبا حامد
الغزالي اعتمد على مؤلفات ابن صويه وأفاد من علمه وأعجب به. (٢)
وفي مجال علوم الحديث فإن من أبرز العلماء في هذا المضمار
الإمام المحدث المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب
البغدادي المتوفى (٤٦٣هـ) كان قد حفظ القرآن وتولى الإمامة
والخطابة، وتعلم القراءات وسمع الحديث، ثم انصرف إلى الفقه
حيث درسه على كبار فقهاء الشافعية وأكب على شيوخ الحديث
بغداد يأخذ عنهم ثم أخذ في الرحلة، وبعد عودته إلى بغداد
أذن له الخليفة أن يملأ الحديث بجامع المنصور. (٣)
ولما مرض الخطيب البغدادي وقف جميع كتبه وفرق جميع ماله
في وجوه البر. (٤)
وأما الحميدى أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الفتوح بن عبد الله
الأزدى الأندلسي المتوفى سنة (٤٨٨هـ) فهو من أئمة الحديث
المعروفين ورجاله المشهورين. (٥)
وأما في مجال الفقه فقد اقتصر عمل العلماء في هذا

(١) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ٣٤٤.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٤٥.

(٣) السبكي، مرجع سابق، ج٤، ص ٣٥.

(٤) المرجع السابق،

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب،

ج ٣، بيروت: دار الأفاق الجديدة) ص ٣٩٢.

المجال على فهم كلام الائمة وجمع آثارهم وتخرج الاحكام حتى يتسنى لهم المقياس عليها. (١)

ومن ابرز وأشهر الفقهاء في القرن الخامس الهجري الامام ابو حامد الغزالي الذي توفي سنة (٥٠٥ هـ) وقد عمل في المدرسة النظامية ببغداد من سنة (٤٨٤ هـ) حتى سنة (٤٨٨ هـ) حيث خرج الى الحجاز ثم عاد الى دمشق ومنها الى بيت المقدس فالاسكندرية ثم عاد الى بغداد ثم الى بلدته طوس ثم عمل بنيسابور في المدرسة النظامية هناك. أما مصنفاته فقد بلغت الثلاثمائة مصنف منها في المذهب الشافعي : الوسيط - البسيط - الوجيز وفي سائر العلوم احياء علوم الدين - المنقذ من الضلال - تهافت الفلاسفة. وقد ابرز السبكي في طبقاته ترجمة حياته وعرض لبعض مؤلفاته وكانت ترجمته أطول ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى. (٢)

أما ابوالحسن علي بن محمد بن حبيب الباوردي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) فقد نشأ في البصرة وتلقى تعليمه فيها ثم رحل الى بغداد ودرس الفقه وتولى القضاء وأمتاز في احكامه القضائية بامرونة والاجتهاد ، عمل في التدريس وقد تخرج على يديه الخطيب البغدادي ومن أهم مؤلفاته الاحكام السلطانية. وقد قال عنه السبكي :
"كان اماما جليلا رفيع الشأن ، له اليد الباسطة في المذهب والفنن التام في سائر العلوم". (٣)

ومن علماء اليمن القاضي محمد الصليحي ، وابنه علي بن محمد وقد تفتت في عقائد المذهب الشيعي واسس الدولة الصليحية في القرن الخامس الهجري. (٤) ومن فقهاء اليمن وعلمائها

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٢) السبكي ، المرجع السابق ، ج ٦ ص ١٩١ - ٣٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ .

زيد بن عبد الله البفسطاعى الذى هاجر الى مكة حيث قضى فيها اثنتى عشر سنة وقد اشتهر بالزهد والورع وتوفى سنة ٥١٤ هـ بعد عودته الى اليمن. (١)

أما فى مجال اللغة:

فى القرن الخامس الهجرى الذى انزاح فيه التسلط البويهى عن العراق وبدأ فيه العصر السلجوقى واجتهدت اللغة صراعا مع اللغات الأخرى ومع الثقافات الفارسية والهندية والتركية والرومية وغيرها فأدى ذلك الى كثرة الاخطاء النحوية ما أنذر بتهديد سلامة قواعد اللغة العربية، وأمام هذا الخطر بدأ علماء اللغة العربية والحريصون على مفرداتها يجمعون هذه المفردات فى معاجم خاصة. وقد ألف الراغب الاصفهانى المتوفى سنة (٥٠٢ هـ) المفردات فى غريب القرآن. (٢)

وفى مجال النحو: الخطيب التبريزى الذى كان اماما فى النحو واللفظ والادب. (٣)

وفى مجال البلاغة: عبدالقادر الجرجانى المتوفى سنة (٤١٥ هـ) فقد وصا بعلمى البلاغة والنقد الى اكمل صورة فى كتابيه المعروفين "اسرار البلاغة" و"دلائل الاعجاز". (٤)

وفى مجال الشعر: كان هناك عدد كبير من الشعراء ابرزهم: ابوالعلاء المعرى الذى عاش بين الفترة (٣٦٣=٤٤٩ هـ) والابويردى المتوفى (٥)

(١) المرجع السابق.

(٢) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة: باشراف شفيق غبريال، ط ٢. القاهرة،

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥، ص ٤٨٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٢١.

(٥) نفس المرجع، ص ١٧٢٠.

سنة (٤٨٦هـ) فقد مدح الخليفة المقتدى في ديوانه وكذلك تحدث
عن غزو الفرنجة الصليبيين لبيت المقدس. (١)

وفي مجال الشعر : ظهر ناقد معروف في عصره وهو قدامه بن جعفر
المتوفى سنة (٤٣٧هـ) وكتابه معروف "نقد الشعر". (٢)

وفي مجال التربية نجد أبرز من كتب في هذا المجال هو:
ابو حامد الغزالي المتوفى عام (٥٠٥هـ) وأهم مؤلفاته في ذلك
هو : فاتحة العلوم، أيها الولد، ميزان العمل، بداية الهداية، أحياء
عالم الدين ، وكثيرا ما تطابقت نظرياته مع النظريات الحديثة في
التربية والتعليم. (٣)

أما الامام ابوالحسن الماوردي فقد برز كواحد من رجالات التربية
والتعليم في هذا القرن من خلال كتابه القيم أدب الدنيا والدين فقد
عالج فيه كثير من القضايا التربوية وخصص الباب الثاني منه للحديث
عن العلم وفضله والترغيب فيه. كما تحدث الماوردي عن الآداب التي
يجب أن يتحلى بها المتعلم والعالم، (٤) وختم بالحديث عن أجر
المعلم، (٥) وواجب عليه اسداء النصيحة للمتعلم. (٦)
وفي مجال العلوم البحتة:

نجد ابوالحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن المتوفى سنة
(٤٩٤هـ) طبيبا للخليفة المقتدى بأمر الله وكذلك المستظهر

(١) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) نفس المرجع، ص ١٣٧١.

(٣) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٤٦٢.

(٤) ابوالحسن الماوردي : أدب الدنيا والدين، بيروت، دار مكتبة

الهدى، ١٩٨٥م، ص ٨٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٩٣.

بالله ، وكان يقوم بعلاج المرضى في البيمارستان العضدى . (١) وكذلك
نجد الطبيب سعيد بن هبة الله البغدادي الذي برع في الصيدلة
حتى اطلق عليه لقب العشّاب وقد صنف في الادوية مقالة في صفات
تراكيب الادوية . (٢)

وفي محال افلك يقول ابن الاثير في احداث عام ٤٦٧ هـ .

” جمع نظام الملك والسلطان ملاكشاه جماعة من اعيان
المنجمين منهم عمر الخيام وابوالمظفر الاسفـيـزاري
وميمون بن النجيب الواسطي . (٣)

وتوحي لنا كثرة هذه الاسماء والمصنفات ان النهضة العلمية كانت
قوية ومستمرة في القرن الخامس الهجري .

(١) مريزن سعيد مريزن- مرجع سابق ، ص ٤٩٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠١

(٣) ابن الاثير، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٩٨٠

الخامس المحوري

سادسا : تعليم المرأة.

أولاً : الدولة ودورها في التعليم :

إنَّ الاسلام دين ودولة فما مدى دور الدولة الاسلامية في التعليم في القرن الخامس الهجري .

ثم ان اهداف التعليم كانت نابعة من المذاهب الدينية أو العقلية التي يعتنقها المربون المسلمون . وما أن حل القرن الخامس الهجري إلا وقد وضحت هذه الاهداف من خلال دراسة فكر الماوردي ، والفزالي ولقد عنيت التربية الاسلامية بوجود المعلم في العملية التربوية منذ صدر الاسلام ولا يزال المعلم يلقي الاهمية القصوى من العناية لدى مفكرى التربية بشتى انواعها .

ويرى بعض الباحثين المعاصرين ان المسلمين قد التقوا بمراحل التعليم المعهودة في وقتنا الحاضر ولكن دون وجود الحدود الفاصلة بين مرحلة وأخرى ، بينما يرى البعض الآخر أن التعليم كان على مرحلتين : احدهما تمتد من المرحلة الابتدائية الى الثانوية وتسمى بالتعليم الابتدائي ، ثم بعد ذلك مرحلة التعليم العالي .

وكان تعليم الخاصة يشمل في الغالب ابناء الخلفاء والأمراء ثم ان السراة كان يتم تعليمها في القصور والمنازل .

وكان المعلمون في العصر العباسي طوائف مختلفة في معلمين الكتاتيب والمؤدبين ، والمعلمين في المساجد ، والمدارس أي المعلمون ، العامة ، ولخطورة عملهم فلا بد من أن يتحلى هؤلاء بقيم واخلاق تهملهم لذلك العمل ، فهو لا عليهم واجبات نحو الله . ونحو أنفسهم وتلاميذهم واقربانهم ومجتمعهم الاسلامي .

ثانياً : أهداف التعليم :

لاستخدم المصادر العربية القديمة مصطلح التربية بمعناه الحديث ولكنها تستخدم كلمات التعليم والتأديب والتهديب وهي لا تفصل مطلقاً بين هذه الكلمات الثلاث التي يمكن أن نجعلها مرادفة لمصطلح التربية، فالحديث عن أهداف التعليم كان منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد الصحابة والتابعين مرتبطاً بمعرفة الدين علماً وعملاً، وكان الهدى الديني غايته دائماً منذ بدء التعليم في المساجد وفي الكتاتيب، وقد كان التعليم يقوم أساساً على تعلم القرآن الكريم وحفظه وتجويده، وترتيبه. وكذلك معرفة العبادات المفروضة، وكان الوالد يدفع ابنه إلى المسجد أو الكتاب ليتعلم القرآن والصلاة والقراءة والكتابة.

وقد أدرك المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم أهمية التعليم في معرفة الدين معرفة صحيحة، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في العلم كثيرة ومعروفة، وظل التعليم ضرورياً في عهد الفتوحات الإسلامية لتفقيه أبناء الشعوب والتي اعتنقت الإسلام شأنون دينهم المفروضة عليهم.

ولكن أهداف التعليم تطورت مع تطور المجتمع الإسلامي، فإذا كان الهدف الديني هو الأساس في ذلك التعليم إلا أن اتساع رقعة الإسلام وتطور المجتمع الإسلامي، واستتاع الأفق الفكري، ووفرة المحصول العلمي، واختلاف المذاهب والآراء جعل للتعليم أهدافاً أخرى تنضم إلى الهدف الديني، فبتعدد المذاهب الفكرية والدينية أصبح لكل اتجاه

هدف يرمى اليه ويتوخاه من التعليم. (١)

ولذلك يؤكد احمد فؤاد الأهواني :

" انه لا يوجد اغراض للتربية عند العرب تعميم
على وجه الاطلاق، وانما الصواب ان نذكر صاحب
المذهب ثم نذكر الغرض من التعليم الذى يلائم
هذا المذهب. فطريقة التعليم مستمدة من صاحبها" (٢)
وقد نقل لنا الاهواني رأى الخليل طوطح فى أغراض التعليم:
" ان التعليم عند المسلمين كان يرمى الى اربعة
أغراض: غرض دينى، وغرض اجتماعى، والتلذذ الفكرى
وغرض مادية" (٣)

كما نقل لنا رأى اسماء فهى : (اغراض التعليم ثلاثة اقسام: غرض
دينى، وغرض عقلى وثقافى، وغرض نفسى). (٤)

ويمكن القول : ان اهداف أو اغراض التربية الاسلامية لم تكن
واحدة فى كل العصور الاسلامية، فقد كانت فى القرن الاول الهجرى
تختلف عنها فى القرن الرابع الهجرى، ولكن هذه الأهداف أو الاغراض
كانت تنبع دائما من المذاهب الدينية أو العقلية التى كان يعتنقها
الامريون الاسلاميون، فأراؤهم واغراضهم من التعليم والتهديب تنعكس
عابها دائما صور مذاهبهم المختلفة.

(١) على خايل ابوالعينين: قراءة تربوية فى فكر الماوردى، الكويت:

دار الكتاب الحديث، ١٤٠٥هـ، ص ٢٩١.

(٢) احمد فؤاد الأهواني: التربية فى الاسلام. القاهرة: دار

المعارف بمصر، د.ت، ص ١٠٦.

(٣) نفس المرجع.

(٤) نفس المرجع.

فمحمد ابن سحنون المتوفى سنة ٢٥٦ هـ يعكس وجهة نظر الفقهاء المالكية في المغرب ويصور الحياة التربوية السائدة في تعليم الاطفال هناك . (١)

لقد نظر ابن سحنون إلى التربية على أنها عقد تفرغ تام بين المعلم وطلابه ، ومنهج التعليم يتضمن الحساب واعراب القرآن الكريم والهجاء ، والخط الحسن ، والقراءة ، والترتيل ، والشعر البعيد عن الفحش ، يضاف الى ذلك تعليم الاطفال الصلاة والوضوء والدعاء وليس للمعلم أن يعلم تلاميذه الألحان أو الأنغام في قراءة القرآن لأن مالكا لم يجز القراءة بالحن . (٢)

وعندما ظهرت المدرسة الصوفية كجماعة متميزة في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين كان عليها أن تتخذ موقفا محددًا فظهرت مصنفات كثيرة دونت فيها مفاهيمها المتداولة وبرز الحارث المحاسبي المتوفى عام ٢٤٣ هـ الذي وصف بأنه أستاذ أكثر البغداديين . (٣)

وقد وضع المحاسبي منهجا خاصا لاتباعه ومريديه وكتب كتابه "العقل" ليرد به على المعتزلة وتصوراتهم ، والعلم عند المحاسبي لتصحيح عمل العقل ، وألف كتاب الرعاية الذي هو تحليل للنفس وقواها وعملها وأساليب معالجتها في الاتجاه الايماني الصحيح ، وبذلك وضع

(١) ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية

ط ٧ المدينة المنورة : دار التراث ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) نفس المرجع . ص ١١٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ١٢٠ .

المحاسبى اسس التحليل النفسى الاسلامى . (١)
"والتعليم عند المحاسبى عمل جليل
لا يمارسه الا من استخلصته العناية
الالهيه لذلك . (٢) .

وكان منهاج التعليم عند المحاسبى يستند أساسا على دراسة
التوحيد وعلاقة الانسان بخالقه ، أما أهداف التعليم عند محمد الفارابى
"٣٩٩" هـ فهى تتحدد حسب وظائف كل علم وحسب مساهمته فى تربية
الانسان ، فالمنطق لتقويم العقل ، والعلم الطبيعى ينظر فى الاجسام
الطبيعية وفى نشأتها وأسباب قوتها ، والعلم الالهى غايته ابطال الظنون
الفاسده ، والعلم المدنى يفحص عن أصناف الافعال والسنن الاراديه (٣)
أما احمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ والذى كان من
علماء القرن الرابع الهجرى البارزين فقد كان يرى ان الغرض من التربية
هو الوصول الى الخير والحق والجمال . (٤) .

وتقوم فلسفة الترييه عند ابن مسكويه على اسس ثلاثه : علم نفس
تربوى يعتمد على تحليل النفس وأساس اجتماعى يبيلور معنى الخير
والسعادة ، واساس فلسفى يحدد ما هو فاضل أو رزيل . (٥) .

(١) نفس المرجع ، ص : ١٢١ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ١٢٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ١٢٤ — ١٢٥ .

(٤) على الجمبلاطى وابو الفتوح التونسى : دراسات مقارنة فى التربية

الاسلامية ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرىه ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٨ .

(٥) ماجد عرسان الكيلانى ، مرجع سابق ، ص : ١٢٥ .

أما مدرسة الأصوليين وعلماء الكلام فيمثلها أبو الحسن
الاشعري مؤسس مذهب الأشاعرة ت ٣٣٠ هـ. ومع أن الاشعري لم يتطرق
للمفاهيم التربوية مباشرة لكنه وضع بعض الخطوط العريضة التي وجهت
انطلاقات الاشاعرة التربوية فيما بعد ، وأبرز تلك الخطوط وجوب تفاعل
الدارس مع تيارات الفكر المعاصر ، ثم الوقوف على موازين هذه التيارات في
القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن تلك الخطوط البارزة تحديد دور العقل
والنقل من ميادين التفكير بأسلوب يتناسب مع الأصول الكامنة في القرآن
الكريم والسنة النبوية ، ويخالف الاشعري منهج المحدثين والحنابلة
الذين قالوا بالتزام النص . (١)

أما أبرز علماء القرن الرابع الهجري فهو علي بن محمد القابسي
"٣٢٤ - ٤٠٣ هـ" الذي يرى أن الغرض من التعليم هو معرفة الدين
علما وعملا . (٢)

والقابسي يعكس أيضا ، وجهة نظر الفقهاء المالكية في المغرب
العربي ، وفي رسالته المفصلة عن أحوال المعلمين وأحكام المعلمين
والمتعلمين يبحث القابسي بكل ما يتعلق بشئون التعليم في عصره
والأساس الذي يقوم عليه التعليم كما وصفه القابسي يتركب من أربعة عمد
هي : الكتاب ، والمعلم ، والصبي ، والقرآن ، فإذا اتم الصبي مرحلة
التعليم في الكتاب أجتاز امتحانا فيما حفظ من القرآن وامتحانا
آخر في الكتابه ، وما يتعلمه الصبي في الكتاب - القرآن

(١) نفس المرجع ، ص : ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) على الجمبلاطي ، المرجع السابق ، ص : ٢٨ .

والكتاب والنحو والعربية ، وقد يتعلم الحساب والشعر وأخبار العرب
على أن أهم ما يدرسه الصبي هو حفظ القرآن . (١)

"وتتلخص فلسفة التربية عند القابسي في وجوب
تدرج المتعلم من مقام الاسلام حتى يصل
مقام الاحسان ذلك ان المسلم يبدأ حياته
مسلماً في ظاهره دون ان ينقاد لتعاليم
الاسلام باطنه ، وهذا يستدعي اعادة النظر
في تربيته حتى يسلم باطنه وينقاد للاوامر
الالهيه قلبا وقالبا " . (٢) .

وكان القابسي قد جعل التعليم الزاميا فالوالد ملزم بتعليم
اولاده " فاذا كان الطفل يتيما انفق الوصي على تعليمه من ميراثه
واذا لم يكن له وصي أو ميراث تكفل الحاكم بتعليمه " . (٣)
وذا كنا قد وصلنا الى القرن الخامس الهجري فان اهداف
التعليم وأغراض التربية فيه تتوضح تماما من خلال دراستنا لعالميين
بارزين ومفكرين ومربين عظيمين هما : الماوردي والغزالي .
(أ) علي بن محمد الماوردي - ٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي الشهير
بالماوردي من وجوه فقهاء الشافعية يصفه السبكي في طبقاته .
(كان اماما جليلا ، رفيع الشأن ، له اليد الباسطة في المذهب ، والتفنن

(١) احمد فؤاد الاهواني ، مرجع سابق ، ص : ٦٤ - ٦٥ -

(٢) ماجد عرسان كيلاني ، مرجع سابق ، ص : ١١٦ .

(٣) نفس المرجع .

التام في سائر العلوم . (١)

ولد الماوردى بالبصرة وتلقى أوائل علومه في فترة الصبا هناك ثم ارتحل الى بغداد ليتلمذ على شيوخها واساتذتها المشهورين عمل بالقضاء وقام بالتدريس في بغداد لعدة سنين كان موسوعيا في معرفته جمع علوم عصره فهو اديب وسياسي وفقيه ومحدث وقاضي ومفسر ولغوي ونحوي، ثم هو في البداية والنهاية مرب من المربين المسلمين . (٢) . له مؤلفات كثيرة وعديده وما يهمنا من هذه المؤلفات كتابه القيم أدب الدنيا والدين فهو يسعى الى اقامة التوازن بين الدين والدنيا، يقول في مقدمة الكتاب : —

" واعظم الأمور خطرا ، وأهمها نفعا ورفدا
ما استقام به الدين والدنيا وانتظم به
صلاح الآخرة والأولى ، لأن باستقامة
الدين تصح العبادة ، وبصلاح الدنيا
تتم السعادة " . (٣)

— : —

- (١) السبكي ، طبقات الشافعية ، مرجع سابق ، ح ٣ ، ص : ٣٠٣ .
(٢) علي خليل ابو العينين ، مرجع سابق ، ص : ٣٥ — ٣٨ .
(٣) الماوردى : ادب الدنيا والدين : ط ٣ ، بيروت
دار مكتبة الهلال ١٩٨٥ م ، ص : ١٧ .

ويحتوى الكتاب — طبقا لما ذكر الماوردى — خمسة

أبواب : —

الباب الاول : فى فضل العقل وذم الهوى .
الباب الثانى : فى أدب العلم ، وفيه كثير من الآراء التربوية
الهامة فى مجال التعليم .
الباب الثالث : فى أدب الدين ، وفيه أفكار تربويه وقيم أخلاقية
كثيرة .

الباب الرابع : فى أدب الدنيا ، وفيه يفرض لأصول اجتماعية وأخلاقية
الباب الخامس : فى أدب النفس ، وفيه أيضا آراء تربويه وقيم
تربويه اصيلة تعتمد على الكتاب والسنة . (١) .
وهو فى كل هذه الابواب يستشهد بالآيات والأحاديث
ويستند اليهما أصلا ، كما يستشهد بالأمثال والحكم والأشعار والاقوال

اهداف التربية عند الماوردى : —

(١) اعداد الانسان وتنميته لقبول التكليف : —

ويأتى هذا الهدف فى المرتبة الأولى عنده ، فالانسان
باعتباره هدف التكليف يجب أن يعد اعدادا قويا ليصل الى درجة
التكليف فهو يقرر ان سبحانه وتعالى انما كلف الخلق لنفعهم
تفضلا منه عليهم ، ولذلك وجب التكليف الى من كمل عقله . (٢) -

— : —

(١) نفس المرجع ، ص : ١٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٩٤ .

(٢) تربية العقل : —

يقدر الماوردى أهمية العقل ، وأهمية العلم ، ومن ثم يوجب ضرورة التعلم ، فالعلم باعث على فعل العبادة وقبول التكليف والعلم لازم للانسان ضرورى له .
ومع اقراره بتربية العقل فانه لا يهمل الدين بل يهتم به أكثر فأكثر ، فالعقل لا يستغنى عن الدين والدين لا يستغنى عن العقل . (١)

(٢) تربية النفس : —

يعود سبب اهتمام الماوردى بتربية النفس الى ان الانسان اذا عرف نفسه عرف ربه ، واذا عرف نفسه عرف منها ما يراعيه لصلاحها واستقامتها ، وهدف تربية النفس : ان تكون نفس الانسان مطيعة له لأنها اذا اطاعته ملكها ، واذا عصته ملكته ولم يملكها . (٢)
(٣) صلاح امر الانسان فى الدنيا والآخرة : —

يشير الماوردى الى هدف هام من أهداف التربية وهو صلاح امر الانسان فى الدنيا لتستقيم له أمور الآخرة ، ان أهمية هذا الهدف تأتى لاقامته التوازن الدقيق بين أمور الآخرة والدنيا والدين والدنيا ، والعقل والوحى ، ولا يتحقق ذلك ، فى رأى الماوردى الا من خلال الاهداف التالية : —

(١) نفس المرجع ، ص : ٤٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢٣٠ .

(أ) تربية الانسان فرديا للأخذ من الدنيا بنصيب. (١)

(ب) تربية الانسان اجتماعيا للعيش مع غيره بسلام

وهذه التربية تتم بما يلي : (٢)

(أ) التربية الدينية : حتى يصير الدين قاهرا للسرائر وزاجرا للضمائر

(ب) التربية السياسية : والمشاركة مع الرئيس في تحسين احوال المجتمع

(ج) التربية القائمة على العدل : وتعنى تدريب الانسان على

ان يكون عادلا مع نفسه ومع غيره .

(د) التربية المهنية : أى تدريب الانسان على مهنة يكسب منها عيشه

وتسهم في استقرار المجتمع وتقلل من الحسد والتباغض.

(هـ) تربية الانسان على الألفة والمعاش مع غيره .

أهمية العلم عند الماوردى : —

يستشهد الماوردى بالآية الكريمة : " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

يعلمون والذين لا يعلمون " ويجعلها مدخلا للحديث عن شرف العلم

وفضله فقد منع سبحانه وتعالى المساواة بين العالم والجاهل لما قد

خص به العالم من فضيلة العلم ، ثم يروى لنا حديث الرسول صلى الله عليه

وسلم (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا)

وبعد ذلك يورد أقوال الحكماء والبلغاء والادباء

— : —

(١) نفس المرجع ، ص : ١٣٣ .

(٢) على خليل ابو العينين ، مرجع سابق ، ص : ٢٩٨ .

والشعراء فى العلم ليبرهن على صحة رأيه . (١)
والماوردى يثير بعد ذلك قضية هامة جدا
عندما يقول : — " ولا يعرف فضل العلم
الا العالم ، وفضل العالم لا يعرف الا به
أما الجاهل فينكر فضل العلم ، ويعادى
العلماء " . (٢)

فالمجتمع العالم والمتعلم يحترم العلم والعلماء ويعطيهم
حقوقهم ومكانتهم التى تليق بهم ، أما المجتمع الجاهل فلا يمكن أن
يكون اهتمامه الا ببا فى عالم الأشياء . (٣) وكان الماوردى
يريد بذلك أن يقول : —
لا بد من تحقيق المجتمع العالم المتعلم من خلال تكوين وبناء
الانسان المسلم المؤمن ، المتمتع بالصحة العقلية والجسمية .
وبعد هذه الفكرة الهامة بقليل يجعل الماوردى علوم الدين
أفضل العلوم ، (٤) . ويصل الى النتيجة الأهم : —

الدين ينظم المجتمع

ويرد على بعض المتشاهونين بالدين الذين يميلون الى العلوم
العقلية . (٥) .

ثم يبين ما يتعلق بالدين من العلوم فيذكر قول الامام الشافعى :
" من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبل مقداره
ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن تعلم الحساب

(١) الماوردى ، مرجع سابق ، ص : ٤١٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٤٢ .

(٣) على خليل ابو العينين ، مرجع سابق ، ص : ٣٠٣ .

(٤) الماوردى ، المرجع السابق ، ص : ٤٤ .

(٥) نفس المرجع ، ص : ٤٥ .

جزل رأيہ ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لـم
ينفعه علمه " (١) .

والماورى يجعل كل هذه العلوم شريفة ولكل منها فضيلة
وهى تتكامل لتحقيق السعادة للانسان ، وهذه صفة تستدعى من
المتعلم أن يحيط احاطة عامة بجميع هذه العلوم ثم يتخصص بعد
ذلك بجزء منها لأنه لا يحسن بالمرء أن يكون عدوا لآى نوع من
العلوم . (٢) .

وينصح الماوردى بالتدرج فى طلب العلوم .
" ان للعلوم أوائل تؤدى الى أواخرها
ومداخل تقضى الى حقائقها ، فليبتدىء
طالب العلم بأوائلها لينتهى الى
أواخرها . " (٣) .

اسباب التقصير فى طلب العلم :-

يمكن أن نلخص اسباب التقصير فى طلب العلم كما يراها
الماوردى فيما يلى :-
(١) تعلق الطالب بنوع من انواع العلم بعينه فيجعله ذلك يقصد
حقائق هذا النوع دون النظر الى المقدمات والمطلوبات .
(٢) حب طالب العلم للشهرة .
(٣) تقصير الانسان فى طلب العلم فى الصغر واشتغاله به فى الكبر

_____ :

- (١) نفس المرجع ، ص : ٤٥ - ٤٦ .
- (٢) نفس المرجع ، ص : ٨٠ - ٨٥ .
- (٣) نفس المرجع ، ص : ٥٥ .
- (٤) نفس المرجع ، ص : ٥٥ - ٥٩ .

- (٤) وفرة شهوات المتعلم وتقسم افكاره .
(٥) كثرة الاشغال حتى تستوعب زمان ووقت المتعلم وتستنفذ أيامه
النيه في طلب العلم : — (١)

يطلب الماوردى من طالب العلم أن يقصد النيه على طلب العلم واثقا بتيسير الله ، قاصدا وجه الله تعالى بنيه خالصة وعزيمة صادقة ، وهو يوجه طالب العلم الى جوانب يجب أن يأتي بها : —

- (١) أن يقصد وجه الله تعالى بطلبه العلم .
- (٢) أن يتحلى بالاخلاق الفاضلة الحميدة .
- (٣) أن يكون غرضه اصلاح الدين والدنيا .
- (٤) أن يزيل عن نفسه الجهل ليتحلى دائما بالعلم .
- (٥) أن يستكثر من العلم .
- (٦) أن يعمل بالعلم .

والماوردى متجاوب تماما مع النظرة الاسلامية الصحيحة التى تطلب من الانسان أن يقصد من كل أعماله رضا الله تعالى وحيه " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ يُبْذَلُكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " . (٢)

— : —

- (١) نفس المرجع ، ص : ٥١ — ٥٣ .
- (٢) الأنعام — الآية ١٦٢ — ١٦٣ ،

والماوردي يطلب من الانسان ان يسعى في طلب العلم
ويبذل من نفسه وجهده ووقته من أجل هذا ، فالعلم : —
" عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة
ومن كان صادق النية فيه ، لم يكن له همة
فيما يجد بدا منه .

قال بعض البلغاء : —

من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن
تسلى بالكتب لم تفتته سلوة ، ومن آنس
قراءة القرآن ، لم توحشه مفارقة الأخوان" (١)
ومن الظواهر التي ناقشها الماوردي ظاهرة التقليد التي
كانت شائعة في عصره فهو يحذر منها ويبين أخطارها وينبه المتعلم
أن لا يبالغ باحترام المعلم العالم بحيث ينتهي الى تقليده ويسوق
الامثلة الحية في هذا المجال ، من ذلك قوله : —
" ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلا يناظر
في مجلس حفل ، وقد استدل عليه الخصم
بدلالة صحيحة ، فكان جوابه عنها ان قال :
" ان هذه دلالة فاسدة ، ووجه فسادها
ان شيخنا لم يذكرها ، ومالم يذكره
الشيخ لا خير فيه . " (٢) .
سعادة الطالب ونجاح المتعلم : —

ويقدم الماوردي تسعة شروط أساسية اذا تمت واكتملت عند

(١) الماوردي ، المرجع السابق ، ص : ٩٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٧٨ .

الطالب كان أسعد طالب وأنجح متعلم وهي :- (١)

- (١) العقل الذى يدرك به حقائق الأمور .
 - (٢) الفطنة التى يتصور بها غوامض العلوم .
 - (٣) الذكاء الذى يستقر به حفظ ما تصوره ما عمله .
 - (٤) الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا يسرع اليها الملل .
 - (٥) الاكتفاء بمادة تغنيه من كلف الطلب .
 - (٦) الفراغ الذى يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار .
 - (٧) عدم القواطع المذهله من هموم واشغال وأمراض .
 - (٨) طول العمر واتساع المدة لينتهى به الاستكثار الى مراتب الكمال
 - (٩) الظفر بعالم سمح بعلمه ، متأن بتعليمه .
- أهداف التعليم عند الماوردى : —

بعد كل هذا العرض لبعض ما جاء فى كتاب الماوردى . أدب الدنيا والدين يمكن القول :- ان غرض التعليم عند الماوردى هو غرض دينى يخدمه الغرض الدنيوى ، فغاية التعليم عنده دينيه ، وقد كانت المادة المقدمة فى كتابه تخدم هذه الغاية ، فهى مادة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأقوال الحكماء والبلغاء والأدباء والشعراء انما هي لبيان فضل العلم وفوائده المعنوية وليست فوائده المادية ، فالماوردى يؤكد دائما على العائد المعنوى للعلم فهو يحقق السعادة .

"من لم يكسب بالعلم مالا ، كسب به جمالا" (٢)

ومن الامثلة الكثيرة التى يوردها الماوردى لدعم فكرته —

- (١) نفس المرجع ، ص : ٧٤ — ٧٥ .
- (٢) الماوردى مرجع سابق ص : ٤٢ .

"قل لبزر جمهر: العلم أفضل أم المال؟
فقال بل العلم، قيل: فما بالناس نرى العلماء
على أبواب الأغنياء، ولأنكاد نرى الأغنياء
على أبواب العلماء؟ فقال: ذلك لمعرفة
العلماء بمنفعة المال، وجهل الأغنياء
بفضل العلم". (١)

واكتساب العلم وحده ليس هو هدف الماوردي، ولكن هذا العلم لا بد أن ينعكس على سلوك الإنسان وعمله ولذلك ركز الماوردي على تبيان العيوب التي قد تشوب عملية التعليم وتبعدها عن الطريق الصحيح وهو يتحدث عن أخلاق العلماء ورثة الأنبياء مفصلاً. (٢)

وحين تخلص النية لله حقاً في طلب العلم فإنه يجدر بالمتعلم أن يبتعد عن بعض الآفات الأخلاقية التي قد يندفع نحوها عن غير قصد أو دون أن ينتبه إلى أنها من الأمور المعيبة، وهنا يأخذنا الماوردي إلى الساحة التي يدور الجهاد فيها من أجل العلم، إلى جلسات المناظرة وجلسات النقاش والتعلم، فمما هو مشهور عن علماء المسلمين حرصهم على عمومية العلم أي وجوب أن تكون الجلسات علنية والنقاش يدور في أي مكان يصلح لأن يتحلق فيه الناس حول المتحدثين وهنا يحذر الماوردي من أن يكون الباعث لطلب العلم هو الرياء أو المراءاة فقد تأخذ البعض من العلماء نزعات الرغبة في جذب الأنظار أو الشهرة فيندفع لتحقيق ذلك بوعي أو بدون مما يعرضه للأخطاء. (٣)

—: —

(١) الماوردي، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٢) نفس المرجع، ص: ٨٠ - ٨٦.

(٣) نفس المرجع، ص: ٥٣ - ٥٦.

ويرى الماوردى ان من المستحب للمتعلم أن يتخذ من التواضع
صفة له ، واذا كان الامر يتطلب أن يتصدى لمناظرة غيره فعليه أن يتقن
ما يقول وعليه ألا يعتمد الى جذب الانظار فقط ، فعند الامتحان يكرم
المرء أو يهان وليس هناك أصعب على المرء من مناظرة يفهم فيها
ولا يستطيع أن يجد جوابا . (١)

ومما يحذر منه الماوردى الاختلاف بين القول والعمل ، فلا بد
أن يكون المتعلم حريصا على ان يستفيد مما تعلمه فينعكس هذا على
سلوكه فان خير العلم ما نفع وخير القول ما ربح وقد لخص بعض البلغاء
ما ينبغى ان يكون من علاقة بين القول والفعل حيث رأى ان :-

" من تمام العلم استعماله ومن تمام العمل

استقلاله فمن استعمل علمه لم يخل من

رشاد ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد " (٢)

ومن المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان " حسن
السؤال نصف العلم " ومع هذا فمما يروى عن الرسول صلى الله عليه
وسلم ايضا نهيه عن كثرة السؤال ، ومن ثم فعلى طالب العلم ألا يكثُر
من الاسئلة الا اذا كان المقصود من سوءاله تعلم ما يجهل أو ازالة
شبهة أو دفع شك ففى كثرة السؤال ارهاق للعالم وربما أيضا
يفتح الطريق أمام الشكوك والحيرة لمن يتقدموا فى العلم بعد (٣) .
ومما يرويه الماوردى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :-
" العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فانما يؤجر

— :

(١) نفس المرجع ، ص : ٥٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٨٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٧٨ — ٧٩ .

فى العلم ثلاثة ، القائل والمستمع وآخذ " (١) . فطالب العلم المستمع له والخافظ انما يؤجر على هذا ، وبالمثل حامل العلم وموصله الى غيره فان له على ما يفعله الأجر والثواب .

واذا كان طلب العلم فى ذاته فضيلة ونفعه المعنوى لا جدال فيه فان الماوردى يحصر على تأكيد ذلك عن طريق ايراد الأقوال المتعددة ليشهد بها على ما يريد ، ومما يورده فى هذا قولة عبد الملك بن مروان لبنيه : —

" يا بنى تعلموا العلم فان كنتم سادة فكنتم
وان كنتم وسطا سدتكم وان كنتم سوقة
عشتم " (٢) .

وحقيقة الأمر ان الماوردى فى ايراده لفضائل العلم المعنوية وافاضته فى الحديث عنها انما يقدمها لنا كأقوال سائدة وأوصاف معروفة وكأن تداول هذه الأقوال والحكم فى ذاته انما هو دلالة على ما يقول فهو حين يورد قول البلغاء .

" تعلم العلم فانه يقومك ويسدك صغيرا
ويقدمك ويسودك كبيرا ويصلح زيفك وفاسدك
ويبرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك
ويصح همك وأملك " (٣) .

لا يشرح لنا كيف تتم كل تلك العمليات التربوية من خلال العلم انما هى الأقوال البليغة الموجزة التى ربما تحمل خلاصة تجارب كثيرة ولكنها لا تعدو عن أنها مجرد أقوال .

(١) الماوردى ، مرجع سابق ، ص : ٢٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٤١ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٤١ — ٤٢ .

أهداف التعليم عند الغزالي :-

كانت حياة الغزالي أبي حامد محمد بن محمد الغزالي : قصيرة ولكنها كانت عاصفة ، فهو لم يعمر سوى خمس وخمسين سنة ، ولد في مدينة طوس سنة ٤٥٠ هـ ، فقد أباه صغيرا ، انقطع للعلم والتفقه في الدين متلمذا على أيدي كبار علماء عصره كامام الحرمين ابي المعالي الجويني فقد لازمه في نيسابور من سنة ٤٧٠ هـ حتى وفاته سنة ٤٧٨ هـ وأخذ عنه الفقه وعلم الكلام والجدل والمنطق وشيئا من الفلسفة ، وبعد موت الجويني انطلق الغزالي في مضمار العلم واثقا من نفسه وقد لقي من الوزير السلجوقي نظام الملك كل حفاوة وتقدير واستعان به الوزير في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على الباطنية ، وقد ولاه منصب التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقبل عليه الطلاب اقبالا عظيما واتسعت حلقاته وذاع صيته حتى لقب بامام أهل العراق غير ان استمتاعه بهذا المجد لم يدم اكثر من أربع سنوات فانتابته سـنـة ٤٨٨ هـ أزمة نفسية خطيرة أفسدت عليه حياته العاطفية واستقراره النفسى وقد كتب في هذه الفترة كتابه المنقذ من الضلال متجاوزا تلك الأزمـة الحادة معترفا بأن اندفاعه في خدمة السلطة السياسية لم يكن مما يرضى الله أو يتفق مع ضميره الدينى الحقيقى وأنه بعمله هذا انـما صار طالب دنيا لا طالب دين .

خرج الغزالي من بغداد متوجها الى الشام فبيت المقدس فمدينة الخليل لزيارة قبر ابراهيم عليه السلام ثم الى الحجاز لتأديـة فريضة الحج ثم الى مصر للسفر منها الى المغرب لملاقاة الامير يوسف بن تاشفين الذى توفي قبل توجه الغزالي اليه فرجع الى مدينة طـوس

للتفرغ للعبادة والعلم، وفي هذه الفترة استدعاه فخر الملك ابن نظام الملك عام ٤٩٩ هـ للتدريس في نظامية نيسابور ولم يزد عمله فيها عن سنتين عاد الغزالي بعدها الى طوس وكرس بقية حياته لخدمة طلبية العلم ومخالطة الصوفية وأهل الحديث، وفي الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ انتقل الغزالي الى جوار ربه (١)

لعل أهم كتابين سنتعرض لهما عند الحديث عن التربية والتعليم عند الغزالي هما : احياء علوم الدين ورسالته التربوية أيها الولد فهو في هذين المؤلفين يتعامل تعاملًا مباشرًا مع التربية . (٢)
لقد وضع الغزالي نظريته التربوية في رسالته أيها الولد قبل بعض المبادئ التربوية التي تعرض لها في كتابه احياء علوم الدين . (٣)
وهدف التربية عند الغزالي تحقيق السعادة للإنسان في الحياة الآخرة، ومن تضافر العلم والعمل ينتج تغيير في السلوك الانساني يحقق تلك السعادة، وأن تغيير السلوك لا يتم الا بالتعليم ولهذا كانت مهنة التعليم أشرف المهن وهذا أمر يستدعي ان يكون التعليم وثيق الصلة بحاجات المجتمع والتعليم يقوم باعداد أفراد يجتهدون في تحقيق حياة اجتماعية تتوفر فيها متطلبات الحياة الدنيا ويريأعون فيما يعملون أو امر الله وتوجيهاته . (٤)

— : —

- (١) السبكي ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص : ١٩١ - ٣٨٩ .
- (٢) محمد جواد رضا ، الفكر التربوي الاسلامي ، الكويت : دار الفكر العربي ، ١٩٨٠ م ، ص : ١١٦ .
- (٣) نفس المرجع .
- (٤) ماجد عرسان الكيلاني ، مرجع سابق ، ص : ١٥٧ - ١٥٨ .

ويعتبر الغزالي العلم والعمل من أهم القيم التي تساعد على ترقية النفس الانسانية لتتصل بخالقها وتنال سعادتها وتفوز بالجنة في الآخرة، ويؤكد الغزالي على التلازم بين العلم والعمل فالعلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون . (١)

والزهد، عند الغزالي، أسلوب تربوي لتنقية القلب وترقية النفس وهو ليس انقطاعا تاما عن الدنيا لكنه ترفع عن الشهوات . (٢) .
منهاج وأساليب التربية عند الامام الغزالي :

يستمد الامام الغزالي نظريته الى التربية من التصور الاسلامي الشامل، ويستند الامام الغزالي في كل توجيهاته الى القرآن الكريم والا حاديث النبوية واقوال السلف الصالح .
والمنهاج عند الغزالي صرح متكامل تتكامل فيه العلوم الدينية والمهن الدنيوية، فهو لا يريد من العالم أن يقتصر في علمه على العلوم الشرعية فحسب، ولا يريد من المتعلم بالعلوم المادية والنظريه أن يضيع عمره فيما لا ينفعه في الآخرة، فلا تدرك العلوم الشرعية الا بالعلوم العقلية فالاولى غذاء والثانية دواء . (٣) .

— : —

(١) عبد الحفيظ البريزات: نظرية التربية الخلقية عند الغزالي

عمان : دار الفرقان د . ت . ص : ٨٣ .

(٢) نفس المرجع، ص : ٨٣ — ٨٤ .

(٣) ماجد عرسان الكيلاني، المرجع السابق، ص : ١٥٩ .

ولذلك يقسم الغزالي العلوم الى قسمين :-
العلم الذى هو فرض عين ، والعلم المفروض فرض كفاية .
" ويشمل القسم الاول وهو المباحث الاجبارية على علم التوحيد وعلم تهذيب النفس ، وعلم الشريعة " .
" ويشمل القسم الثانى وهو المباحث الاختيارية على الطب والحساب والمهن الصناعية والسياسة والنحو ، والتفسير والفقه " (١) -
وهو بذلك يؤكد على الجانب الدينى من المنهج ويجعل العلوم العقلية والعملية فى خدمة هذا الجانب ، فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح .
فالمحمود ، من العلوم العقلية ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب ، فالطب ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ، والحساب ضرورى فى المعاملات والوصايا والموارث .
وأما المذموم منها فعلم السحر والطلاسم و الشـعـبـة والتلبسات .
وأما المباح منها فالعلم بالاشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى مجراه . (٢) .
وأما العلوم الشرعية فهى محدودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية فتكون مذمومة ، وهذه العلوم أربعة أضرب :

— : —

(١) نفس المرجع ، ص : ١٦٠ .

(٢) محمود جواد رضا ، مرجع سابق ، ص : ١٢١ - ١٢٢ .

الضرب الاول : الاصول : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع الأمة ، وآثار الصحابة .

الضرب الثانى : الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول .

الضرب الثالث : المقدمات : وهى التى تجرى مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة نبيه ، وفيها علم كتابة الخط .

الضرب الرابع : المتممات : وذلك فى علم القرآن كتعلم القراءات ومخارج الحروف وما يتعلق باحكامه كمعرفة النسخ والمنسوخ "ومن المتممات أيضا العلم بالرجال واسمائهم وأنسابهم واسماء الصحابة وصفاتهم" (١) .

ميادين المنهاج عند الغزالى : —

تكاد الميادين التى حددها الغزالى تتطابق مع الميادين الى حددتها الأصول التربوية الاولى فى القرآن الكريم والسنة الشريفة (٢) وأهم هذه الميادين : بناء العقيدة الاسلامية ويمثل هذا الميدان محتويات عدد من الكتب التى ألفها الغزالى والتى درسها لطلابه ، ولعل أبرز هذه الكتب كتاب الحكمة من مخلوقات الله عز وجل وقد اشتمل الكتاب على ابواب كثيرة منها : التفكير فى خلق السماء وفى هذا

— : —

(١) نفس المرجع ، ص : ١٢٢ — ١٢٣ .

(٢) ماجد عرسان الكيلانى ، مرجع سابق ، ص : ١٦٠ — ١٦١ .

العالم — فى حكمة الشمس — حكمة القمر والكواكب — حكمة خلق الأرض وقد عرض هذه الموضوعات بأسلوبه القائم على تشريح الأجسام وتحليل عمل الأجرام وبيان وتناسق وظائف كل عضو بغية إبراز دقة الخليقة وحكمتها . (١) .

أما الميدان الثانى فهو ميدان التزكية واشهر كتاب يمثل هذا الميدان هو كتابه احياء علوم الدين .

"والتزكية عند الغزالى عملية تربوية تهدف الى الارتقاء بالانسان من مستوى الخضوع للشهوات الى مقام العبودية لله عند ما يتحرر الانسان من كل الاهواء ويتصرف طبقا لما يريد الله سبحانه وتعالى" . (٢) .

"وتزكية النفس تكون بأمرين : الابتعاد عن المعاصى وممارسة الطاعات . ولما كانت مداخل النفس صعبة ومعقدة فقد احتاجت التزكية الى مربين مختصين وشيوخ عارفين أحوال النفس ومدارجها" . (٣) .

وبوسائل التزكية التى يذكرها الغزالى ترتقى النفس الى مقام العبودية لله . (٤) .

وتزكية النفس اجبارية لكل متعلم ، ولقد طبق الغزالى هذا المنهج على نفسه عندما هجر التدريس فى المدارس النظامية وهجر الاهل والناس والوطن حوالى أحد عشر عاما قضاها فى الدراسة والعبادة والخلوة

— :

(١) نفس المراجع ، ص : ١٦١ — ١٦٢ .

(٢) نفس المراجع ، ص : ١٦٢ .

(٣) نفس المراجع ، ص : ١٦٣ .

(٤) نفس المراجع ، ص : ١٦٤ .

حتى وصل الى العبودية ، فعاد الى بلده طوس ليدرس منهجه
المستقل كما يراه . (١) .

أما الميدان الثالث من ميادين التربية عند الغزالي فهو
دراسة القرآن الكريم وما اشتمل عليه من انظمة ، ومبادئ تربوية
عظيمة وهامة . (٢) .

" والميدان الرابع هو ميدان الاعداد الوظيفي أو ميدان -
الحكمة : ويتدرج تحت هذا الميدان حسن التدبير ، وجودة الذهن
ونقاية الرأي ، وصواب الظن . "

وحسن التدبير ، كما يعرفه " هو جودة الروية في استنباط
ما هو الاصلح والافضل في تحصيل الخيرات العظيمة والغايات
الشريفة مما يتعلق بالفرد في تدبير منزل أو مدينة أو مقاومة
عدو ودفع شر " .

وأما جودة الذهن فهو القدرة على صواب الحكم
عند اشتباه الآراء .

" وأما نقاية الرأي فهي سرعة الوقوف على الاسباب الموصلة
في الامور الى العواقب المحمودة " .

" وأما صواب الذهن فهو موافقة الحق لما تقتضيه المشاهدات

— : —

(١) نفس المرجع .

(٢) نفس المرجع .

" وإلى جانب هذه الميادين الأربعة فقد انتبه الغزالي إلى
المهارات الدراسية مثل : —

مهارة اللفظ وحسن الخط وجمال المظهر" . (١)

وخلاصة الأمر : —

ان هدف التعليم عند الغزالي هو تحقيق العبودية
لله في حياة الانسان الفردية والاجتماعية .

رابعاً : مراحل التعليم :-

يحاول احمد شلبى أن يجعل مراحل التعليم عند المسلمين فى القرن الرابع والخامس الهجريين قريبه جدا من المراحل الاربعه المعروفه فى العصر الحالى وهى :-
التعليم الابتدائى - التعليم الثانوى - التعليم الجامعى - الدراسات العليا ، ويقول فى محور حديثه عن هذا الموضوع :-
"صحيح أنهم لم يضعوا الحدود الفاصلة بين كل مرحلة وأخرى كما هو متبع فى العهد الحاضر ولكنهم التقوا بهذا التطور الطبيعى فاتبعوه فى معاهدهم" . (١)

ويحاول احمد شلبى ان يربط بين مراحل التعليم هذه وبين المراحل التى يمر بها طالب العلم بدءاً من الكتاب فيقول :-
" فقد وجد التعليم الابتدائى فى الكتاب حيث كان التلاميذ يتلقون مبادئ عامة فى الموضوعات أما التعليم الذى يشبه التعليم فى المرحلة الجامعية فى العهد الحديث فقد وجد فى دكاكين الوراقين ومنازل العلماء والصالونات الادبيه " . (٢)

(١) . احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٣٧٨ .

(٢) . نفس المرجع ، ص : ٣٨٠ .

وهو لا يصل الى رأى الشائع الذى يجعل التعليم فى المسجد فى مستوى التعليم الجامعي فقط، فالمسجد وجدت فيه المرحلتان الثانية والثالثة فالمسجد فى حلقاته اتسع للنوعين معا :- التعليم الثانوى والتعليم الجامعي فليست كل الحلقات المعقودة فى المسجد فى مستوى واحد، ويذكر المؤلف هنا كلام ابن جبير عن مسجد دمشق الذى يفيد بأن المراحل الثلاث وجدت فى هذا المسجد اذ ينص أن الصبيان كان لهم موضع فيه يقرأون القرآن ويتلقون مبادئ العلوم، وعند الحديث عن الكتاتيب ذكرنا ان بعض معلمى الكتاتيب كانوا يتخذون من المسجد مكانا لتعليم الصبيان. (١).

"وعلى هذا فان الصبى المسلم يتلقى تعليمه الابتدائى فى الكتاب، ثم يلتحق فى المسجد بحلقة من الحلقات التى تدرس بها كتب سهلة التناول فاذا قطع فى هذه المرحلة شوطا بعيدا يلتحق بحلقات أخرى فى المسجد نفسه أو غيره حيث يجلس الى الشيوخ المشاهير الذين يدرسون كتباً عالية المستوى كثيرة التفاصيل والعمق". (٢).

ويرى أحمد شلبى انه بظهور المدارس فى العالم الاسلامى، تحدد المستوى الدراسى فيها بمرحلتين وذلك يتوقف على مستوى المدرسين فى

—:—

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) نفس المرجع ، ص: ٣٨١ .

كل مدرسة فاذا تركت المدرسة للمعידين أو اذا عين فيها مدرس غير متبحر في العلوم فهي ، في رأيه في مستوى التعليم الثانوى واذ اتيح لهذه المدرسة نفسها ان يعين فيها مدرس فذ من المعروفين بسعة الاطلاع فان مستوى المدرسة يرتفع الى مستوى التعليم الجامعى . (١) .

كما انه يرى ان المدارس النظامية كانت جامعية المستوى ذلك لأنها ما كان يعين بها الاخيرة الشيوخ ومشاهير العلماء . (٢) .
أما المرحلة الرابعة في عصور الازدهار، وهى مرحلة الابحاث والدرسات العليا، فقد عرفها العالم الاسلامى أيضا ، ويروى لنا ما ذكره ابن الانبارى في طبقات الأدباء .

"من أن امير المؤمنين المأمون أمر الفـراء
أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من
العرب، وأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار
وصير له الوراقين وألزمه الأمانة والمنقذين لئلا يفسدوه
بما يحتاجه من كتب، ووكل به خدما للقيام بما
يحتاج اليه، فجعل الوراقين يكتبون عنه حتى
صنف كتاب المعانى، وأمر المأمون به فكتب
في الخزائن، ثم خرج الفراء الى الناس ليملى
عليهم ذلك النتاج " . (٣) .

انها اذن مرحلة للتفرغ العلمى عرفها العرب المسلمون الاوائل
تشبه التفرغ للتأليف او الدراسة العليا للحصول على أعلى الدرجات العلمية

-:

(١) احمد شلبى مرجع سابق ، ص: ٣٨١ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع ، ص: ٣٨٢ .

ولكن معظم الدارسين المعاصرين يرون أن للتربية الإسلامية فى القرون الماضية منهجان : منهج خاص بالتعليم الابتدائى ، ومنهج للتعليم العالى ، وهم يرون ان التعليم الابتدائى يمتد الى نهاية مرحلة التعليم الثانوى . (١)

خامسا : تعليم الخاصة :-

كان من عادة الخلفاء أو الملوك تعليم ابنائهم فى قصورهم وتحته اشرافهم ورعايتهم ، فقد وجد نوع من التعليم الابتدائى بقصور الخلفاء والعظماء ، ولم يكن يطلق على من يقوم بهذه المهمة التربية الخاصة أسم المعلم وانما يطلق عليه لفظ مؤدب ، ويبقى المتعلم يتلقى العلم على يدى مؤدبه الذى يختاره له والده حتى يجاوز عهد الصبى وينتقل الى مستوى الطالب فى حلقات المساجد أو المدارس . (٢) .

ويختلف هذا التعليم عن غيره بأن المؤدب قد يخص له جناح فى القصر يعيش فيه ليكون اشرافه على تلميذه الأمير أحكم وأشمل كما أن المؤدب يربى عقل الولد وقلبه وجسمه ، وقد يكون منهج التعليم لهذه الطبقة مرتبنتا فى أسسه العامة بمنهاج التعليم الذى وضع اساسا لجميع الصبيان مع ملاحظة ما يطلبه الوالد من حذف أو اضافة يتمشى مع الأهداف والمسؤوليات التى ستواجه هذا الصبى فى مستقبل حياته ، كان ذلك يأتى على لسان الوالد الذى يحدد للمؤدب بعض ما يريد (٣)

— : —

(١) على الجمبلاطى ، مرجع سابق ، ص : ٤٣ .

(٢) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٥٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٥٩ - ٦٠ .

وكانت وظيفة المؤدب تخلع على صاحبها حلة الجلال والاحترام وتضع من يشتغل بها في مكانه مرموقة في المجتمع، ومع ذلك فإن بعض العلماء قد يرفض العمل في هذا المنصب، فقد رفض الخليل ابن احمد طلب الوزير سليمان بن علي لتأديب ولده. (٢) ولكن كل الدلائل والنصوص تفيد ان تأديب اولاد الخاصة صبيانا أو كبارا كان عملا عظيما ويبرز احمد شلبي رفض الخليل بن احمد للعمل كمؤدب بأن ذلك لم يكن تهاونا بالعمل وانما كان بدافع الزهد والسورع. (٢).

ويورد احمد شلبي قائمة باسماء المؤدبين المعروفين مع اسماء التلاميذ الذين تفرغوا لتعليمهم. (٣).
ومن أبرز هؤلاء المؤدبين :- (٤).

الكسائي مؤدب الرشيد وولديه، وعبد الله بن المقفع مؤدب اولاد اسماعيل بن علي، والفراء مؤدب العباس بن المأمون وابن السكيت مؤدب ابناء الخليفة المتوكل، وشعلب مؤدب بن المعتز والمبرد مؤدب عبد الله بن المعتز، والزجاج مؤدب اولاد المعتضد.
سادسا : تعليم المرأة :-

يقرر شلبي حقيقة لم يشأ أن يعترف بها كثير من الكتاب المسلمين وهي

— : —

- (١) نفس المرجع ، ص : ٦١ .
- (٢) نفس المرجع ، ص : ٢٢٥ — ٢٢٦ .
- (٣) نفس المرجع ، ص : ٢٢٧ .
- (٤) نفس المرجع .

" ان التعليم بين النساء لم يكن منتشرًا انتشارًا
بين الرجال وكانت نسبة المتعلّقات بيــــن
النساء أقل بكثير جدًا من نسبة المتعلّمين
بين الرجال " . (١) .

ويعتمد المؤلف :-

" ان الذى عاق النساء المسلمات عن مجاراة
الرجال فى التعلّم انما هو الصعوبات التى
كان يستهدف لها طلاب العلم فقد كانت
الرحلات والحرمان والتقصّف شارات الطالب
المسلم " . (٢) .

ولكن من المسلم به ان الدين الاسلامى كان يحث على تعليم
المرأة كما كان يحث على تعليم الرجل ، فهو يسوى بين الرجل والمرأة فى
الامور الروحية والواجبات الدينية ، وقد جعل الرسول الكريم صلى الله
عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه ، من غير تفرقة
بينهما ، وعندما ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية كانت هناك نساء
يعرفن القراءة والكتابة كالسيدة حفصة زوج النّبى صلى الله عليه وسلم
وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقرأ المصحف ، وهى التى قال :-
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خذوا نصف دينكم عن هذه
الحميراء " . وهى التى قال عنها عروة بن الزبير : ما رأيت احدا اعلم
بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ، وهى التى روت عن النبى صلى الله
عليه وسلم الف حديث .

ويروى البلاذرى أنه عند مجيئ الاسلام كان هناك خمسة من
نساء العرب يقرأن ويكتبن ، وهن : حفصة بنت عمر ، وأم كلثوم بنت عقبة
وعائشة بنت سعد ، وكريمة بنت المقداد ، والشفاء بنت عبد الله العدوى :-

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٣٢٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٣٠ .

التي كانت تعلم حفصة وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم منها أن تستمر في تعليمها لحفصة حتى يعد زواج الرسول صلى الله عليه وسلم منها- (١)
ويروى البخارى فى صحيحه ان النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم
" غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فعين لهن يوما
يلقاهن فيه ويعلمهن " .
أين كانت تتعلم الفتاة المسلمة فى القرن الخامس الهجرى ؟ .

يقول الأهوانى :-

" ان البنات كن يتعلمن فى الكتاتيب " . (١)

وفى مكان آخر من الكتاب نفسه يقول أيضا ان العادة قد

جرت على " تعليم البنات داخل الدور " . (٣)

ويؤكد احمد شلبى ان البنت لم تلتحق بالكتاب وكان الغالب
ان تتعلم فى المنزل عن طريق احد اقاربها أو بموءدب خاص يدعى لها . (٤)
ويذهب احمد شلبى الى ان البنت الحرة لم تتردد على
الكتاب وقد تكون بعض الجوارى قد تعلمن بالكتاب ولم يكن المراد
بتعليم الجوارى هو الثقافة بقدر ما كان يراد به رفع اثمانهن
بتعليمهن الكتابة . (٥)

(١) البلاذرى ، مرجع سابق ، ص: ٤٥٨ .

(٢) احمد فؤاد الأهوانى ، مرجع سابق ، ص: ١٠٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) احمد شلبى ، المرجع السابق ، ص: ٣٣٢ .

(٥) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص: ٣٣١ - ٣٣٢ .

ويبدو أن خطر فساد البنات لاختلاطهن بالذكور جعل الكثيرين يفضلن تعليمهن على حدة، ورغم أن الفقهاء ومنهم القابسي قرروا تعليم البنات للضرورة الدينية فإن البنات كن يتعلمن أما في قصور الأغنياء وهم القادرون على استحضار المؤدبين، وأما في الكتاتيب لعامة الشعب (١) فالقابسي، وهو من علماء القرن الرابع الهجري، يعبر عن روح عصره عندما ينصح بعدم تعليم البنات الكتابة والخط خشية فسادها وقبل ذلك كان الجاحظ يرى ذلك أيضا فقد ذكر في البيان والتبيين :-
"لاتعلموا بناتكم الكتابة، ولا ترووهن الشعر وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور".

ويرجح محمد عطية الأبراشي أن هناك رأيين متناقضين في تعليم المرأة في الإسلام في عصور الازدهار (٢).
الاول ينادى بتعليم المرأة دونما تفرقة بين الرجل والمرأة .
الثاني يقول بتعليم المرأة القرآن وعلوم الدين وينهى عن تعليمها الكتابة والشعر .

ويبدو أن الرأي الاول هو الذي انتصر في نهاية الامر فنالت المرأة قسطا عظيما من التربية والتعليم فكانت هناك : الكاتبة والشاعرة والطبيبة والمعلمة، وقد ساهمت المرأة المسلمة وشاكرت

-: _____

(١) احمد فؤاد الأهواني ، مرجع سابق ، ص: ١٠٥ .

(٢) محمد عطية الأبراشي ، مرجع سابق ، ص: ١٢٦ .

فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية .
لقد حاول بعض المستشرقين فى العصر الحديث نشر فكرة
خاطئة أساسا وهى ان جهل المرأة المسلمة يرجع الى اسباب دينيه
وتقاليد اجتماعية، رغم ان كتب التاريخ تحفل باسماء العديديات من
النساء المسلمات اللواتى يحق للمرأة المسلمة فى هذا العصر
أن تفخر بهن .

ونحن نرى ان تعليم المرأة فى العصور الاسلامية الأولى وفى
أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى أوج ازدهاره وعندما
ظهرت آراء الفقهاء وتبلورت فى القرنين الرابع والخامس الهجريين
انحسرت موجة الحماس لتعليم المرأة ، وعندما نستعرض كتب التاريخ
وكتب الأدب فى القرون الثلاثة الأولى نجد ان للمرأة المسلمة دورا
عظيما فى الحياة الاجتماعية والأدبية والعلمية وحتى فى الحياة
السياسية .

ثالثا : المعلمون :-

يقف المعلم دائما في مقدمة العمل التربوي من حيث قيادته له ، ولعل من أخطر المسؤوليات تلك التي تناط بعهدة المربي حيث توكل اليه مهمة تربية مجموعة من الأطفال تربية اسلامية صحيحة ، فهي مسؤولية يتحمل المعلم نتائجها أمام الله تعالى فهو يسعى الى رضى الله وذلك بأداء الواجب الملقى على كاهله على أحسن وأكمل وجه ، وانها أمانة ومسؤولية ثقيلة حقا ، لذلك كانت عناية مفكرى التربية بدور المعلم ووظائفه ومسؤولياته فهم يبرزون دور المعلم ومكانته وواجباته في بناء الانسان المسلم .

" وقد عنى المسلمون منذ العصر الاول بتلقى العلم عن المدرسين عناية ملحوظة وكرهوا كراهة شديدة ان يتلقى الطالب العلم عن الكتب وحدها . " (١) .

وقد قسم الباحثون المعاصرون طوائف المعلمين الى ثلاث فئات هي :- (٢) .

- (١) معلموا الكتاتيب .
- (٢) المؤدبون .
- (٣) المعلمون بالمساجد والمدارس أو المعلمون العلماء . (٣)

— : —

- (١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٢٠٩ .
- (٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٩ .
- (٣) حسن عبد العال ، مرجع سابق ، ص : ٢٥٥ .

ويكاد يتفق معظم هؤلاء الباحثين بأن المعلمين في المدارس كانوا موضع تقدير واجلال واحترام، وكذلك المؤدبون لأولاد الخلفاء والعظماء والأمراء . (١)

ولكن النظرة الى معلمى الكتاتيب كانت لا تتسم بالتقدير والاحترام . (٢) حتى أن هؤلاء كان قد ضرب فيهم المثل بالحقق فى أمثال العامة أحق من معلم كتاب . (٣) ويبدو أن لبعض معلمى الكتاتيب تصرفات مع تلاميذهم تدعوا الى الضحك أو السخرية وقد حفلت بعض كتب النوادر والطرائف مثل محاضرات الأدباء للاصفهاني ببعض هذه القصص التى قد تكون مختلفة أو مبالغ فيها لاثارة الضحك والحظ من قدر هذه الفئة فى المجتمع . (٤)

وقد أراد بعض الباحثين أن يرد سبب ذلك الى نظرة العرب منذ العهد الأول لمعلمى القراءة والكتابة الذين كانوا من الذميين ، تلك النظرة التى كانت تتسم بالاحتقار والازدراء . (٥) ولكن هذا الرأى يبدو لنا بعيدا عن الحقيقة والواقع فالمسلمون الأوائل لم يكونوا يحطون من شأن الذميين أو ينظرون اليهم نظرة احتقار تجعلهم يحتقرون من خلالها معلمى الكتاتيب على الاطلاق ، فالاسلام لا يقبل منهم ذلك ، وولاة الأمور أيضا لا يمكن أن يوافقوهم على هذه النظرة .

— :

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٢٢٥ - ٢٢٨ .

(٢) حسن عبد العال ، المرجع السابق ، ص : ٢٥٥ .

(٣) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٢١٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ٢٢٠ .

(٥) نفس المرجع ، ص : ٢٢٤ .

لكن تفسيرا آخر للباحث نفسه يبدو لنا أقرب الى العقل والمنطق ، فالأرجح أن معظم هؤلاء المعلمين الذين احترفوا مهنة التعليم في الكتاتيب كانوا ذوي ثقافة ضحلة على الغالب ، فهم يحفظون القرآن ولكن ليست لهم معرفة بعلومه . (١) وهم يأخذون أجرا على تعليم القرآن وهذا يسقط المروءة ، في رأى الكثيرين ، آنذاك . (٢) . وهم ينتهزون فرصة كونهم حملة القرآن ليحترفوا الشهادة وليأخذوا أجرا على تأديتها حتى أن البعض كان قد حذر من قبول شهادات هؤلاء . (٣) كل هذه الأمور مجتمعة كانت قد جلبت السمعة الرديئة الى هذه الطائفة عموما . (٤) .

واذا كان المعلم في الصدر الأول للإسلام لم يكن يعمل بالتعليم حبا أو طمعا في مال أو سمعة ، حيث كانت الروح الدينية الصادقة لا زالت عميقة في النفوس ، فإن المعلم في العصور التالية كان يطلب المال ليعيش أو السمعة ليرتفع قدره . (٥) . ويعزو أحد الباحثين المعاصرين ذلك الى أن :-
شخصية المعلم الخلقية كانت متصلة اتصالا وثيقا بالحالة الاقتصادية السائدة في المجتمع واختلال الميزان الاقتصادي بين الطبقات الرفيعة والدنيا ، هو الذى أدى مع الزمن الى تحول المعلمين وغيرهم من أصحاب الصناعات الدينية والعقلية الى البحث عن المادة والانصراف عن العلم الصحيح والروح الدينية الحق . (٦) .

-
- (١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٢٢٢ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .
(٤) نفس المرجع .
(٥) احمد فؤاد الأهواني ، مرجع سابق ، ص : ٢٠٤ .
(٦) نفس المرجع السابق ، ص : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

والباحث هنا كان يتحدث عن حالة المعلم في القرن الرابع الهجرى عندما أجاز القابسى للمعلم أن يأخذ أجرا مناسباً على عمله، ولكنه حذر في الوقت نفسه من انصراف المعلم الى عمل آخر يشغله عن تعليم الصبيان . (١) .

وقد كانت أجور المعلمين من القضايا التى دار حولها كثير من الجدل على العصور، فقد كان تعليم القرآن الكريم فى الصدر الأول من الاسلام تطوعا واختيارا، وكان الصحابة يقرؤون القرآن ويفسرونه للناس دونما مقابل مادية، فهم لا يريدون الا الثواب عند الله، بل كانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن شيئا . (٢) .

وبعد أن انتشر الاسلام وأصبح من الصعب وجود من يعلم للمسلمين أولادهم كان لابد من الاستعانة بمن يكفيهم تعليم أولادهم بأجر مناسب يغنى المعلم عن عمل آخر يلتبس منه أسباب العيش . (٣) .

وقد اتفق فى العصور الماضية على جواز أخذ الأجر، وقد كان هذا الأجر منخفضا جدا وكان المعلمون أقل رجال الدولة أجرا . (٤) . ويبدو أن هذه الأجور تختلف باختلاف منزلة المعلم العلمية والأدبية، فمعلموا الكتاتيب كانت أجورهم بسيطة متواضعة على حين كانت أجور المؤدبين مرتفعة ومناسبة، وقد كان المؤدبون

-:

(١) نفس المرجع ، ص: ٢٠٤ .

(٢) على الجمبلاطى ، مرجع سابق ، ص: ١٦ .

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع .

فى الاسلام على درجة من الرءاء وحسن الخال بسبب ما يـرد اليهم من العطايا والهبات من الأمراء والخلفاء . (١) .

واذا كان دفع المرتبات للمدرسين قد أصبح شيئا عاديا بعد ظهور المدارس فى القرن الخامس الهجرى فان كثيرا من العلماء والزهاد ظلوا يبتغون من تعليمهم مرضاة الله وثوابه . (٢) .

وكانت أجور الدراسة فى الكتاتيب متروكة لحالة الطفل نفسه وطاقة أهله المادية ، فهناك مبلغ زهيد من المال يقدم للمعلم أسبوعيا أو شهريا وهناك مبلغ قليل آخر يدفع فى مناسبات الأعياد والمواسم ، وكان الطفل يقدم لمعلمه شيئا لتكريمه وشكره كلما تقدم فى حفظ سورة من القرآن الكريم وفى حال ختمه للقرآن يكرم معلم الكتاب أجمل تكريم وقد يشمل العطاء شيئا من الكساء والمال . (٣) .

ويرى بعض الباحثين أنه فى بعض الحالات الخاصة قد يكون مستوى معلم الكتاب المالى جيدا . (٤) .

أما معلموا المدارس فيبدو أنهم كانوا يعيشون فى بحبوحة ويسر وكان مستواهم المالى مرموقا ، وكانت مرتباتهم شهرية منتظمة تدفع لهم من الخزينة العامة للدولة أو من واردات بعض الأوقاف التى توقف أحيانا لمدرسة من المدارس لينفق ريعها على هذه المدرسة بكل تجهيزاتها ولوازمها ، وقد تختلف رواتب المدرسين

— : —

- (١) نفس المرجع السابق ، ص : ١٧ .
- (٢) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٢٣٤ — ٢٣٦ .
- (٣) نفس المرجع ، ص : ٢٤٠ — ٢٤١ .
- (٤) نفس المرجع . ص : ٢٤١ .

باختلاف مكانه المدرس العلمية والادبية . (١) .

ويشير احمد شلبي الى نوع آخر من المدرسين الذين كانوا يعلمون الثقافة العالية ويتقاضون على ذلك أجورهم من طلابهم، وكان مؤسساتهم كانت مدارس خاصة لهم، وقد نعم هؤلاء بمستوى مالى لائق . (٢) .

وقد اختلفت الآراء بين المؤرخين حول مسألة بدء ترتيب الأجور المنتظمة للمعلمين، فهناك رأى يرى أن نظام الملك هو أول من رتب الأجور للعلماء والمدرسين فى مدارس النظامية ورأى آخر أن ذلك بدأ قبل المدارس النظامية . (٣) .

وهناك رأى يقول أن الفاطميين أول من رتب أجورا منتظمة للعلماء والمعلمين، والمعروف أن العباسيين عندما شيدوا بيت الحكمة فى بغداد عينوا له العلماء والمترجمين والنساخ ورتبوا لهم المرتبات والأجور . (٤) .

اخلاق المدرسين وواجباتهم :-

اشترط المربون المسلمون الاوائل فى المعلم ان تكون لديه القدرة التى تؤهله لهذه المهمة الصعبة والشاقة، وأوجبوا على المعلم الا يتصدى للعمل بالتدريس الا اذا كان أهلا لذلك وقد كتب كثير من العلماء المسلمين الاوائل عن واجبات المعلم

— : —

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢٤٣ - ٢٤٥ .

(٢) نفس المرجع، ص: ٢٤٧ .

(٣) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص: ١٧٠ .

(٤) نفس المرجع .

ودوره وأخلاقه ومهامه ومن هؤلاء :-

- ابن سحنون من علماء القرن الثالث فى كتابه آداب المعلمين .
- والقابسى من علماء القرن الرابع فى رسالته المفصلة عن
أحوال المعلمين والمتعلمين .
- والماوردى من علماء القرن الخامس فى كتابه أدب الدنيا والدين .
- والزرنوجى من علماء القرن السادس فى كتابه تعليم المتعلم
طريق التعليم ، وغيرهم .

ويقل لنا أحمد شلبى من كتب هؤلاء وغيرهم نبذة موجزة
عن أهم ما يجب أن يتصف به المدرسون يمكن لنا أيضا أن نوجزها
فيما يأتى :- (١)

- (١) أن يكون المعلم ذا سيرة حسنة وان يبدأ بتأديب نفسه أولا .
- (٢) أن يكون مشفقا على تلاميذه وان يعاملهم معاملة بنيه .
- (٣) أن يقدم لهم النصح دائما وان يهتم باخلاق تلاميذه اهتمامه
بعقولهم .
- (٤) أن يتدرج معهم فى العلم فيختار للمبتدىء منهم المسائل
البسيطة القريبة الى الفهم .
- (٥) أن يربى فى تلاميذه ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد .
- (٦) أن لا يطيل الدرس تطويلا مملا ولا يقصره تقصيرا مخلا .
- (٧) أن لا يجاوز صوته مجلسه وألا يقصر فى اسماع الآخرين .
- (٨) أن ينظر الى تلاميذه نظرة مساواة وانصاف وعدل وألا يميز
بحال من الأحوال بين اولاد الأغنياء وأولاد الفقراء .

:- _____

(١) أحمد شلبى ، مرجع سابق ، ص : ٢٥٨ - ٢٦٠ .

- أما عن واجبات المعلم نحو طلابه كما أوردها ابن سحنون . (١) .
- (١) لا يجوز أن يشغل المعلم عن طلابه أثناء تعليمهم الا فى أوقات الراحة
- (٢) يجب أن يتفرغ لتلاميذه ولا يترك عمله الا فى حالات الضرورة القصوى
- (٣) ينبغي أن يخصص المعلم لتلاميذه وقتا لتعليم القرآن الكريم كما يعلمهم اعراب القرآن والشكل والهجاء والخط والقراءة والترتيل أما تعليم الحساب والشعر والعربية والنحو فتعليمها ليس واجبا عليه .
- (٤) لا يجوز للمعلم أن يوكل تعليم الصبية لغيره بل يجب أن يتولى ذلك بنفسه .
- (٥) لا يجوز للمعلم أن يضرب الصبى على رأسه أو وجهه ولا يجوز أن يمنع من طعامه وشرابه .
- (٦) على المعلم أن يختبر مدى تقدم صبيانه فى التعليم وأن يخصص وقتا معلوما لمراجعة حفظ القرآن الكريم كيوم الخميس مثلا وأن يعفيهم من الحضور للدراسة يوم الجمعة .
- (٧) لا يجوز للمعلم أن يعلم صبيانه قراءة القرآن الكريم بالألحان والغناء لأنه مكروه .
- (٨) يجوز للمعلم أن يجعل صبيانه يملأ بعضهم بعضا لما فى ذلك من منفعة لهم .
- (٩) لا يجوز للمعلم أن ينقل طلابه من سورة الى سورة الا اذا حفظها باعرابها وكتابتها .

— :

- (١) محمد منير مرسى ، التربية الاسلامية ، مرجع سابق ص : ٢٢٦ - ٢٢٨ ، وكذلك : احمد فؤاد الأهواني ، رسالة القابسى ملحق بكتابة التربية فى الاسلام : ص : ٣٠٧ - ٣١٥ .

- (١٠) لا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في قضاء حوائجه .
- (١١) يجب على المعلم أن يأمر الصبي بالصلاة وأن يعلمهم الوضوء والصلاة .
- (١٢) لا يجوز للمعلم تعليم الصبيان في المسجد لأنهم لا يحتفظون من النجاسة .
- كما حرص الغزالي على تحديد مجموعة من الصفات تعين المعلم على تأديته رسالته . (١) .
- ومنها : أن يكون المعلم شفيقا على المتعلمين بحيث يعاملهم معاملة بنيه والشفقة عند الغزالي هي احسان معاملة الأطفال حتى تقوى العلاقة بين المعلم والمتعلم .
- وأن لا يطالب المعلم أجرا على تعليمه مقتديا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ونظرة الغزالي حول هذا الموضوع تنبع من أن التعليم اسى من أن يقدر بمال ، ويكفى المعلم فضلا أنه يهدى الناس إلى الحق والخير والعلم .
- وينبغي على المعلم أن ينصح المتعلم بأن يطلب العلوم النافعة المفيدة ويقصد بها العلوم الدينية .
- والمعلم مثال طيب ونموذج جميل يحتذى به الصبيان لذا كان من الواجب عليه أن يكون كريم النفس موصوفا بالتسامح والفضائل والمحامد .
- وعلى المعلم أن يراعى استعدادات التلاميذ ودرجة نموهم ونضجهم الجسمي وضرورة مراعاة الفروق الفردية ، وأن يكون المعلم عاملا بعمله فلا يكذب قوله فعله بل ينبغي أن تكون اقواله مطابقة لأفعاله كما ينصح

- :

(١) على الجبلطى ، مرجع سابق ، ص : ١١١ - ١١٢ .

الغزالي المعلم بأن يدرس نفسية تلاميذه وان يحسن الظن بهم دائما .
واذا نظرنا الى تلك الواجبات التي أشار اليها المربون
المسلمون في صدر الاسلام فانه يمكننا تقسيمها الى : —
واجبات المعلم نحو ربه ، وواجبات المعلم نحو نفسه ، وواجبات المعلم نحو
طلابه ، وواجبات المعلم نحو العلم الذي يحمل رايته ، وواجبات المعلم نحو
مجتمعه وأمه .

(١) واجبات المعلم نحو ربه :

فالمعلم كأي فرد في الاسلام ، وهو يقوم بواجباته عليه أن يستند
على أوامر الدين ونواهيه وما تضمنه هذا الدين من ترغيب وترهيب
يقول تعالى : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (١) . وكذلك قوله تعالى " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
التَّقْوَى " (٢) . ثم قوله تعالى " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ " (٣) .

وعلى المعلم أن يدعم ايمانه بالله بالعمل الصالح والاستقامه
في دينه . " وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٤) --
وعلى المعلم التوكل على الله في كل أموره " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " (٥)
وان يتمسك بتعاليم الدين التي أمره الله بها ويؤدي فرائضه

— : —

- (١) سورة الكهف - الآية ١١٠ .
- (٢) سورة البقرة - آية ١٩٧ .
- (٣) سورة الأنفال - آية ٢ .
- (٤) سورة آل عمران - آية ١٠١ .
- (٥) سورة المائدة - آية ١١ .

وسننه ويتجنب محرماته ومكروهاته وفي هذا يقول سبحانه وتعالى :
 "كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (١) . وان يتقى الله
 ويخشاه ويخاف عقابه ويكثر من عبادته قال تعالى : "وَأَمَّا مَنْ خَافَ
 مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" (٢) .

فهذه الواجبات المستمدة من كتاب الله سبحانه وتعالى نجد ها
 في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" (٣) . ومن اقواله صلى الله عليه وسلم في
 هذا المجال :-

"اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك" (٤) . ،
 فهكذا تكون أفضل درجات الايمان ان تعلم أن الله معك حيثما
 كنت، وكذلك من اقواله صلى الله عليه وسلم "أزهد في الدنيا يحبك
 الله، وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس" (٥) .
 (٢) واجبات المعلم نحو نفسه :-

قبل أن يبدأ المعلم باصلاح أحوال غيره عليه أن يصلح نفسه
 فيحافظ على صحته البدنيه والنفسيه والعقليه، وعلى شرفه وسمعته وماله
 وعلى نظافة بدنه وثيابه وحسن هيئته، كما يتحتم عليه أن يعرف نفسه

— : (١) سورة الصف — آية ٣ .

(٢) سورة النازعات — آية ٤٠ — ٤١ .

(٣) سورة النجم — آية ٣ — ٤ .

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم،

ج ١ بيروت : دارالمعرفة د . ت ، ص : ٢٩ .

(٥) يحيى بن شرف النووي : رياض الصالحين ، توضيح مصطفى محمد

عماره . بيروت : دارالفكر ، ١٣٩٧ هـ ، ص : ٢١٨ .

لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل (١) وعليه أن يتفهم نزعاته الفطرية وقدراته وميوله وامكانياته كلها على قدر ما يستطيع ، وأن يعنى بتنمية مواهبه وقدراته وجميع امكانياته الخيرية ويضبط نزعاته ودوافعه ويكبح شهواته ونزواته (٢) ، وان يقتصد فى كل شىء ، وان يرفق بنفسه فلا يجهداها حتى لا تتضرر (٣) كما أن عليه أن يأخذ بأسباب الحياة ويدرك من الدنيا ما يصلح به شأنه وشأن من يعمله ولا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يبالغ فى زهده فى الدنيا (٤) وخلاصة القول :-

أنه من واجب المعلم وكل فرد مسلم أن يعمل على حفظ ذاته وتنمية نفسه واصلاح أمره وتحسين أحواله ، وسند المعلم المسلم فى جميع الواجبات والآداب التى يؤدىها نحو نفسه وذاته هى آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية المطهرة .

يقول تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ..) (٥) . ويقول أيضا سبحانه وتعالى . (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (٦) -- وأيضا قوله تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَى نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (٧) وقوله تعالى :- (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (٨) . (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٩) (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) (١٠)

- : —
- (١) الماوردى ، مرجع سابق ، ص : ٣٣٤ - ٣٤٣ .
 (٢) على خليل أبو العينين ، مرجع سابق ، ص : ١١١ - ١١٢ .
 (٣) المرجع السابق ص : ١٣٩ - ١٤٠ .
 (٤) الماوردى ، مرجع سابق ص : ١٣٣ .
 (٥) سورة الاعراف ، آية (٣١)
 (٦) سورة الاعراف ، آية (٣١)
 (٧) سورة القصص ، آية (٧٧)
 (٨) سورة الاعراف ، آية (٣٢)
 (٩) سورة البقرة ، آية (٢٨٦)
 (١٠) سورة البقرة ، آية (١٨٥)

فلقد أراد الاسلام للمعلم أن يكون قويا عاملا غير عاجز عن انجاز اعماله بقدر ما يستطيع وأن يداوم على فعل الخيرات ولو بالقليل ان امكن وينهى عن الانقطاع عن فعل الخيرات، ففي هذا الانقطاع منقصه له لا يرتضيها له دينه . (١)

والى جانب ما تقدم يراعى أن تكون حياته فى توازن يعمل فيها لدنياه وآخرته . (٢) . (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) . وعلى المعلم أن يتبع اسلوب الرفق فى العمل كله .

(٣) واجبات المعلم وآدابه نحو تلاميذه والمستفيدين منه : —

أقرب الناس الى المعلم بعد أولاده وأفراد أسرته هم تلاميذه فهو مسئول عن هؤلاء التلاميذ والمترددين عليه تلزمه نحوهم واجبات وآداب كثيرة تنبع فى مجموعها من واجب الرعاية أو الولاية العامة التى له عليهم والتى يعبر عنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : — (ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل عن الرجل عن أهل بيته) (٣) ولا شك أن هذه الواجبات هى تطبيق للقيم الفاضلة والاخلاق النبيلة التى رسمها الاسلام للمعاملات بين الناس ، ولمخاطبة الناس وتوجيههم وارشادهم وتعليمهم ، وهى تتفق تماما مع ما يقرره علماء التربية المحدثون واذا كان هناك فرق بين المعلم المسلم وغير المسلم فى مثل هذه الواجبات فهى ان المعلم المسلم يستمد أصول هذه الواجبات من تعاليم دينه الاسلامى الخالد ومن تراثه الاسلامى العظيم .

(١) عبد الغنى عبود : الفكر التربوى عند الغزالي ، ط ١ بيروت : دار الفكر

العربى ، ١٩٨٢ م ، ص : ١٢٨ .

(٢) محمد منير مرسى ، مرجع سابق ، ص : ٥٩ .

(٣) الامام احمد بن حنبل ، المسند ، باب الامارة ، ص : ٣٧ .

وقد يكون الخليفة غير متعصب لمذهب دون آخر فيجعل
لمدرسته حرية التدريس على المذاهب الفقهية الأربعة ، فعندما أنشأ
الخليفة المستنصر العباسي (ت سنة ٦٤٠ هـ) المدرسة المستنصرية
جعل فيها أربعة أمانة منفصلة لتعقد فيها حلقات على المذاهب
الأربعة . (١)

ويخلص الباحث في أمر العلاقة بين الحكومة والتعليم الى
ان تدخل الحكومة كان مقتصرًا على المدرسين الذين تعينهم وتدفع
لهم أجورهم ، أما المدرسون الذين كانوا يدرسون في المساجد
أو الكتاتيب فان التدخل الحكومي لم يصل اليهم . (٢) .

— : —

(١) المرجع السابق ، ص : ٢١٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٧ .

ومن أبرز واجبات المعلم المسلم تجاه تلاميذه والمستفيدين منه أن يعاملهم بالحسنى واللين والرفق والشفقة والعطف، وأن يعدل ويسوى بينهم، ويعتني بمصالحهم ويتعهد بأحوالهم وأن يعفو عن أخطائهم ويصبر على التعب معهم، ويرفق بمن سألهم منه، ويتجنب الغضب والحقد عليهم، وأن يجمع بين اللين والحزم معهم (١).
ومن واجباته أيضا: أن يشجعهم على الدراسة، ويدفعهم إلى التعلم والاستفادة، ويثير فيهم الرغبة للدراسة، ويوجههم إلى كل ما يوسع مداركهم وثقافتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم ومستوياتهم، ويتدرج معهم حسب ما يسمح به استعدادهم، كما عليه أيضا أن يعودهم على استخدام فكرهم وعقولهم فيما يعرض عليهم من أمور الدنيا والآخرة، ويعودهم على الأخذ بالأسلوب العلمي، (٢) كما عليه أن يأمرهم بأداء الفرائض والسنن ويربِّيهم على الخلق القويم، (٣) وأن يشاورهم فيما يتعلق بدراساتهم ليشعرهم بمكانتهم عنده (٤).

هذه بعض الواجبات والآداب التي ذكرها المربون المسلمون القدماء للمعلم تجاه تلاميذه والمستفيدين من علمه وقد استندوا في ذلك على نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، ومن الشواهد التي استندوا عليها في تقرير تلك الواجبات والآداب، قوله تعالى: - (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٥). وقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ، لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (٦).

(١) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص: ١٦٥ - ١٦٧.

(٢) الماوردي، مرجع سابق، ص: ٨٧ - ٩٠.

(٣) المرجع السابق، ص: ٩٦ - ٩٩.

(٤) علي الجمبلاطي، مرجع سابق، ص: ٣٧.

(٥) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٦) سورة آل عمران، آية (١٥٩).

وقوله تعالى :- (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) . (١)
 وقوله تعالى :- (لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) . (٢)
 وأيضا قوله تعالى :- (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (٣) (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) (٤)
 وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ
 ذِي الْقُرْبَىٰ) . (٥)

وهكذا نجد أن على المعلم واجبات نحو تلاميذه تتمثل في الرفق
 بهم ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت :- قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم " ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله " متفق عليه . (٦)
 وأيضا يقول صلى الله عليه وسلم ، " يسروا ولا تعسروا ، وبشروا
 ولا تنفروا " متفق عليه . (٧) .

(٤) واجبات المعلم وآدابه نحو زملائه في العمل :-

والمعلم الذى يعمل فى أى نوع من المؤسسات التعليمية سيكون
 له فيها زملاء فى العمل من المعلمين أو المشرفين يعملون معه فى حمل
 المسئولية التعليمية ، وللمعلم نحو هؤلاء واجبات وآداب وله عليهم حقوق
 بينتها التربية الاسلاميه والشرعية الاسلامية فى اطار واجبات الأفراد وحقوقهم

— : —

- (١) سورة الاعراف - آية ١٩٩ .
- (٢) سورة البقرة - آية ٢٨٦ .
- (٣) سورة آل عمران - آية ١٥٩ .
- (٤) سورة الشورى : آية ٣٨ .
- (٥) سورة النحل - آية ٩٠ .
- (٦) النووى ، مرجع سابق ، ص : ٢٨٢ .
- (٧) نفس المرجع ، ص : ٢٨٣ .

ومن هذه الواجبات : —

أن يتوجه الى زملائه بخالص حبه وعطفه وودده ، وصداقته ويشاشته ، (١) .
وأن يقدر مصالحهم ويدافع عنها كما يدافع عن مصلحة ويؤثرهم على نفسه ، ويساعدهم بكل ما يملك من وسائل المساعدة ، ويقف بجانبهم في أوقات الشدة ، ويتعاون معهم في الخير ويدعوهم بالخير ، ويعفو عن اساءاتهم وان يحترم آراءهم ويقدرها مهما كانت مخالفة لرأيه ويصون حقوقهم وأن يتجنب ظلمهم ومضايقتهم واذاءهم واغتيابهم وحسد هم والحدق عليهم وسوء الظن بهم والسخرية بهم وافشاء أسرارهم . (٢)
وكل هذه الواجبات والآداب المترتبة على المعلم نحو زملائه في العمل مستوحاة من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف والاخلاقيات التي حث عليها في المعاملة مع الناس والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

قوله تعالى : (مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ) (٣) (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (٤) .
(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (٥) .
(وَاجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) (٦) (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ) (٧) (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (٨) (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ)

(١) الماوردي ، مرجع سابق ، ص : ١٦٢ — ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٦٥ — ٢٠٧ .

(٣) سورة الفتح ، آية (٢٩) .

(٤) سورة الحجرات ، آية (١٠) .

(٥) سورة المائدة ، آية (٢) .

(٦) سورة الحجرات ، آية (٢) .

(٧) سورة الحجرات ، آية (١١) .

(٨) سورة الحشر ، آية (٩) .

أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَفْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١) .

(٥) واجبات المعلم نحو العلم الذي يحمل رايته ونحو مهنته التعليمية التي ينتمى اليها :-

وعلى المعلم واجبات نحو العلم الذي يحمل رايته وينتسب اليه والى أهله ، ونحو مهنة التعليم التي ينتمى اليها ، ومن هذه الواجبات التي دعا اليها الاسلام وحث عليها في هذا الخصوص: أن يقصد المعلم من دراسته العلمية المستمرة زيادة معرفته لله تعالى وزيادة معرفته لنفسه وللكون المحيط به والانتفاع بما تحصل عليه من علم في اصلاح نفسه واصلاح مجتمعه وخدمته ونفعه (٢) وقد كان من بين الأمور التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم (علم لا ينفع) فقال صلى الله عليه وسلم :- (نعوذ بالله من علم لا ينفع) (٣) - ومن هذه الواجبات : أن يقصد المعلم من اشتغاله بالتعليم رضا الله في المقام الأول ، فلا يركض وراء أجر دنيوى من مرتب وشهرة ومنصب وجاه ، يقول صلى الله عليه وسلم :- (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا ، فلن يجد عرف الجنة يوم القيامة) (٤) رواه ابو اودود باسناد صحيح

(١) سورة الليل ، آية (٥ — ١٠) .

(٢) عبد الغنى عبود ، مرجع سابق ، ص: ٥٤ — ١١٨ .

(٣) مسلم : مرجع سابق ، ح ٣ ، ص: ٢٠٨ .

(٤) النووى ، مرجع سابق ، ص: ٥٠٣ .

ولا يكتمل النفع بالعلم الا اذا تحلى صاحبه بالخلق والأدب، كما يتطلب منه أن يكون متواضعا معترفا بأنه مهما أوتي من علم فان علمه قليل يقول سبحانه وتعالى : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . (١)
(٦) واجبات المعلم وآدابه نحو مجتمعه وأمته : —

والواجب الأخير من واجبات المعلم وآدابه هو المتمثل بواجباته نحو مجتمعه وأمته الاسلامية فى مفهومها الواسع والشامل ومن هذه الواجبات أن يخدم مجتمعه وأمته مخلصا بجهده وعلمه وثقافته ، وأن يساهم بتطور مجتمعه ونموه وتحويله الى الأفضل ثقافيا وحضاريا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، (٢) وأن يساهم فى حل مشكلات مجتمعه وأمته وفى محاربة السبذ الضارة ، وأن يشارك فى نشر العلم وبث الوعى ونصرة الحق ورفض الباطل ونشر العدل ورفع الظلم والشر والفساد . (٣) .

ومن الشواهد التى يعتمد عليها المعلم المسلم فى التزامه بهذا النوع من الواجبات والآداب :

(قوله تعالى : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) . (٤) وقاله تعالى : — إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) . (٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى

— : (١) سورة الاسراء ، آية (٨٥) .

(٢) عبد الغنى عبود : مرجع سابق ، ص : ٩٨ — ١١٦ .

(٣) ابن جماعة الكنائى ، تذكرة السامع والمتكلم فى ادب العالم والمتعلم بيروت ، دار الكتاب العلمية ، د . ت ، ص : ٢٣ .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٠٤) .

(٥) سورة الحجرات ، آية (١٠) .

النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير
" رواه الترمذى (١) فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه
وخير الناس أنفعهم للناس .

ويقول صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكرا فيغيره بيده فان لم
يستطيع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، ذلك أضعف الايمان . (٢)
ويقول صلى الله عليه وسلم " ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما
ان كان ظالما فلينصه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره " . (٣)

— : —

- (١) النووى ، مرجع سابق ، ص: ٥٠٢ .
- (٢) نفس المرجع ، ص: ١٠٣ .
- (٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم ، مرجع سابق ، ح: ٨ ، ص: ١٩ .

أولا : الدولة ودورها فى التعليم : —

الاسلام دين ودولة وهو يتميز بذلك عن الديانات السماوية الأخرى، ومنذ العصور الأولى للاسلام كانت السلطان الدينية والمدينة تتمثلان فى شخص واحد هو أمير المؤمنين فهو امام المسلمين وحاكمهم العادل، وراعى الأمة والمسئول عن المصالح الدينية والدنيوية لجميع المسلمين .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم زعيما سياسيا ورائدا دينيا فى الوقت نفسه، وبعده كان الخلفاء الراشدون قد تحملوا هذه التبعات، فكان الواحد منهم يدير أمور الحكم، ويبعث بالجيوش، وفى الوقت نفسه يفتى الناس ويعلمهم أمور الدين . (١) .

وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الاسلامية أصبح من العسير على الخليفة أن يعلم الناس جميعا أمور دينهم فتحولت هذه المسئولية الى العلماء، وقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السنة حين ترك معاذًا فى مكة بعد الفتح ليعلم المسلمين الجدد أمور دينهم . (٢) .

ولما انتشرت الفتوحات فى عهد عمر بن الخطاب ارسل بعض الصحابة العلماء الى المدن المختلفة للغاية نفسها، ومن هؤلاء عبد الله بن مسعود الذى توجه الى الكوفة وابو موسى الاشعري الذى قصد البصرة (٣) .

— :

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص: ٢١٢ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

وعندما قامت الدولة الأموية فى دمشق أصبح كثير من خلفاء بنى أمية منشغلين بالسياسة وأمور الحكم ولم تكن لديهم الثقافة الدينية التى قد تسمح لهم بالافتاء وتعليم الناس، فانتقلت هذه المهمة، نهائيا، الى العلماء وفى العاصمة نفسها كذلك. (١).

وعندما اتخذ هؤلاء العلماء من المساجد أمنكة يجلسون فيها ويلتف الناس حولهم ليأخذوا العلم عنهم ويستفيدوا من ثقافتهم، ولم يكن هؤلاء يأخذون به، وكانوا يؤدون عملهم طلبا لثواب الله، ولم تكن الدولة قد كلفتهم رسميا بهذا العمل. (٢).

ولم تكن الدولة حتى ذلك الوقت تتدخل مطلقا فيما يقول به العالم المعلم، فما دام المعلم غير معين من قبل الدولة، وادام لا يأخذ أجر منها على عمله، فقد ظل حرا فيما يدرس وفى الوقت الذى يشاء. (٣).

وقد كانت بداية التدخل من الحكومة قد بدأت تظهر عندما أخذ بعض الخلفاء يقدم مساعدات مالية للعلماء والزهاد الذين حبسوا أنفسهم فى المساجد للعبادة، وقد أثر عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى والى حمص :-

"انظر الى القوم الذين نصبوا انفسهم للفقه
وحبسوها فى المسجد عن طلب الدين
فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون
بها على ما هم عليه من بيت المال حتى
يأتيك كتابى هذا فان خير الخير
أعجله والسلام". (٤).

—:

- (١) نفس المرجع السابق، ص: ٢١٣ .
- (٢) نفس المرجع .
- (٣) نفس المرجع .
- (٤) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج ١، ص: ٥٢٣ .

يرى احمد شلبي ان تدخل الحكومات فى التعليم بدأ عندما اقترح القائمون بالأمر موضوعا معيناً ليدرس أو عندما شهدت الحكومات معاهد تعليمية فعينت لها المدرسين وقطعت لهم الرواتب والأجور (١) فعندما شيد العباسيون / دار الحكمة / فى بغداد عينوا لعدد من العلماء للترجمة والنسخ والاشراف ورتبوا لهم الأجور السخية عند ذلك أصبح للخلفاء الحق الكامل فى السيطرة على دار الحكمة وتوجيه أموره كما يريدون . (٢) .

يقول شلبي :-

" وعندما أنشأ نظام الملك مدرسة فى العالم الاسلامى سميت باسمه وعين المدرسين ودفع لهم الرواتب المنتظمه شهريا ، ورسم لهم أن يكافحوا المذهب الشيعى الذى كان قد انتشر فى العصر السابق وهو عهد البويهيين ، وأن يركزوا على تدريس مذهب أهل السنة ، وكان من تدخل الحكومة الواضح انها كانت تبعد كل مدرس يتعاطف مع الشيعة أو يعتنق مذهبهم " . (٣) .

وقد عمل كل حاكم فيما بعد على تحديد المذهب الفقهى الذى تسير عليه الدراسة فى المدارس التى يقوم بانشائها ، فقد فعل نور الدين زنكى فى الشام ، وصلاح الدين الأيوبي فى مصر ما فعله الوزير نظام الملك فى بغداد والمشرق الاسلامى . (٤)

— : —

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٢١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢١٥ .

(٤) نفس المرجع .

الفصل الرابع

- مؤسسات التعليم فى المشرق الاسلامي
- مؤسسات التعليم قبل انتشار المدارس النظامية
- الكتاتيب
- المساجد
- حوانيت الوراقين
- دور الكتب والمكتبات
- بيوت العلم والعلماء
- الزوايا والربط
- الدواوين
- البيمارستانات
- مؤسسات التعليم بعد انتشار المدارس
- نشأة المدارس
- المدارس النظامية وتخطيطها
- وظائف المدرسة النظامية
- أهم المدارس التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى

مؤسسات التعليم قبل انتشار المدارس النظامية

لقد لازم التعليم في الاسلام المؤسسات التربوية وذلك منذ نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث دار الأرقم بن أبي الأرقم وهي أول مؤسسه تربويه عرفت في الاسلام، وكان المعلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعلمهم آيات القرآن الكريم ويثبت عقيدة الايمان في نفوسهم ويوضح أصولها .

ثم توالى بعد ذلك مؤسسات التعليم في الاسلام آخذة في التطور والازدهار عاملة على تلبية حاجات الزمان والمكان فنجد الكتاب مؤسسة تربويه تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القبراء والكتابه ومبادئ العلوم الأخرى .

كما كانت المساجد من أهم مراكز التعليم فوجدت بها الحلقات التعليمية وأقيمت بها المكتبات الأولى في الاسلام وفي عصور الازدهار كانت قصور الخلفاء والامراء ومنازل العلماء بعبثة مؤسسات تربويه ومراكز تعليميه، حيث كان طلاب العلم يقصدون صالونات الادبيه ومكتباتها الخاصه الزاخرة بأنفس الكتب ، وما لبثت المكتبات أن أصبحت كذلك مركزا هاما من مراكز التعليم في الاسلام ، وقبلها واثاءها كانت حوانيت الوراقين تساهم في تقديم الكتب للقراء وتعقد حولها الندوات والمنظرات، وفي مرحلة أخرى متأخرة قليلا كانت الربط والزوايا والبيمارستانات تمثل مراكز تعليميه أخرى ساهمت بدورها في العملية التربويه في صدر الاسلام .

وكان ظهور المدارس النظاميه في القرن الخامس الهجرى ثمرة كل الجهود التي بذلت خلال القرون الاربعه السابقه

وستوضح الباحثه في هذا الفصل مؤسسات التعليم في المشرق الاسلامي
في القرن الخامس الهجري .

الكتاتيب :

معنى الكتاب :

(الكتاب بالضم والتشديد والمكتب واحد ، والجمع الكتاتيب
والمكاتب ، أى موضع الكتابة) (١) والكتاب عند القاسمي :

” هو المكان الذى يتلقى فيه الصبيان العلم ” (٢) .
إذا كُتِبَ ومكتب كلمتان لمعنى واحد هو مكان تعلم
الاطفال القراءة والكتابة ومبادئ المواد الأخرى ، ويبدو أن الكتاتيب
ظلت قليلة الانتشار حتى نهاية القرن الأول وما يؤيد ذلك ماورد
عن كُتَّاب أبي القاسم البلخي حيث كان يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ
وكان فسيحا جدا لدرجة أن البلخي كان يركب حمارا ليمر به على
التلاميذ ويشرف على تعليمهم . (٣)

ويفرق أحمد شلبي بين نوعين من الكتاب يعتقد أنهما
كانا موجودين فى فترة زمنية واحدة هما : الكتاب الذى يعلم
الاطفال القراءة والكتابة والحساب والنحو ، والكتاب الذى يجرى فيه
تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الجديد ويسوق بعض الأدلة
ليؤكد ما ذهب اليه . (٤) .

—:—

(١) محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح بيروت : دار الكتاب

العربي ، ١٩٦٧ م ، ص ٥٦٢ .

(٢) أحمد فؤاد الاهواني ، الترييه فى الاسلام ، القاهرة : دار المعارف

١٩٨٠ م ، ص : ٦٣ .

(٣) أحمد شلبي الترييه الاسلاميه ط ٧ القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٨٧ م .

ص : ٥٣ — ٥٤ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ٥٤ .

وقبل ذلك بسنوات لاحظ محمد اسعد طلّس ذلك فجعل الكتّيب

نوعين أولهما :

يتعلم فيه الاطفال القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ومبادئ الدين وأوليات الحساب، وثانيهما كان لتعليم الاطفال والشبان علوم اللغة والآداب، (١) أما أحمد امين فقد ظهر له أنه لم تكن هناك مراحل معينة للتعليم وإنما هناك مرحلة واحدة تبتدىء بالكتاب أو المعلمين الخاصين وتنتهى فى حلقة له بالمسجد . (٢) .

فى ضوء ما تقدم يمكننا القول :

كانت الكتّيب فى القرنين الاول والثانى للهجرة من النوع الذى يتعلم فيه الصبيان القرآن الكريم حفظا الى جانب تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة ، أما فى القرون التالية فقد اصبحت الدولة أشد اهتماما بأمور التسليم ، ومع توسع رقعة الدولة الاسلاميه ونماذج الثقافات العربية والفارسية واليونانية والهندية ونشاط حركة التأليف والترجمة فقد أصبحت الحاجة ملحة جدا بأن يتلقى الطالب فى تلك الكتّيب شيئا من العلوم الدينية كالفقه والتفسير وعلوم الحديث الى جانب الحساب والتاريخ فظهرت تلك الكتّيب العملية كظاهرة متطورة عن الكتّيب القرآني التى سادت فى أول الأمر ولتكون تسهيذا لنشأة المدارس فيما بعد .

— : —

(١) محمد اسعد طلّس التربية والتعليم فى الاسلام ، الطبعة الاولى . بيروت

دار العلم للملايين ، ١٩٥٧ م ، ص : ٧٠ .

(٢) أحمد امين ، ضحى الاسلام ، ط ٨ ، الجزء الثانى ، القاهرة : مكتبة

النهضة المصرية ، ١٩٧٤ م ، ص : ٦٦ .

وقد انتشرت الكتابيب بكثرة على أثر الفتوحات الاسلامية وذلك عن طريق المسلمين الاوائل من أهل الحجاز والشام والعراق ومصر والذين انتقلوا الى الديار المفتوحة في خراسان والمشرق والمغرب حيث عن طريقها كان يتعلم ابناء هؤلاء المسلمين وكذلك أبناء تلك الديار المفتوحة القرآن الكريم فكانت بكثرة في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ودمشق وحلب والاسكندرية وغيرها من العواصم الاسلامية. (١)

"وقد ازداد عدد الكتابيب وعدد المعلمين في القرن الثاني الهجرى وماتلاه من قرون، وكانت زيادة سريعة وضخمة حتى أصبح بكل قرية كتاب بل ربما وجد فيها أكثر من كتاب، وقد يعمل في الكتاب الواحد أكثر من معلم واحد". (٢)

ولا يوجد هناك اختلافات كبيرة بين الكتابيب في المشرق الاسلامي من حيث مكان الكتاب واهدائه التربوية وطريقة التعليم فيه والشروط الواجب توافرها لدى معلمى الكتابيب، ويشير الى هذا الصدد أحمد فؤاد الاهوانى بقوله :-

"فانك قد تدخل الكتابيب في القرن الرابع الهجرى فلا تجد فيها فارقا عن الكتابيب في القرن الرابع الهجرى الا في أمور شكلية". (٣)

(١) محمد اسعد طلسى ، مرجع سابق ، ص ٤٦-٤٨ .

(٢) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٣) احمد فؤاد الاهوانى ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

مكان الكتاب :-

وجد الكتاب القرآني أول ما وجد في المسجد فكان المعلمون يتخذون لهم زوايا في المسجد نفسه لتعليم الصبيان ولكن الكتاتيب ما لبثت ان استقلت عن المساجد لان بعض الفقهاء منع تعليم الصبيان في المسجد لانهم لا يتحفظون من النجاسة، ومن أسباب المنع أيضا ما كان يحدثه الاطفال من عبث بيضاء المساجد وربما اصواتهم مصدر ازعاج وقلق للمصلين، فلذلك افتى الفقهاء بأن يكون هناك مكان خاص بتعليم الصبيان . (١) .

أما أثاث الكتاب فكان يفرش بالحصر غالبا وكان يجلس عليها الصبيان متربعين حول معلمهم، وكانت أدوات الدراسة لاتتجاوز المصحف الشريف وعدة من الألواح يكتب عليها الصبيان وكذلك عدد من الدوى والاقلام . (٢) .

الاهداف التربوية للكتاب :-

يبدو أن الكتاتيب التي وجدت في صدر الاسلام كانت يتعلم فيها الطفل أوليات القراءة، ويحفظ القرآن كله أو بعضه، فلما انتظمت شئون الدولة الاسلاميه في عهد بنى اميه عني التوسعانية شديدة بهذه الكتاتيب لتخريج طبقة من الكتاب ومستخدمى الدولة وعمالها، ولم يكد يطل القرن الثانى حتى كانت هذه الكتاتيب قد انتظمت شئونها وصار لها برامج تطبق . (٣) .

:-

(١) احمد شلى، مرجع سابق، ص: ٥٣ .

(٢) حسن عبد العال، التربية الاسلاميه فى القرن الرابع، ط ١،

القاهرة: دار الفكر العربى، د. ت. ص: ١٨٦ .

(٣) محمد اسعد طلسى، مرجع سابق، ص: ٧٩ .

وقد اخذ الكتاب منزلة هامة وكبيرة عند المسلمين فهو المكان الاول لتعليم القرآن الكريم وحفظه ، فلا تخفى أهمية تحفيظه في الاسلام ، فهو من الامور الهامة جدا في الاسلام بل ونسب مقدمتها . (١) وكان منهج الكتاب مبينا اساسا على القرآن الكريم فصار القرآن اساس التعليم ومحوره . (٢) .

ويمكن تلخيص اغراض التعليم في الكتاب في غرضين اساسيين :
غرض علمي ويرمى الى تزويد الصبي باستظهار القرآن الكريم وما يتبع ذلك من تعليم القراءة والكتابة ، وغرض خلقي أبرزه ما جاء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة من الحض على حسن الخلق . (٣) .
والتربية الاسلاميه تهدف الى تربية العقل والنفس معا جنبا الى جنب ، وهذا ما كان يحققه الكتاب ، فالطفل يحفظ القرآن ويؤدي صلاة الجماعة في اوقاتها ، وتكون حصيلة ذلك تكوين الشخصية الدينية المطبوعة على ذكر الله ، وكان الصبي بعد ذهابه الى الكتاب يصلح لامامة الناس في الصلاة بالاضافة الى ما تعلمه من الفروض والنوافل وذلك نتيجة الحرية التي أسنها له الكتاب والتي ساهمت في تنمية مواهبه وقدراته وقوة شخصيته كسلم يبدأ بالتعامل مع العامة فيتقدموا له ليكتب لهم الرسائل ، ثم يصل بعض الصبيان الى اعلى مراتب العلم . (٤) .

-----:

(١) محمد عطيه الابراشي ، التربية الاسلاميه وفلاسفتها ، ط ٣ القاهرة

مطابع عيسى البابي الحلبي ، ص : ٧٣ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون ، مرجع سابق ، ص : ٥٣٧ - ٥٣٩ .

(٣) سعيد اسماعيل على ، معاهد التعليم الاسلامي ، القاهرة : دار

الثقافة ١٩٧٨ م ، ص ٨١ .

(٤) أحمد فؤاد الاهواني ، مرجع سابق ، ص : ١٩٥ .

طريقة التعليم في الكتاب :

كان بدء اليوم الدراسي في الكتاتيب هو شروق الشمس وذلك حسب الفصول وآذان العصر نهايته، فكان اليوم الدراسي يطول ويقصر .

ويعرض القابسي في رسالته "أحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين" بشئ من التفصيل طريقة التدريس بالكتاب على النحو الآتي :-

يبدأ الصبي نهاره، وفي وقت مبكر من صباح ذلك النهار حتى الضحى بدراسة القرآن الكريم، ومن الضحى حتى الظهر يتعلم الكتابة، ثم ينصرف الى بيته لتناول غذاءه، ويعود بعد صلاة الظهر لدراسة بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر وأيام العرب من بعد الظهر الى آخر النهار، وكانت استراحة الاطفال نصف يوم الخميس وطوال يوم الجمعة هذا بالإضافة الى ايام عيد الفطر وأيام عيد الأضحى الخمسة. (١)

وكانت مدة بقاء الطفل في الكتاب خمسة أعوام أو ستة على الأكثر وتكون غالباً ابتداءً من السنة الخامسة أو السادسة من عمره الى السنة العاشرة أو الحادية عشرة، ويحفظ الطفل خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه عن ظهر قلب رواية واتقاناً، ويتقن الكتابة والخط، ويلم بعبادى العربية، ومبادئ الحساب الأولية، فاذا أتم الطفل مدة الدراسة في الكتاب وحفظ القرآن أو رواه أمتحنه المعلم لمعرفة ذلك والتأكد منه. (٢).

—:—

(١) على الجبللاطي وابوالفتوح التونسي دراسات مقارنة في التربية الاسلاميه

ط ١، القاهرة: مكتبة الانجلو، د. ت، ص ٧٤.

(٢) حسن عبد العال مرجع سابق ص ١١٥ - ١١٦ .

وقد تختلف طريقة التعليم ومنهج التعليم باختلاف الأمكنة
وقد أوضح ابن خلدون ذلك في فصل عقده بمقدمته بعنوان "تعليم
الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلاميه في طرقه" يمكن تلخيصه
فيما يلي :-

- ١ - القرآن الكريم اصل التعليم ومحوره .
- ٢ - يقتصر اهل المغرب في تعليم أولادهم على
تعليم القرآن فقط مع العناية برسمه .
- ٣ - لا يقتصر اهل الاتدلس على القرآن بل يخلطون
في تعليمهم للولدان رواية الشعر والترسل
والنحو والخط .
- ٤ - يخلط اهل افريقيا في تعليم أولادهم القرآن ،
بالحديث ويدرسون العلوم الدينية أيضا .
- ٥ - واهل المشرق يخلطون في التعليم كذلك أي
عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه
في زمن الشبيبة . (١)

ونخلص ما تقدم أن الاصل في التعليم في كل العالم
الاسلامى بداخل الكتابيب واحد وهو تعليم القرآن الكريم ،
وأن هنك اختلافات تتمثل في المواد التى تدرس بجانب القرآن
الكريم ، فهذه اختلافات شكلية وليس جوهرية في طريقة التعليم
ومنهج التعليم بالنسبة للامصار الاسلاميه عامة .

-----:-----

(١) ابن خلدون ، مرجع سابق ، الفصل الواحد والثلاثون ،

الشروط الواجب توافرها في معلم الكتاب :

لا يملك معلم الكتاب ثقافة واسعة او تعليم راق، فهو حافظ للقرآن ملما بالقراءة والكتابة، واتخاذ مهنة التعليم بهذا التكسب وتحصيل القوت، فلم يقدّم بذلك في الشاب حبا للعلم ونشره أو ابتغاء مرضاة الله، فنظر الناس اليه نظرة احتقار وضربوا حوله الامثال فقالوا أحق من معلم كتاب. (١) فخصية معلم الكتاب لم تصل الى مرتبة الأدباء والشعراء والنحاة والفقهاء ولكن ذلك لم ينطبق على كل معلمي الكتاب فلكل قاعدة شواذ فلقد ارتقى الحجاج بن يوسف الثقفي من معلم كتاب الى حاكم من اشهر حكام عصره بحسن سياسته وتفهمه للأمور وبعد نظره (٢) وكان من أهم الشروط الواجب توافرها في معلم الكتاب ان يكون حافظا للقرآن الكريم، عالما بأمر دينه، ملما بالقراءة والكتابة والنحو، وان يكون عارفا شيئا من العلوم الأخرى كالحساب واللغة والادب كما يجب ان يكون المعلم تقيا ورعا، قائما بفروض دينه، مشهودا له بالخلق الكريم، وان يكون رفيقا بالصبيان رحيفا بهم وان يسوى في المعاملة بينهم. (٣)

وقد قسم معظم الباحثين المعلمين الى ثلاث فئات:

- ١ - معلمي الكتاتيب .
- ٢ - المؤدبين .
- ٣ - المعلمين في المساجد .

—:—

- (١) سعيد اسماعيل على، مرجع سابق، ص: ٨٨ .
- (٢) على الجبللاطي وابو الفتوح التونسي، مرجع سابق، ص: ٨٢ .
- (٣) محمد اسعد طلسي، مرجع سابق، ص: ٧٠ - ٧٤ محمد عطيه الابراشي مرجع سابق، ص ١٣٦ - ١٣٩ .

وجعلوا معلمي الكتاتيب في المنزلة الدنيا معتمدين —
في ذلك على بعض القصص التي أوردها بعض الكتاب والأدباء
والتي تسمى الى معلمي الكتاتيب. (١)
وقد كتب القاسبي من علماء القرن الرابع الهجري
(٣٢٤ — ٤٠٣ هـ) رسالة تبحث في المعلمين والمتعلمين
سبق فيها كثيرا من علماء التربية المعاصرين في الشرق وفي الغرب
فقد قرر القاسبي ان التعليم حق لكل صبي وواجب على الدولة
وهي مكلفة — اذا لم يكن اهله قادرين على الانفاق عليه —
ان تنفق عليه من بيت مال المسلمين ، وترجع أهمية رسالة القاسبي
بأنها سجل دقيق وحافل لكل ما يتعلق بشئون تعليم الصبيان
في كتاتيب القرن الرابع ، وأهم ما في هذه الرسالة قول القاسبي
بالزامية التعليم ، وحرية ، والمساواة والديمقراطية فيه ، ورأيه بأن
يأخذ المعلم أجرا لانقطاعه الى مهنته ، مخالفا بذلك رأى الغزالي
الذي كان ينصح بالتعفف في اخذ أجر على التعليم. (٢)
كما يشير القاسبي في رسالته الى أهمية منح التلاميذ
مزيذا من الحرية العلمية والحرية الدينية فقد أجاز أن يؤم الصبي
الذي بلغ سن الاحتلام في الصلاة غيره ، وقد أراد من ذلك
أن يتدرج الصبي على معرفة صلاة الجماعة .
فلقد احترم الكتاب شخصية الصبيان في منحهم الحرية
المقرونة بتحمل المسؤولية في سبيل الصالح العام فهذه هي
الديمقراطية في التعليم. (٣)

—:

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص.ص: ٢٢٠ — ٢٢٣ .

(٢) علي الجبلاتي وابو الفتوح التونسي ، مرجع سابق ، ص: ٨٤-٨٧ .

(٣) نفس المرجع ص ٨١ .

المساجد :-

لقد ارتبط تاريخ الأمة الاسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا ذلك أن الاسلام لم يقصر رسالة المسجد على أداء الصلاة فحسب، بل أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون للمسجد دورا ايجابيا واهدافا سامية تخدم المجتمع الاسلامي فبالإضافة الى أداء الصلاة فهو مكان التلاوة ومعهد العلم ومجلس القضاء وملقى التعاون والتكامل ومكان الرأى والمشورة. (١)

ويكاد يجمع الباحثون على ان المسجد كان أعظم وأهم مركز من مراكز التربية والتعليم فى الاسلام ، ولقد لعبت المساجد دورا تربويا هاما فى أول الدعوة الاسلاميه ، وكان المسجد مركزا للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وكانت المساجد تقوم بوظائف متعددة من أهمها ما يلى :-

فضلا عن أنها أماكن للعبادة فهي عبارة عن مراكز تربوية وثقافية هامة تعقد فيها الحلقات الدراسية لتدارس القرآن الكريم والفقه واللغة ، وكذلك اقيم فيها تعليم اصول الدين واللغة والأدب للنشئة من الاطفال بالإضافة الى انها مكانا لفضا القضايا من قبل القضاة الذين كانوا يجتمعون فيها لذلك ، وكانت مراكز اداريه تدار من داخلها شئون الدولة ، ومنها تجهيز الجيوش للحروب والغزوات ، علاوة على انها مركز اعلاميا يختص باذاعة الاخبار الهامه المتعلقة بمصالح الأمة الاسلامية. (٢)

----- :-

(١) على محمد مختار : دور المسجد فى الاسلام ط ١ مكه : مطبوعات

رابطة العالم الاسلامى ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٤٧ .

(٢) محمد منير مرسى : التربية الاسلاميه ، ط ٢ القاهرة : دار المعارف

١٩٨٦ م ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

وكان بناء المسجد من أول الأعمال التي قام بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة، وقد
حث الله تعالى رسوله على بناء المساجد بقوله تعالى :-
” إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ، وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ” . (١)

وعندما هاجر الرسول صلوات الله عليه وسلامه الى المدينة
المنورة أقام وهو في طريقه اليها بقاء ليؤسس أول مسجد ففى
الاسلام ، وقد نزلت فيه الآية الكريمة :-
” لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ
فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ” . (٢)

ويروى البلاذرى ان هذا المسجد اسسه الذين
هاجروا الى المدينة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) -
ثم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة المنورة
بنى مسجده بالمريد ، وعمل فيه بنفسه ، ليشجع المهاجرين والأنصار
على النشاط والسرعة فى العمل . (٤)
لقد أصبح المسجد النبوى فى المدينة المنورة المكان
الذى يجلس فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلم ويوجه
ويحدث صحابته رضوان الله عليهم .

—:—

- (١) سورة التوبة ، آية (١٨) .
- (٢) سورة التوبة ، آية (١٠٨) .
- (٣) ابو الحسن البلاذرى ، مرجع سابق ص ١٧ .
- (٤) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام بمروت : المجمع العربى
الاسلامى . د . ت . ص : ١١٤ — ١١٥ .

" وكان هذا المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة

القرآن والحديث والفقه واللغة، وانصرف بعض
فقراء المسلمين لطلب العلم فيه حيث بنى الرسول
صلى الله عليه وسلم الصفة فيه وهى مكان مظلل
شمالى المسجد يأوى اليه الفقراء من المسلمين
الذين حبسوا أنفسهم لطلب العلم". (١)

وكرث بعد ذلك المساجد وزاد انتشارها بتوسع الاسلام، واصبح من
المتبع أن يبنى مسجدا وأكثر فى كل مكان فتحه المسلمون أو فى
كل قرية أو مدينة أسسوها، ويمرور الزمن زاد عدد المساجد زيادة
كبيرة مطردة، وبخاصة فى العاصمة العباسية بغداد، فما أن جاء
القرن الثالث الهجرى حتى كانت بغداد تفص بالمساجد، ولم
يختلف الحال عنه فى مصر، كان أول مسجد فى القاهرة وهو
جامع عمرو بن العاص الذى بناه عقب فتح مصر وعام ٢٦٥ هـ
أسس احمد بن طولون جامعه بالقطاع، وفى سنة ٣٦٠ هـ بنى
جوهر الصقلى الجامع الازهر ليكون جامعة من الجامعات الاولى
فى العالم الاسلامى. (٢)

طريقة التعليم فى المساجد

كان النظام المتبع فى حلقات العلم التى كانت تعقد فى
المساجد ان يجلس المعلم على خشبة صغيرة أو كرسى من

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص ٤٢١.

(٢) احمد شلى، مرجع سابق، ص ١٠٤-١٠٥.

جسريد أو خشب والطلبة حوله على شكل حلقة بترتيب معين
وكان الطلاب يحرضون كسل الحرص على الجلوس قريبا من المعلم
ولكنهم لا يتعدون المكان الذى هم أهل له، ويبدأ المعلم درسه
بالسلاة ويحمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله
وصحبه الكرام ، ثم يتلو بعض آيات الذكر الحكيم أو بعض احاديث
الرسول صلى الله عليه وسلم التى تحت على طلب العلم والتواضع
فى طلبه ، ويبدأ بعد هذا التقديم بدرسه .

وكان من حق الطالب ان يسأل عما خفى عليه ، ولكن
الاسئلة كانت تخضع لآداب خاصة متعارف عليها كأن يختار الوقت
المناسب للسؤال وألا يقاطع معلمه وهو يتكلم أو زميله وهو
يسأل . (١)

وعلى ذلك فان تاريخ التربية الاسلامية ارتبط ارتباطا
وثيقا بالمسجد منذ فجر الاسلام ، وقد يرى ان سبب ذلك يرجع
الى عهد الدراسات فى سنوات الاسلام الاولى القائمة على كونها
دراسات دينية تنشر تعاليم الدين الجديد وتوضح أحكامه
ما جعل المسجد مركزا ثقافيا ، والمسجد يكفل لكل فرد الاستماع
لأى درس من الدروس ما دامت لديه رغبة فى العلم دون قيد
أو شرط ، فيوازى فى ذلك الدخول لآداب الصلاة سواء بسواء
ولم تكن هناك شروط خاصة بالسن أو الجنس أو المؤهلات ، ورغم
التطورات التى وجدت فى بنية المجتمع الاسلامى الا ان المسجد
ظل يحتفظ بخصائصه المميزه له كالحريه فى اختيار المواد الدراسيه

-----:-----

وفى اختيار المدارس والتحرير من المؤثرات المادية. (١)

—: —

(١) سعد اسماعيل على ، دراسات فى التربية الاسلامية ، ط ١

القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

مكتبات المساجد .

ولقد عني المسلمون بتكوين المكتبات ويظهر ان عظمتهم
بمكتبات المساجد كان منذ القرن الاول الاسلامي حيث جرت
العادة في العصور الاسلاميه ان يقوم الناس بأيداع نسخ من
القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة في المساجد
بهدف الاستفادة منها كل من يروى المساجد للصلاة او للدرس
أو الاطلاع وقد تكون هذه المكتبات ملحقة بالمسجد او في مكان
مستقل قريب منه ، ثم انتشرت هذه المكتبات في مساجد بغداد
والشام والأندلس ومصر . (١)

الحلقات العلمية في بعض المساجد الاسلاميه

— المسجد الحرام :

بعد فتح مكة خلف الرسول صلى الله عليه وسلم معاندا
يفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن وكان كل
ذلك يتم بطبيعة الحال بالمسجد الحرام .

—:—

(١) عبد اللطيف بن دهيش ، نشأة المكتبة وتطورها ، مجلة العرب

وفي اواخر العهد الاموي جاء عبد الله بن عباس الى مكة فاتخذ مقعده في دار زمزم على يسار الداخل اليها يذيع معارفه وينشر علومه ، وما لبثت حلقة ابن العباس في المسجد الحرام ان اتسعت وهرع اليها الظامئون الى مآهل العلم يرتسئون منها .

فكانت حركة قوية تركت اثرها في جموع الدارسين الموزعين في افناء المسجد ، واشهر من تخرج من هذه المدرسة مجاهد بن جبير وعطاء بن رباح . (١)

وفي العهد العباسي نجد ان كلا من عمر بن دينار وعبد الله ابن نجيع وعبد الملك بن عبد العزيز قد اتخذ لنفسه مجلسا في المسجد الحرام وأحاطه طلبته في حلقة العلم ولا يلبث أن تزدهم أفنيه المسجد الحرام بأقران هذه الطبقة من الفقهاء والمحدثين . (٢) وكان الاتصال قائما بين طلاب المعرفة في المسجد الحرام وبين الامام مالك بن أنس في المدينة المنورة الذين أخذوا يسـروون عنه مما أكسب حلقات العلم ثراءً وغني في المعرفة ، ويبدو ان حلقات العلم كانت تغص بالطلاب في الفرق الاسلامية الثلاث الاولى من تلاميذ الجيل السابق بالاضافة الى اصحاب مالك والشافعي ثم اصحاب احمد ابن حنبل ثم بدأ اعلام الحرم يتوزعوا في الامصار وكانت نتيجة ذلك ان ضعف النشاط العلمي وقد وضع ذلك الضعف جليا في بداية القرن الرابع الهجري . (٣)

—: —

(١) احمد السباعي ، مرجع سابق ص : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص : ١٣٣ .

(٣) نفس المرجع ص : ١٦٤ - ١٦٥ .

المسجد النبوي بالمدينة المنورة .

إذا كان من الممكن القول بأن المساجد هي رموز
الجماعات الإسلامية ومراكزها فإن هذا يتجلى بكل وضوح في إنشاء مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة الذي كان بالفعل مركز
إدارة شؤون الأمة الإسلامية من مختلف الجوانب .

" فمن فوق منبر هذا المسجد أعلن عمر
تقهقر جيوش المسلمين في البداية ففى
العراق واستحث قومه على السير الى هذه
البلاد، ومن على المنبر نفسه وقف عثمان
ابن عفان يدافع عن نفسه كخليفة يلقي بعد
بيعته من فوق هذا المنبر خطبته الاولى
هى بمثابة بيان لسياسة حكومته " (١) .

ولاشك في أن المنزلة الكبيرة التى احتلتها المدينة المنورة
فى صدر الاسلام كانت من العوامل المساعدة التى جعلت العديد من
العلماء يقيمون فيها ويعقدون مجالس العلم فى مسجد ها ، وكان ربيعه
الرأى يجلس فى المسجد وحوله اشراف المدينة يأخذون عنه الليث بن
سعد ويحيى بن سعيد القطان ، واشهر تلاميذه مالك بن أنس . (٢)

جامع المنصور ببغداد :

" بنه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور عندما بدأ عام

—:—

(١) حسن ابراهيم حسن مرجع سابق ج ١ ص ٥٢٤ .

(٢) سعيد اسماعيل على معاهد التعليم الاسلامي ، مرجع سابق ص ١١٢

١٤٥ هـ بإنشاء العاصمة الجديدة بغداد. وقد كان جامع المنصور
علما بارزا يكتظ بالأساتذة والطلاب ويحتل مكانه سامية في نفوسهم
بدليل أن الخطيب البغدادي عندما حج شرب من ماء زمزم
ودعى الله أن يحقق له ثلاث حاجات من بينها أن يعطي الحديث
بجامع المنصور، وقد تحقق له ذلك، وقد عرض هذا الشيخ للأئمة
من قبل الخطبة في النصف الثاني للقرن الخامس الهجري حيث
كانت لهم السيطرة على هذا الجامع. (١)

الجامع الأموي في دمشق

ويسمى كذلك مسجد دمشق ويضرب به المثل في جماله
وحسن نظامه، وقد زاره ابن جبير سنة ٨٠٥ هـ ووصف هذا المسجد وصفا
مستفيضا (٢). وقد كان ذلك المسجد مركزا هاما من مراكز الثقافة
الاسلامية فيه حلقات للتدريس للطلبة وللمدرسين فيها اجراء واسع.
وفي الجامع عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن
ازدحام الناس. (٣)

—: —

(١) احمد شلبي، مرجع سابق، ص: ١٠٦.

(٢) ابن جبير، الرحله، ص ٢١١.

(٣) نفس المرجع، ص: ٢٢٠.

مسجد الجامع الأزهر:-

بعد ان دخل الجيش الفاطمي مصر بقيادة جوهر الصقلي عام ٣٥٨ هـ واقامت مدينة القاهرة العاصمة الجديدة للدولة الفاطمية بدى فى انشاء جامع بها سنة ٣٥٩ هـ وانتهى العمل به وانفتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (١).

وفى أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي جلس قاضي القضاة ابو الحسن علي بن النعمان فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ بالجامع الأزهر وقرأ مختصر ابيه فى فقه آل البيت فى جمع حافل من العلماء فكانت هذه أول حلقة للدرس تعقد فى الجامع الأزهر لتتوالى بعد ذلك الحلقات العلمية، لمكن وزيرا من وزراء الدولة الفاطمية هو ابن كلس كان أول من فكر فى اتخاذ الجامع معهدا للدراسة المنتظمة المستقرة ففى سنة ٣٧٨ هـ استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله فى ان يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ويعقدون مجالسهم بالأزهر فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها، ولم يقف النشاط العلمى فى هذا المسجد او المعهد عند هذا الحد بل اطرده تقدمه وتنوعت موضوعاته وكثرت فنونه وعلومه حتى أصبح الأزهر جامعة بكل معنى الكلمة. (٢)

—:—

(١) سعيد اسماعيل على معاهد التعليم الاسلامي مرجع سابق ص ١١٣

(٢) المرجع السابق، ص: ١١٥ - ١١٦.

حوانيت السوراقين :-

ظهرت دكاكين بيع الكتب منذ مطلع الدولة العباسية ثم انتشرت بسرعة انتشارا ملحوظا في العواصم والبلدان المختلفة بالعالم الاسلامي، (١) وابتساع الحركة العلمية ونشاط الترجمة وتشجيع الخلفاء العباسيين للتأليف والكتابة ونقل العلوم والآداب عن الامم المغلوبة قويت رغبة الناس في القراءة، فكان لابد من توافر الكتب لهم فنشأت صناعة الوراق، وقامت اسواق الوراقين واصبحت في بغداد اسواق للوراقين يفد اليها الناس للاطلاع، وكانت تعقد في دكاكين الوراقين أو حولها المناظرات والمناقشات يشترك فيها الوراقون انفسهم، فقد كانوا على حظ من الثقافة والاطلاع وكانوا يحرصون على اجتذاب العلماء الى حوانيتهم (٢)، وقد كان لدكاكين الوراقين اثر عظيم في التكوين العلمي لعدد غير قليل من مفكرى الاسلام وعلمائه، وما يرفع شأنها ويبرز أثرها التربوي بعدها عن شوائب التعصب التي شابت عديدا من المؤسسات التعليمية الأخرى، ومن أهم ما يمكن ذكره لدكاكين الوراقين تمثيلها الصادق للحياة الاجتماعية في دول الاسلام فهي في بعض جهاتها

:-

(١) احمد شليبي، مرجع سابق، ص: ٦٣ .

(٢) نفس المراجع .

صورة من حركاتها العلمية والأدبية، وفي جهة أخرى منها صورة من نزعاتها الدينية، ومن جهة ثالثة صورة من حياتها العلمية اليومية. (١)

ولم تكن مهنة الوراق في عهد الدولة العباسية تقف عند بيع الكتب وإنما كانت تتعدى ذلك إلى مهام ثقافية عظيمة، فقد كان الوراقون الذين ينسخون الكتب الهامة ويعرضونها للراغبين فيها ويتقاضون على ذلك أجراً متواضعاً متوسطه ديتاراً على كل كتاب وكان الجاحظ يستأجر بعض دكاكين الوراقين ويبيت فيها للاطلاع على بعض الكتب، كما كان ياقوت الحموي يتاجر في الكتب ويـزور أسواق الوراقين ليعرفهم تجارته. (٢)

ويبدو لنا أن الفقراء من المثقفين كانوا يترددون على دكاكين الوراقين للمطالعة والاستفادة العلمية مقابل مبلغ بسيط من المال يدفعونه نظير ذلك، فإذا كانت المكتبات الخاصة قد بدأت تظهر في القصور وبيوت العلماء فإن دكاكين الوراقين كانت تمثل نوعاً من المكتبات العامة التي تفتح أبوابها لكل الناس، وقد كان لهذه الحوانيت المتواضعة التي انتشرت في بغداد ودمشق والقاهرة وحلب، دور عظيم وبارز في تنشيط الثقافة الإسلامية وازدهارها على مر العصور.

—:—

(١) سعيد اسماعيل علي، معاهد التعليم الاسلامي، مرجع سابق ص ٢٦٦ - ٢٧٠.

(٢) احمد شلبي، مرجع سابق، ص: ٦٥.

دور الكتب والمكتبات :-

وللمكتبة في الاسلام مهمة جليلة وغاية دينية كبيرة وعظيمة
فهو مرجعا للتراث الاسلامي الفكري والعلمي . فقد كانت مكتسبات
المساجد أول المكتبات التي نشأت وذلك منذ أن اتخذ المسلمون المسجد
مكانا للدراسة في البلدان الاسلامية حيث درست فيه العلوم الاسلاميه
وللمكتبات في الاسلام ميزات متعددة منها :-

ميزتها التعليمية التربويه ، فقد كانت المكتبة مركزا مهما
للتربية والتعليم وقد اعتبرت احدى مؤسسات التعليم التي ظهرت
في الاسلام وقد الحقت بكل مدرسة بنيت في الاسلام مكتبة خاصة
بها ، وكذلك للمكتبة ميزتها العلمية المثلثة في أنها مركزا للبحث والدرس
والتحصيل ودليل على ذلك ما كانت عليه دار الحكمة في بغداد والتي
اختصت بالبحث والدراسة .

واما عن ميزتها الاجتماعية فنجدها ميزة بارزة مثلثة فسي
اجتماع اهل البلدة لممارسة حياة اجتماعية راقية كما حدث في مكتبة
البصرة التي وضعها الحريري في مقاماته فكانت منتدى المتأدبين
ومجمع الفاضلين والقادمين (١)

—: —

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ، ط ١ بيروت ، مؤسسة

والى جانب مكاتب المساجد والمكتبات العامة الملحقة
فى المدارس وجد نوع آخر من المكتبات وهو نوع المكتبة الخاصة
وقد وجدت فى بيوت الصحابة والتابعين ثم الخلفاء والامراء
والوزراء والعلماء ، كما تنافس هؤلاء على انشاء المكتبات فى
المساجد والقصور والبيوت وفى المدارس والأربطة وتم تعيين العلماء
للاشراف عليها والمحافظة على كتبها وتزويدها بكل جديد مفيد
وقد رصدت لذلك الامول الطائلة ومن هذه المكتبات خزائن
المدرسة النظامية ببغداد وقبل ذلك بكثير اسس الخليفة المنصور
حيث وضع نواة اكبر مكتبة عامة اطلق عليها اسم دار الحكمة
والتي تتطور فيما بعد لتصبح مكتبة اسلامية عامة فى تلك
الفترة . (١)

وقد بلغت المكتبات الاسلامية فى العصر العباسي درجة
عالية من الرقى فى تنظيمها وترتيبها ودقة فهرسها فلم تخل
مكتبة ذات شأن ، سواء كانت عامة أو خاصة من فهرس يرجع اليه لسهولة
استعمال الكتب وكان للمكتبات العامة موظفون متفرغون للعمل بها
وعلى رأسهم الخازن امين المكتبة الذى يشرف على المكتبة من
الناحية العلمية والناحية الادارية ، والمترجمون الذين يقومون

—: —————

(١) عبد اللطيف بن دهيش ، المرجع السابق ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

بترجمة الكتب المنقولة عن الأمم المجاورة، والنساخ الذين يكتبون ما يصل إلى المكتبة من كتب جديدة ويمدون المكتبة بكل جديد وطريف، والمجلدون الذين يعنون بتجليد الكتب، والمناولون الذين يرشدون القراء إلى مواضع الكتب على الرفوف. (١)

منستطيع أن نقول :

إن التوجيه الاسلامي الصحيح قد وجه الأمة الاسلامية الى النور والحضارة التي يحث عليها ذلك الدين الحنيف تلك الحضارة التي غرست بذور القوة والوحدة التي ثم اثنائها التفاعل الحضاري. فعندما حدث التمزق والانقسام السياسي في ديار الاسلام لم يرافقه ضعف حضارى بل حدث العكس فقد بلغت الأمة الاسلامية أوج حضارتها وعزها عندما ضعفت سياسيا. فقد بقي التبادل الثقافي والاقتصادى - حرا دون قيد أو شرط - وذلك في المشرق، والاندلس وشمال افريقيا. بل كانت هناك كبرى مراكز الحضارة الاسلامية كبخارى وشيراز والرى وبغداد وحلب ودمشق وقرطبة ، هذا بالإضافة لوجود حكام أنار الله بصيرتهم فشحعوا فعلا الحركة الثقافية العلمية لوجه الله والثقافة والعلم (٢) .

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق، ص ١٥٢ - ١٥٤ .

(٢) محمد ماهر حماد ، مرجع سابق، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

بيوت العلم والعلماء :-

ان العلماء والمفكرين الذين فضلوا القاء دروسهم فسي منازلهم انما كانوا يفعلون ذلك لسبب أو لآخر لاحبا في العزلة عن الناس ولا تعاليا ولا تكبرا ولا غرورا فاستقبلهم طلاب العلم في بيوتهم وفي أوقات راحتهم يؤكّد تواضعهم وحبهم للعلم وحرصهم على ان يسود دروسهم السكينة والوقار .

وكان أول بيت من هذا النوع هو دار الارقم التي جلس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتقى المسلمين الأوائل يعلمهم مبادئ الدين الجديد ، وكان يستقبل اصحابه في بيته ايضا . (١)

وهكذا حبا في العلم وحرصا عليه قامت حلقات العلم تتوالى على العصور في بعض بيوت العلماء استجابة لالحاح الضرورة بعد أن يكون العالم منهم قد اعتزل مكان تدريسه الاولي لسبب أو لآخر . (٢)

من أهم هذه البيوت بيت الامام الغزالي الذي قام بالتدريس فيه بطوس بعد ان اعتزل التدريس في نظامية نيسابور بعد أن أدى فريضة الحج وكتب كتابه احياء علوم الدين (٣)

—: —

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٦٧ - ٦٨ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) ابن خلكان ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص : ٢١٨ .

وكذلك مجلس الرئيس ابن سينث في منزله حيث كان يتم
التدريس بالليل لعدم فراغه بالنهار لانشغاله في خدمة
الأمير شمس الدولة . (١)

تم توالى نشاطات ذلك المكان من امكنة التعليم على
ايدى اصحاب تلك البيوت من العلماء ، فيحدث ابن جـــــبير
عن مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد ، جمال الدين ابن الفضائل
ابن علي الجوزي في داره حديثا مسجلا مفضلا فيقول : " ثم
شاهدنا صبيحة السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه ، الامام الاوحد
جمال الدين ابن الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط
بالجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس
من عمر ولا زيد وفي جوف الفر اكل الصيد ، آية الزمان وقرة عين الأعيان
رئيس الحنبلية والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، امـــــام
الجماعة وفارس حلبة هذه الصناعة . (٢)

الى ان يشير الى كثرة الاسئلة التي كانت
توجه اليه : " وفي اثناء مجلسه ذلك
يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع ، فيجاوب
اسرع من طرفة عين " (٣)

—: —

(١) احمد شلبي ، المرجع السابق ، ص : ٦٨ .

(٢) ابن جبير ، مرجع سابق ، ص : ١٧٦ .

(٣) ابن جبير ، المرجع السابق ، ص : ١٧٧ .

" وأما عن منزل ابو سليمان السجستاني محمد بن طاهر
ابن بهرام المتوفى فى العقد الاخير من القرن الرابع فلقد
كان منزله مقبلا لأهل العلوم القديمة فيجتمع عنده العلماء
فيأخذون فى المذاكرة والمناظرة فى موضوعات شتى ، وكسان
لابى سليمان الكلمة الفاصلة (١)

—: —

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٦٨ - ٦٩ .

الزوايا والأربطة :-

" الزوايا جمع زاوية وهي المكان الذي ينزوي فيه المعتكف في ركن من اركان المسجد للعبادة ، وقد قام خلفاء المسلمين الاوائل بانشاء المساكن الملحقة بالمسجد لكي يأوى اليها المعتكفين فهم في حاجة الى ذلك الانزواء بحكم اعتكافهم . ولم يقف بها الوضع على هذه الشاكلة بل تطورت الى مساكن صغيرة وموزعة في اطراف المدينة وجبهاتها المختلفة تمثل دورا وساجد صغيرة تؤدى فيها الصلاة المفروضة والعبادات ، هذا بالاضافة الى تكوين الحلقات الدراسية القائمة على علوم الدين وما يتصل به من علوم نقلية أو عقلية " . (١)

أما في المغرب العربي فقد أطلقت كلمة زاوية على مسجد خاص بطائفة من الصوفية او ضريح لاحد الأولياء ، وقد يظهر أن الزوايا اكثر انتشارها كان في شمال افريقيا وبلاد المغرب العربي . (٢) وهناك اختلاف في المعنى لكلمة اربطة بين المشرق والمغرب فالمقصود بها في المشرق تلك المساكن التي يأوى اليها الفقراء

----- :-

(١) حسن ابراهيم ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ص : ٤٢٣ .

(٢) نفس المرجع السابق .

والمحتاجون لماوى سكني ، ومن ثم يقومون بالعبادة والتعلم فيها ،
اما في المغرب فهو عبارة عن مكان تجمع الجنود ويكون محمي
بسور منيع واسع تحيط به غرف كثيرة وكان المرابطون في هذا
المكان يقومون باعمال مختلفة تتمثل في صنع الحبر والورق ونسخ
الكتب وتوزيعها على طلاب العلم ، فكان الرباط في الوقت نفسه
عبارة عن مدرسة يقصدها العلماء وكذلك الطلبة وهو لا قد
يمكنون بها لمدة قد تصل للشهر بهدف الدراسة والاطلاع والاستفادة
العلمية . (١)

" وقد يكون للرباط في المشرق او المغرب شأن في العملية
التعليمية ليس بقليل ، فالرباط لا يقل أهمية عن المسجد من حيث
كونه مكانا تشع منه الدعوة الى الاسلام " . (٢)

لقد كانت الصفة السائدة لتلك الزوايا وتلك الاربطة
صفة التعليم الديني ، وكان طابع الدراسة هو الذي يهيمن
على اجوائها سواء في المشرق والمغرب .

—: —

(١) محمد منير مرسى ، مرجع سابق ، ص : ٢١٩ .

(٢) نفس المرجع .

الدواوين :-

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعين بصحابته ممن يعرف منهم القراءة والكتابة لتدوين آيات القرآن الكريم ، فكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص يكتبون القرآن ويحررون الكتب التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسلها الى الملوك والأسراء . (١)

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه كاتباً لأبي بكر الصديق ثم اتخذ الخلفاء الراشدون كتاباً (٢) وفى عهد الدولة الاموية أصبح الكتاب خمسة : كاتب الرسائل ، وكاتب الخراج ، وكاتب الجند ، وكاتب الشرطة ، وكاتب القاضي . (٣)

وتشير المصادر الى ان ظهور الكاتب بمفهومه كان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد قيل فى العام الخامس عشر للهجرة على حد قول الطبرى ، وقيل فى العام العشرين كما يذكر الماوردى (٤) .

— :- —

(١) حسن إبراهيم حسن ، المرجع سابق ، ح ١ ، ص : ٤٤١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٤٤٢ .

(٤) فتحه التبرائى : تاريخ النظم والحضارة الاسلاميه ، ط ٣ جده :

الدار السعوديه للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ ص : ١٢ .

والديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر، واطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه الديوان يقول الماوردي : "الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال". (١)

وقيل كلمة فارسية معربة ، وقيل انه عربي ومعناه الأصل الذي يرجع اليه ويعمل بما فيه ومنه قول ابن عباس : "انذا سألتمونى عن شئ" من غريب القرآن فالتسوه فى الشعر ، فان الشعر ديوان العرب". (٢)

وكان فى العصر الاموي يتولى ديوان الانشاء كاتب يقوم بترتيب أموره فالخليفة يصدر الاحكام ويقوم بالتوقيع والكاتب ينفذ ولقي هذا الديوان اهتماما اكبر فى عهد الدولة العباسية فكانت تسند اموره الى الوزارة فيشرف الوزير بنفسه على تصريف اموره. (٣)

وكان العصر العباسي الاول حافلا باسماء كتاب اعتبرهم التاريخ فرسان قلم ، وكان العباسيون بصورة عامه يولون هذا المنصب لاقربائهم أو لمن ينتهى لنسب رفيع ومستوى مرموق من الثقافة وسعة العلم. (٤)

—:—

(١) حسن ابراهيم حسن المرجع السابق ، ج ١ ص : ٤٤٤ .

(٢) ابوزيد شلبى ، تاريخ الحضارة الاسلاميه والفكر الاسلامي ، ط ٣

القاهرة : مكتبة وهبه ، ١٣٨٣ هـ ، ص : ١٠٧ .

(٣) فتحية النبراوى ، المرجع السابق ، ص : ١٠٧ .

(٤) اكرم رسلان ديرانيه : الحكم الاداره فى الاسلام ، جده : دار

الشروق ، د . ت ص : ١٤٨ .

ولما استقر الأمر للدولة الإسلامية في العصر الأموي كانت هناك ستة دواوين رئيسية مقرها دمشق عاصمة الخلافة وهي ديوان الخاتم ، وديوان البريد ، وديوان الرسائل ، وديوان الجند وديوان بيت المال . (١)

وفي العصر العباسي أستحدث الخلفاء العباسيون الكثير من الدواوين التي استدعتها حاجة الدول وتطورها ، وأهم هذه الدواوين المستحدثة هي :-

ديوان الزمام : وفيه تجمع جميع الدواوين لرجل يضبطها وهو يشبه ديوان المحاسبه اليوم ، ثم ديوان الاحداث والشرطة حيث يقوم باعمال وزارة الداخلية بالمفهوم الحديث ، وديوان الاكرية الذي يشرف على شئون الري في الدولة ، كما ان الدولة العباسية توسعت في ديوان البريد ايضا واهتمت به اهتماما بالغا . (٢)

وما يهتم نحن من هذه الدواوين ديوان واحد له علاقة بتاريخ الثقافة الاسلامية وهو ديوان الانشاء أو ديوان الرسائل .

وهو أول ديوان عرفته الدولة الاسلامية وكان هذا الديوان يحتاج دائما الى كتاب متكئين من اللغة العربية على مقدرة

—: —

(١) فتحية النبراوي ، مرجع سابق ، ص : ١٠٠ .

(٢) ابوزيد شلبي ، المرجع السابق ، ص : ١١٤ .

بلاغية عالية ، علماء بالنحو ، مدركين اسرار العربية ، ومن ههنا
أصبح على من يطمح الى منصب الكتاب ان يكون على قدر من
الثقافة ، وبذلك ساهم هذا الديوان بطريقة مباشرة ، في تطور
النثر العربي وبطريقة غير مباشرة ، في اثراء التراث العربي الاسلامي
باساليب جديدة من الكلام ، فكان هذا الديوان مركزا مجهولا
من مراكز التعليم الاسلامي لانه كان محصورا بفئة معينة محدودة
من الأدباء والكتاب ولكنه لا شك أوجد مئات من فرسان القلم
على الأرض الاسلامية .

البيمارستانات :-

" البيمارستان بفتح الراء وسكون السين كلمه فارسيه
مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب وستان
بمعنى مكان أو دار فهي اذاً دار المرضى ثم اختصرت فسمى
الاستعمال فصارت مارستان كما ذكرها الجوهري في صحاحه" (١)
" وكانت البيمارستانات من أول عهدها الى زمن طوئيل
مستشفيات عامة تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية
وجراحية ورمدية وعقلية الى ان اصابتها الكوارث فأقترت بالأمم
المجانين حيث لا مكان لهم سواها فصارت كلمه

—:—

(١) احمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ط ٢ ، بيروت

دار الرائد العربي ، ١٤٠١ هـ ، ص : ٤٠ .

مارستان اذا سمعت لاتنصرف الا الى مأوى المجانين". (١)
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أمر بمثل هذه
المستشفيات عندما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق فجعلته
في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده صلى الله
عليه وسلم ، وكانت رفيدة هذه تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها
على خدمة المصابين من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد قال حين اصاب سعد بن معاذ السهم ، اجعلوه
في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب . (٢)

ولم تكن البيمارستانات مكان لعلاج المرضى والشفاء من
أمراضهم فقط بل كانت بمثابة دور لتعليم الطلبة والأطباء مهنة
الطب عمليا ، فهم يقومون بدراسة الحالات التي تعرض عليهم
دراسة عملية من واقع المشاهدة التي أمامهم للحالة - أى كاحداث
ما وصل له علم الطب من الحاق مستشفى بكليات الطب - وكان
يلحق بكل مستشفى من ذلك النوع قاعة محاضرات تلقى فيها
المحاضرات وبها الآلات والكتب ويجتمع فيها كبار الأطباء بسائر
الأطباء والطلبة ويتم التدريس والمناقشات بينهم جميعا ، وفيها
تقرأ كتب الطب . (٣)

—: —

(١) احمد عيسى ، مرجع سابق ، ص : ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٩ .

(٣) سعيد اسماعيل على معاهد التعليم الاسلامي ، مرجع سابق ص ٢٢١

"ففى العصر العباسي كان طلبة الطب
يتلقون علومهم على ايدي اساتذتهم ففى
هذه البيمارستانات ان كانت تهيأ لهم
الايوانات الخاصة المعدة والمجهزة
بالآلات والكتب احسن تجهيز، فيقدمون
بين يدي معلمهم بعد ان يتفقدوا المرضى
وينتهوا من العلاج." (١)

وكان فى بيمارستان احمد بن طولون فى القاهرة خزانة
كتب كانت فى احد مجالس البيمارستان وكان فيها مايزيد على مائة
الف مجلد فى سائر العلوم. (٢)

ومن البيمارستانات الاسلامية :-

بيمارستان جند يسابور الذى كان موجودا قبل ظهور
الاسلام وكان العرب يستمدون اطباءهم من خريجي جند يسابور
واستطب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده
اطباء تخرجوا منه كالحارث بن كلدة وابنه النضر. (٣)

أما بيمارستانات الجزيرة العربية فتشير المصادر الى
أن انشاءها بدء فى القرن السابع الهجري ، وذلك فى مكة المكرمة
والمدينة المنورة ، وهما : بيمارستان المستنصري العباسي بمكة المكرمة
وبيمارستان الظاهر بيبرس بالمدينة المنورة. (٤) أى بعد
انتهاء القرن الخامس الهجري والسادس أيضا

:-

(١) احمد عيسى ، المرجع السابق ، ص : ٣٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) نفس المرجع ص : ٢٦١ - ٢٦٥ .

البيمارستان العتيق الذى أنشأه احمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ ، وبيمارستان صلاح الدين الايوبي وقد أسهب في الحديث عنه ابن جبير عند زيارته للقاهرة ، والبيمارستان الكبير المنمورى أودار الشفاء وقد أنشأه الملك المنصور قلاوون . (١)

وهناك عشرات البيمارستانات في أنحاء الدولة الإسلامية تشهد كلها بمدى التقدم العلمى في مجال الطب الذى وصلت اليه الأمة الإسلامية في عصور الازدهار.

والسؤال الذى قد يتبادر الى الأذهان ، مادور هذه البيمارستانات في تطور التعليم الإسلامى ؟
لا شك أن هذه المراكز الطبية والعلمية التى كان يطلاب العلم يتدربون بها تدريباً عملياً ونظرياً وواقعياً كانت أشبه ما تكون بكلية الطب العصرية التى تدرب طلابها بالمستشفيات الملحقة بها ، لقد كانت هذه البيمارستانات مركزاً علمياً متطوراً من مراكز التعليم المتقدمة والمتطورة والعالية ساعدت على تطور علم الطب عند المسلمين وخرجت مئات الأطباء وفمت مكتباتها مئات الكتب العلمية والمجلدات النفيسة .
أنها صورة مشرقة من صور تاريخنا الإسلامى التى يحق لنا ان نفخر بها دائماً وأبداً .

(١) احمد عيسى ، المرجع السابق ص ٦٧ - ٨٩

ومن بيمارستانات العراق :-

بيمارستان الرشيد ، وقد أمر الرشيد جبريل بن بختيشوع
بانشائه بعد توليه الخلافة ، وبيمارستان البرامكة (١) ، والبيمارستان
العضدي الذي أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من
بغداد (٢) ، وبيمارستان الموصل ، وبيمارستان الرقة وبيمارستان حران
وبيمارستان نصيبين (٣) .

وأهم بيمارستانات الشام :-

البيمارستان الذي أنشأه الوليد بن عبد الملك الأموي عام
٨٨ هـ وكان أول بيمارستان في الدولة الإسلامية ، فقد اهتم
ببنائه وخصص الأماكن للمرضى حسب حالاتهم ثم أجرى الجراحيات
عليه (٤) .

وبيمارستان انطاكية ، والبيمارستان الكبير النوري وقد أنشأه
الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في القرن السادس
الهجري ، والبيمارستان النوري بحلب ، وبيمارستان حماة ، وبيمارستان
القدس (٥) .

وفي مصر عشرات البيمارستان التي ظهرت في القرن
الثالث الهجري وما بعده منها :-

—: —

- (١) احمد عيسى ، مرجع سابق ، ص : ١٢٨ .
- (٢) ابن خلكان مرجع سابق ، المجلد الرابع ص : ٥٤ .
- (٣) احمد عيسى المرجع السابق ، ص : ٢٠١ - ٢٠٢ .
- (٤) سعيد اسماعيل علي ، معاهد التعليم الاسلامي مرجع سابق
- ص : ٢٢٢ . وكذلك احمد عيسى ، مرجع سابق ، ص : ٢٠٣ .
- (٥) احمد عيسى ، المرجع السابق ، ص : ٢٠٤ - ٢٣٣

نشأة المدارس :-

شهد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ظهور أول مدرسة رسمية تلقى الاهتمام والرعاية من قبل الدولة بطريقتين مباشرة وذلك بتأسيس المدرسة النظامية الأولى ببغداد عام ٤٥٩ هـ بأمر من الوزير السلجوقي الحسن بن علي اسحاق بن العباس الطوسي الشافعي الملقب بنظام الملك (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) وقد بدأ العمل فيها سنة ٤٥٧ هـ وكانت على شاطئ دجلة وانتهى العمل فيها عام ٤٥٩ هـ . (١)

ويوصف العصر السلجوقي بأنه عصر انتشار المدارس وشيوعها في العراق والمشرق خاصة وفي العالم الاسلامي عامة ، وقد نشأ خلاف كبير بين المؤرخين القدماء والباحثين المعاصرين حول أول مدرسة تأسست في العالم الاسلامي . (٢) فبعد ان يتحدث السبكي في طبقاته عن المدارس التي بناها وافتتحها الوزير نظام الملك عاد مستدركا لما ذهب اليه الذهبي (ت ٧٤٨) ليقول :-

” وشيخنا الذهبي زعم أنه - أي الوزير نظام الملك - أول من بنى المدارس ، وليس كذلك ، فقد كانت المدرسة البيهقيية بنيسابور أيضا بناها الأمير نصر بن سبكتكين ، أخو السلطان

— : —

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٩ .

(٢) ستحاول الباحثه عرض آراء أبرز الباحثين المتأخرين

والمعاصرين حول هذا الموضوع .

محمود لما كان واليا بنيسابور ، ومدرسة ثالثة بناها بنيسابور
ابو سعد اسماعيل بن علي بن المثنى الاستراباذي الواعظ ، الصوفي
شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور ايضا بنيت للاستاذ ابي
اسحاق الاسفراييني " (١)

فالسبكي يشير وبشكل واضح وصريح ان مدرسة بغداد
النظامية لم تكن المدرسه الاولى في الاسلام ويعدد اسما بعض المدارس
التي كانت قد ظهرت قبل نظامية بغداد وذلك فيما وراء النهر أما
بين الباحثين المعاصرين فان احمد شلبي في كتابه تاريخ التربية
الاسلاميه يأخذ بآراء الذهبي ولكنه لا يتحدث مطلقا عن اى مدرسة
من مدارس خراسان او ما وراء النهر ، بل انه يقول معتمدا على
كلام الذهبي " ان العراق وسوريه ومصر كانت قبل نشأة المدارس
يحكمها البوهيون والفاطيون ، وكلا الاسرتين ذات مذهب شيعي
بل انهما بذلا وسعهما لنشر المذهب بين رعاياهما ، أما
بطريق الدعاية ، او بطريق القهر في بعض الأحيان " (٢).

وهذه العبارة التي اوردها احمد شلبي توحى بأنه يؤيد
الذهبي في رأيه وهو يشير بطرف خفي الى ان الشيعة لم يلجأوا الى
احداث المدارس لنشر مذهبهم وربما يريد الاشارة ايضا الى
ان السلاجقة والايويين أرادوا من تأسيس المدارس نشر مذهبهم

— : —

(١) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٤ ، ط ١

القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٨٥ هـ ص : ٣١٣ .

(٢) أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٥ .

السني فهو يقول بعد العبارة السابقة .

” وقد انشأت هاتان الأسرتان — يعنى
السلاجقلا والأيوبيين — المدارس لتقاوما
بها ما غرسه الشيعة فى نفوس الناس من
عقائد يراها أهل السنة زائفة باطلة ثم
لينشروا بمساعدة هذه المدارس عند أهل
السنة التى يرونها تطبيقا للدين الصحيح “
(١) .

ويؤيد احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام ويورد عبارة المقرئى

فى خطه حيث قال : —

” ان المدارس ما حدث فى الاسلام ، لم
تكن تعرف فى زمن الصحابة والتابعين وانما
حدث عملها بعد الاربعمائة من سنى
الهجرة وأول من حفظ عنه انه بنى مدرسة
فى الاسلام أهل نيسابور فبنيت المدرسة
البيهقية (٢) . تم يقرر النتيجة التالية :-
” على كل حال لم تكن فى العصر العباسى
الاول مدارس وانما كانت هناك معاهد
أخرى . ” (٣)

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٥ .
(٢) احمد امين ، مرجع سابق ، ص : ٤٩ .
(٣) نفس المرجع ، ص : ٥٠ .

وهو يقصد بالعصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢ هـ) الى عهد المتوكل . (١) وقد ذهب حسن ابراهيم حسن المذهب نفسه :-
” ولم تنشأ المدرسة قبل القرن الرابع الهجري ، وكانت المدرسة الاولى هي المدرسة البيهقية في نيسابور . (٢)
أما محمد اسعد طلس فيعتقد على ما أحصاه المستشرق وستنفلد في كتاب عن الامام الشافعي فيجعل أن مدرسة ورد ذكرها في النصوص التاريخية القديمة مدرسة الامام ابي حاتم البستي الاديب المشهور والمتوفى عام ٣٤٥ هـ . (٣)
ويعارض سعيد اسماعيل في كتابه معاهد التعليم الاسلامي الفكرة التي روج لها بعض المؤرخين وهي ان نظام الملك هو أول من بنى المدارس الاسلامية . (٤) ويعد أن يستقر عدد من الكتابات التاريخية ويقارنها بعضها ببعض يصل الى النتيجة التالية :
” ومن هنا نستطيع أن نرجع نشأة المدارس الاسلامية في الربع الأخير من القرن الرابع على أساس المؤسسة التي أختصت باسم المدرسة ، أما أقدم ما عرف من نشأة المدارس المحددة فهو المدرسة الصادرة عام ٣٩١ هـ في دمشق وان كانت جمهرة من المؤرخين تؤكدها أنها مدرسة ابن فورك ٤٠٦ هـ واذا كان البعض لا يروونها كدأنها

—: —

(١) نفس المرجع .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص ٤٤ ، ص : ٤٢٥ .

(٣) محمد اسعد طلس ، مرجع سابق ، ص : ١٢٢ .

(٤) سعيد اسماعيل على ، مرجع سابق ، ص : ١٣٥ .

المدرسة البيهقية الا أن تاريخها ليس محددًا * (١)
والمدرسة الصادرة التي يشير اليها أنشأها الأمير شجاع
الدولة صادر بن عبد الله في دمشق عام ٣٩١ هـ، أما المدرسة التي
بنيت لابن فورك في نيسابور فابن فورك كان اشعريا متحمسا . (٢) -
ويؤكد حسن عبد العال في كتابه التربية الاسلامية في القرن
الرابع الهجري أن المدرسة قد ظهرت في القرن الرابع الهجري
وأنها لم تكن وليدة القرن الخامس الهجري . (٣) معتمدا في ذلك
على ما ذهب اليه آدم متز في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن
الرابع الهجري ، وأسماء فهي في كتابها مبادئ التربية الاسلامية
وكذلك بعض الروايات التاريخية القديمة والمصادر المعتمدة . (٤)
أما حسام الدين السامرائي فانه يعيد تاريخ المدرسة
الاولى في الاسلام الى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث
الهجري ، معتمدا على أهم المصادر التاريخية ، فيجعل مدرسة
الامام أبي حفص الفقيه البخاري (١٥٠ - ٢١٧) هـ أول مدرسة في
المشرق الاسلامي ، لكنه لا يستطيع تحديد تاريخها التأسيسي تماما (٥)

—: —

- (١) سعيد اسماعيل علي ، مرجع سابق ، ص : ١٣٨ .
- (٢) نفس المرجع ، ص : ١٣٧ .
- (٣) حسن عبد العال ، مرجع سابق ، ص : ٢١١ .
- (٤) نفس المرجع ، ص : ٢١١ - ٢١٢ .
- (٥) حسام الدين السامرائي : المدرسه مع التركيز على النظاميات
بحيث مخطوط مقدم للمجمع الملكي لبحوث الحضارة ، (عمان
١٤٠٦ هـ) ص : ١٢ .

أما ناجي معروف فقد كان كتابه مدارس قبل النظامية دراسة علمية تاريخية موثقة تعد أهم دراسة عالجت بدقة وتفصيل هذا الموضوع الذي اختلف حوله الباحثون فهو يؤكد ان المدرسة النظامية ومدرسة أبي حنيفة لم تكونا أول المدارس الاسلامية، وانما انشأت قبلهما فيما وراء النهر وخراسان مدارس عديدة. (١)

وبعد أن يناقش كل آراء المؤرخين القدماء والباحثين المتأخرين منهم والمعاصرين حول هذا الموضوع (٢) يذكر لنا ثلاثا وثلاثين مدرسة بنيت في المشرق الاسلامي قبل نظامية بغداد وقد ظل أكثرها يؤدي خدمات علمية مدة طويلة من الزمن وحيث ان الباحثة وجدت ان هذه الدراسة هي أفضل ما كتب في نشأة المدارس قبل النظاميات فقد ترى ان من الأفضل التحدث عن هذه المدارس بايجاز معتمدة في ذلك على كتاب الباحث المذكور .

- ١ - مدرسة حسان القرشي الأموي بنيسابور . (٣)
- انشئت قبل سنة ٣٤٩ هـ ، وأنشأها حسان بن محمد القرشي المتوفي سنة ٣٤٩ هـ بنيسابور ، كان أحد أئمة الدنيا

(١) ناجي معروف : مدارس قبل النظامية ، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩٣ هـ : ص : ٨ .

(٢) نفع المرجع السابق ، ص : ١٤ .

(٣) سعيد اسماعيل على ، مرجع سابق ، ص : ١٣٨ .

درس ببغداد ونيسابور ، حدث وحدث عنه ، وكانت ولادته بعـد
سنة ٢٧٠ هـ ووفاته في شهر ربيع الأول سنة ٣٤٩ هـ وكان القرشي
امام أهل الحديث بخرسان وعالما زاهدا متعبدا متقشفا ملازما
لمدرسته وبيته .

٢ - مدرسة ابن حبان التميمي بنيسابور . (١)

انشئت قبل سنة ٣٥٤ هـ ، وأنشأها ابو حاتم محمد بن حبان
البستي التميمي بنيسابور قبل سنة ٥٣٤ هـ ، قال ياقوت الحموي ،
في معجم البلدان : وكان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها
وجمعها في دار رسمها لها ، وقال الحافظ ابو عبد الله الحاكم
الضبي : ابو حاتم ابن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لاصحابه
ومسكن للفراء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة
وفيها خزانة كتبه .

٣ - مدرسة أبي حفص ببخارى . (٢)

انشئت قبل سنة ٣٦١ هـ وذكرها تاج الدين السبكي وهو
يترجم في طبقاته لمحمد بن أحمد بن علي بن شاهويه وهو
ابو بكر القاضي ، الفارسي ، ونقل السبكي عن الحاكم قوله :
انه كان امام نيسابور زمانا ثم خرج الى بخارى وكان يدرس في مدرسة

— : —

(١) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص : ٢٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢٦ .

أبى حفص الفقيه ، وإذا كان ابن شاهويه قد مات سنة ٣٦١ هـ —
فهذا يعنى ان المدرسة كانت موجودة ببخارى قبل خروج
ابن شاهويه الى بخارى .

٤ - مدرسة مرست ببنج ديه . (١)

انشئت قبل سنة ٣٦٥ هـ ، حيث بنيت فى قرية مرست
احدى القرى الخمس ببنج ديه بمرقد وقد ذكرها السبكي فى
طبقاته وهو يترجم لأبى بكر محمد بن على بن اسماعيل القفال
الكبير الشاشي المولود سنة ٢٩١ هـ المتوفى بالشاش فى ذى الحجة
سنة ٣٦٥ هـ فى السند وكان امام المسلمين فى التفسير والحديث
والكلام والأصول واللغة والشعر وامام عصره بما وراء النهر
للشافعيين .

٥ - مدرسة باب بستان بغزنه . (٢)

انشئت قبل سنة ٣٨٥ هـ وقد درس فيها ابو صالح الذى
عينه السلطان محمود اماما فى غزنه على مذهب أبى حنيفة فى
سنة ٣٨٥ هـ واشتغل بالتدريس فى هذه المدرسة فترة طويلة وقد
تخرج على يده وأخذ العلم عنه قاضي القضاة ابو سليمان داود بن
يونس وكانت لأبى صالح هذا منزلة كبيرة عند السلطان محمود فلما
توفى عام ٤٠٠ هـ امر السلطان وزيره أبا العباس الاسفرايينى

— :-

(١) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص : ٢٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢٧ .

ان يذهب الى مدرسة هذا الامام ويقيم فيها مأتمه .

٦ - مدرسة محمد الحمشاري . (١)

انشئت قبل سنة ٣٨٨ هـ لابي محمد بن عبد الله بن حمشار ابو منصور بن ابي محمد الحمشاري النيسابوري الفقيه الأديب الزاهد كان زاهدا في الدنيا ، عابدا ، مجانبا للسلطين ، ملازما لمدرسته ومسجده مكتفيا من أوقات السلف بقوت يومه ، تخرج على يديه جماعة من العلماء الواعظين ، كانت ولادته سنة ٣١٦ هـ ووفاته في رجب سنة ٣٨٨ هـ .

٧ - مدرسة ابن رضوان . (٢)

أنشئت سنة ٣٩٠ هـ أنشأها بنيسابور الحسن بن داود بن رضوان ابو علي الفقيه السمرقندي ، وكان قد تفقه بخرسان والعراق وسمع بالبصرة سنن ابي داود من ابن داسه ثم عاد الى نيسابور وأقام بها وبنى المدرسة ودرس فيها خمس سنين روى السنن ، وقسري عليه ، ونشر العلم وكانت وفاته عام ٣٩٠ هـ —

٨ - المدرسة السعيدية بنيسابور . (٣)

انشئت سنة ٣٩٠ هـ وأنشأها بنيسابور الأمير العالم ابو المظفر

—: —

(١) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص : ٢٨ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢٨ - ٢٩ .

نصر بن ناصر واستفاد منهم ، وبني المدرسة السعيدية ووقف عليها الأوقاف ثم عاد الى غزنه وتوفي بها .
٩ - المدرسة الدقاقية بنيسابور . (١)

وقد بنيت في سنة ٣٩١ هـ ، وقد ورد ذكر المدرسة في ترجمة ابي اسحاق الطوسي المتوفي سنة ٤١١ هـ ، وكان من كبار أصحاب الشافعي ومناظرهم ومن زوى الثروة والعلم والجاه وكان من جيران المدرسة في سكة ابي علي الدقاق ، وكان لابي علي الدقاق بنت عالمة مشهورة يقال لها فاطمة ٣٩١ - ٤٨٠ هـ نشأت في تربية أبيها وتعليمه وتأديبه وتهذيبه ، وكانت حافظة لكتاب الله عارفة بالكتابة وقد ولدت في السنة التي بنى فيها المدرسة .
١٠ - المدرسة الصاعدية بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٢ هـ ومن مدرسيها : عبد الله بن محمد بن عمرو الزيادي القاضي ابو القاسم من وجوه علماء وفقهاء الحنفية بنيسابور استخلفه القاضي الامام ابو العباس للتدريس في مدرسته سنة ٤٠٤ هـ .
ومن مدرسيها ايضا : ابو القاسم الصاعدي ابن قاضي

—: —

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٠ - ٣١ .

القضاء وكان رجلا كبيرا فاضلا مشهورا من الدوحة الصاعدية وكان متعصبا للسنة ، تولى القضاء مدة غيابه عن أبيه ثم اشتغل بنيسابور وصار قاضي القضاة بها ودرس بالمدرسة الصاعدية سنين وقد توفي عام ٤٧٠ هـ .

ومن سكان المدرسة الصاعدية ابو الحسن الفقيه المفتي على ابن ابي نصر الجرجاني من اصحاب ابي حنيفة وكان عليه مدار الفتوى في زمانه في مجلس القضاء ، وقد توفي سنة ٤٨٧ هـ .
ومن مدرسيها أيضا : أبو العلاء صاعد بن منصور بن اسماعيل القاضي الامام أبو العلاء الذي ورد ذكره قبل قليل وقد كان يحضر المجالس والمحافل والجامع مع أبيه وينوب عن والده في الخطابة وأقعدته في المدرسة ، ودرس وحضر درسه في مواضع مات سنة ٤٩٤ هـ .

(١) - مدرسة ابي سعد الزاهد بنيسابور . (١)

وهي أيضا انشئت قبل عام ٤٠٤ هـ ومؤسسها : عبد الله ابن ابي عثمان محمد بن ابراهيم النيسابوري الشافعي أبو سعد الزاهد الخرکوشي الواعظ الاستاذ العالم الورع الزاهد ، بذل نفسه وجاهه وماله للفقراء والمستورين والغرباء وقام في القحط المعروف سنة ٤٠١ هـ ينفق على الفقراء ويجهز الموتى ، وبني في سكنه مدرسة ومارستانا ، وصف عددا من الكتب في دلائل

—:—

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ٣٢ - ٣٣ .

النبوة وعلوم الشريعة ، توفي سنة ٤٠٤ هـ ودفن في الخانكاه المنسوب اليه في سكه خركوشي ، ومن لهم علاقة بمدرسة ابي سعد الزاهد ابو بكر بن فنجويه الاصبهاني المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، أحد حفاظ زمانه وفرسان أهل الحديث ، دخل نيسابور تاجرا وكتب لأهل بلده الامالي عن علمائها ثم عاد الى اصبهان ونشط في طلب الحديث ورجع الى نيسابور وعقد له مجلس الاملاء في مدرسة ابي سعد الزاهد فأملئ سنين وقرأ عليه الكثير وتخرج على يديه جماعة من الطلاب توفي سنة ٤٢٨ هـ .

١٢ - مدرسة سهل الصعلوكي العجلي بنيسابور . (١)

وهذه ايضا انشئت قبل سنة ٤٠٤ هـ ، وكان سهل الصعلوكي هذا مفتي نيسابور ، وقد وصف بأنه جمع بين رياستي الدنيا والدين وكان يلقب شمس الاسلام ، درس على عدد من العلماء وروى عنه الحاكم الضبي ، وأبو بكر البيهقي ، وغيرهما من فقهاء نيسابور وقد توفي سنة ٤٠٤ هـ ، وقد ورد ذكر مدرسته في ترجمة أبي بكر بن أبي زكريا المزكي الذي عقد له مجلس الاملاء في مدينة السلام وكانت وفاته سنة ٤٧٤ هـ ، وصلى عليه الامام ابو سعيد القشيري في مدرسته سهل الصعلوكي ودفن خلف المدرسة بجانب والده

١٣ - مدرسة الاسفراييني بنيسابور . (٢)

انشئت قبل سنة ٤٠٥ هـ حيث انصرف الاستاذ ابواسحاق

—: —

(١) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص : ٣٣ - ٣٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٤ .

الاسفرايينى من العراق بعد المقام فيها وقد أقر له أهل العلم بالعراق وخرسان بالتقدم والفضل فعاد الى موطنه نيسابور وبنى له المدرسة التى لم يبن قبلها بنيسابور مثلها ، ودرس فيها وحدث وترجم له السبكى فى طبقاته : أحد أئمة الدين كلاما واصولا وفروعا وكان يلقب بركن الدين وكان ثقة ثبتا فى الحديث عقد له أول ، مجلس املاء فى مسجد عقيل بنيسابور بعد صلاة العصر يوم الخميس فى المحرم سنة ٤١١ هـ ، وكانت وفاته بنيسابور سنة ٤١٨ هـ ، وحمل منها الى اسفرايين فدفن بها .

١٤ - مدرسة الصابونى بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٥ هـ ، وترجم السبكى فى طبقاته لشيخ الاسلام ابى عثمان الصابونى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ وذلك أنه لما حضرته الوفاة طلب الى اخوانه وأحبائه ان يجلسوا فى المدرسة ويساعدوا الاصحاب فى قراءة القرآن ، وكانت حياة الصابونى حافلة بالاعمال الجليلة ، وقد لقبه السنة فى بلاه خراسان بلقب شيخ الاسلام وممن عقد له مجلس الاملاء فى مدرسة الصابونى ابنه عبدالرحمن ابوبكر الصابونى ، وقد لقي الوزير نظام الملك فأكرمه ووصله بصلات ، وأقام عنده وولى قضاء اذربيجان فسمى قاضى القضاة ثم عاد الى نيسابور وعقد لنفسه مجلس الاملاء فى مدرسة الصابونى

١٥ - مدرسة القطان بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٥ هـ ذكرها الحاكم الضبي في تاريخ نيسابور في ترجمة ابي اسحاق القطان فقال : هو ابراهيم ابن محمود بن حمزة الفقيه ابو اسحاق المالكي المعروف بالقطان ومسجده ومدرسته معروف ، ولم يكن بعده للمالكية بنيسابور مدرس . واذا كان الحاكم الضبي قد توفي سنة ٤٠٥ هـ ، فلا بد ان تكون مدرسه القطان قد انشئت قبل ذلك .

١٦ - المدرسة البسطامية بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٥ هـ وقد ورد ذكرها أيضا بتاريخ نيسابور فقد ترجم الحاكم الضبي ترجمة قصيرة لابراهيم بن محمد وهو ابو اسحاق الرئيس البسطامي وقال : " كان يسكن نيسابور بباغ الدارين وبها مدرسته وداره التي بناها لأهل الحديث وبذلك تكون المدرسه البسطامية قد انشئت قبل وفاة الحاكم سنة ٤٠٥ هـ " .

١٧ - مدرسة ابن فورك الأنصاري بنيسابور . (٣)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٦ هـ وكانت لابي بكر محمد ابن الحسن بن فورك الانصاري الاصفهاني المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وكان قد أقام أولا بالعراق يدرس العلم على علماء بغداد ثم توجه الى الري وبعدها

—: —

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ٣٦ - ٣٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٧ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٣٨ .

الى نيسابور فبنى له الأمير ناصر الدولة دارا ومدرسة وأحيا الله به هناك أنواعا من العلوم وتخرجت على يديه جماعة من المتفهمة وكان فقيها متكلم ، وأما جليلا ، وله تصانيف تبلغ المائة ودعى الى غزته وجرت له بها مناظرات ، ولما عاد منها توفي سنة ٤٠٦ هـ ونقل الى نيسابور ودفن بالحيرة ، درس مذهب الأشعرى على ابن الحسن الباهلي ، وروى عنه الحافظ ابو بكر البيهقي والاستاذ ابو القاسم القشيري .

١٨ - المدرسة الناصحية بنيسابور . (١)

وهذه أنشئت قبل سنة ٤٠٨ هـ ذكرها السبكي في طبقاته الكبرى ، وهو يترجم لأثنين من مدرسيها ، الأول هو الواحد بن اسماعيل ابن البوشنجي ابو القاسم الفقيه الفاضل الورع من وجوه الفقهاء والمدرسين والمناظرين ، وقد عمل بهذه المدرسة التي أسسها الفقيه ناصح الدولة ، وقد توفي ابو القاسم كهلا سنة ٤٠٨ هـ وأما مدرستها الاخر فهو ابو عبد الله الفراوي محمد ابن الفضل بن احمد بن محمد بن أبي العباس ابو عبد الله الصاعدي النيسابوري الملقب بفقيه الحرم توفي سنة ٥٣٠ هـ ، درس الأصول والتفسير على زين الاسلام القشيري وتفقه على امام الحرمين وحج وعقد المجلس ببغداد وسائر البلاد وأظهر العلم بالحرمين ونشر العلم هناك ثم عاد الى نيسابور ليدرس بالمدرسة الناصحية وأم بمسجد الطراز ، وعقد الاملاء ايام الأحد ويروى أنه

--:-

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ٣٨ - ٣٩ .

أنه أُملي أكثر من ألف مجلس .

١٩ - المدرسة البيهقية بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٨ هـ وقد ذكر تاج الدين السبكي ان المدرسة البيهقية أنشئت قبل ان يولد نظام الملك أى قبل سنة ٤٠٨ هـ وهى السنة التى ولد بها الوزير السلجوقي ومؤسسها على بن الحسين بن على بن الشيخ الموفق البيهقي وكان كاتباً أدبياً من وجوه اصحاب الشافعي ، بنى المدرسة من خالص ماله ، وأنفق على عمارتها ومصالحها آلاف مؤلفه توفي فى شوال سنة ٤١٤ هـ ، ومن العلماء الذين جاء ذكرهم فى المدرسة البيهقية .

أبو بكر التميمي ٣٤٩ - ٤٣٠ هـ المقرئ والأديب الفقيه المحدث وابو صالح المؤذن ٣٧٠ - ٣٨٨ هـ . وكان عليه الاعتماد فى الودائع وكتب الحديث ، فكانت موضوعه عنده فى المدرسة البيهقية فكان يصونها ويتعهد حفظها .

وامام الحرمين الحويني ، ٤١٤ هـ - ٤٧٨ هـ : عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية ، أبو المعالي ابن ركن الاسلام ابي محمد الجويني النيسابوري ، وصف بأنه شيخ الاسلام وامام الأئمة ، لما توفي والده أقعده فى التدريس كان يواظب على مجلس استاذة ابي القاسم الاسفراييني رحل الى بغداد فألتقى بكينار العلماء

—: —

(١) ناجي معروف سابق ، ص : ٤٠ - ٤٥ .

تم توجه حاجا الى مكة وجاور بها اربع سنين يدرس ويفتي ويجتهد
فى العبادة ونشر العلم ثم عاد الى نيسابور بعد ولاية السلطان
ألب أرسلان السلجوقي ، فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور .

٢٠ - مدرسة ابي الطيب النيسابورى فى اسفرايين . (١)

أنشئت سنة ٤١٠ هـ ، وأنشأها ابو القاسم على بن محمد
ابن الحسين بن عمر ، وهو أحد الدهاقين . فى شهر رمضان سنة
٤١٠ هـ وكان ابو القاسم قد انشأها ليدرس بها علي بن عبد الله
ابن احمد النيسابورى المعروف بأبي الطيب وجعلها بأسمه .

٢١ - مدرسة الخفاف بنيسابور . (٢)

" وأنشئت قبل سنة ٤٢٨ هـ ، وأنشأها ابن أبي الوفاء الخفاف
من علماء الحديث ، وهو من أصحاب ابي حنيفة ، وقد توفي سنة
٤٢٨ هـ ومن المدرسين الذين ورد ذكرهم فى مدرسة الخفاف
ابو العباس الصوفي الذى كانت وفاته سنة ٤٢٨ هـ " .

٢٢ - مدرسة أبي بكر البستي بنيسابور . (٣)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٢٩ هـ وأسسها : احمد بن محمد
ابن عبيد الله بن محمد بن جعفر بن احمد بن موسى
ابوبكر البستي الفقيه من كبار فقهاء أصحاب الشافعى
والمدرسين والمناظرين بنيسابور ، بنى لأهله

— : —

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٤٧ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٤٧ - ٤٨ .

العلم مدرسة على باب داره ، ووقف عليها جملة من ماله ، سمع الكثير بنيسابور والعراق وحدث عن الدار قطني وطبقته ، وعقد له مجلس الاملاء فأملئ مدة في دار السنه ، مدرسة الصبغي بسباب الجامع القديم ، وكانت وفاته سنة ٤٢٩ هـ .

٢٣ - مدرسة أبي سعيد الاسترابادي بنيسابور . (١)

وقد بنيت قبل سنة ٤٤٠ هـ أنشأها اسماعيل بن علي بن المثنى ابو سعيد الاسترابادي ، العنبري الصوفي الواعظ ، قدم نيسابور قديما وبنى بها مدرسة لاصحاب الشافعي وكانت وفاته في حدود سنة ٤٤٠ هـ .

٢٤ - مدرسة أبي الحسن المتوي بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٤٤ هـ وهي لعلي بن احمد المتوي الاستاذ الامام ابو الحسن صاحب اللسان في المناظرة وقد استوطن بنيسابور ، ودرس بالمدرسة ، وكان من اركان العلماء بنيسابور توفي سنة ٤٤٤ هـ .

٢٥ مدرسة ابن غاضرة الاسدي ببوشنج . (٣)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٠ هـ وذكرها ابو الحسن الباخري المتوفي سنة ٤٦٧ هـ في ترجمة ابن غاضرة الاسدي فقال : "ابو طالب حمزة بن غاضرة الاسدي البغدادي ، ترامت به الأسفار الى بوشنج"

— : —

(١) ناجي معروف ، نفس المرجع ، ص : ٤٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص : ٤٨ .

(٣) نفس المرجع .

٢٦ - نظامية نيسابور . (١)

وهذه انشئت سنة ٤٥٠ هـ أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك قبل نظامية بغداد بنحو عشر سنوات وقد درس فيها عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين المتوفي سنة ٤٨٢ هـ حوالي ثلاثين سنة ، فعلى هذا يكون انشائها في حدود سنة ٤٨٨ هـ ، وتعد نظامية نيسابور من أشهر المدارس الإسلامية بنيسابور وقد درس فيها عدد كبير من العلماء .

٢٧ - مدرسة المشطي بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٤ هـ ، وذكرها السبكي في طبقاته باسم المدرسة المشطبية ، وذكرها الصير يغنى في كتابه منتخب السياق أربع مرات باسم مدرسة المشطي ، ومن أشهر مدرسيها والذين عقد مجالس العلماء فيها أو نزلوا بها : أبو سعد الشاماتي سنة ٤٥٤ هـ . ومحمد بن محمد العلوي ، وعلى بن الحسين المروزي ، نزل مدرسة المشطي سنة ٤٥٧ هـ وتوفي سنة ٤٦٤ هـ ، والمبارك الواسطي تفقه ببلده واسط والبصرة وبغداد ومصر وقدم نيسابور وسكن مدرسة أبي العباس المشطي ٤٩٢ هـ

—: —

(١) نأحي معروف ، مرجع سابق ، ص : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٠ - ٥٢ .

٢٨ - مدرسة السيوري بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٨ هـ ، وجاء في منتخب السياق ذكر اثنين من العلماء كانا يسكنان في مدرسة السيوري بباب عزره بنيسابور هما .

أبو العباس الشقاني ت ٤٥٨ هـ ، ومحمد بن اسحق البحاثي أحد الفضلاء المعروفين والشعراء المغلقين توفي بغزنه سنة ٤٦٣ هـ
٢٩ - مدرسة العراقي في طوسي : (٢)

وهذه أنشئت قبل سنة ٤٥٩ هـ ، وأنشأ هذه المدرسة القاضي ابو علي محمد بن اسماعيل بن محمد الطوسي المعروف بالعراقي سنة ٤٥٩ هـ ، بناها على جامع طابران وهي مدينة طوس
٣٠ - مدرسة الصندلي بنيسابور . (٣)

وهي نشئت قبل سنة ٤٦١ هـ ، وهي من المدارس الحنفية المعروفة بنيسابور وتنسب الى مؤسسها علي بن الحسن الصندلي المتوفى سنة ٤٨٤ هـ ودفن في مدرسته ومن المدرسين بها :-
ابو اسحاق الفقيه الدهستاني .

— : —

- (١) نفس المرجع ، ص : ٥٢ - ٥٣ .
- (٢) نفس المرجع ص : ٥٤ .
- (٣) ناجي معروف ، مرجع سابق ص : ٥٤ .

٣١ - مدرسة السراجين بنيسابور . (١)

وهي قبل سنة ٤٦٥ هـ ، وقد استوطن بها أبو الفرج محمد ابن علي بن الخفر الفندجاني سنة ٤٦٣ هـ ، وكان مريضا وسكن بها طويلا .

٣٢ - المدرسه القشيرية . (٢)

وانشئت قبل سنة ٤٦٥ هـ ، ويستدل مما كتب عن المدرسه القشيرية في طبقات الشافعية الكبرى أنها كانت موجوده قبل النظاميه فان محمد الغازي المولود سنة ٤٠٥ هـ تفقه فـى صباه فيها .

وهي منسوبه الى الاستاذ أبي القاسم القشيري المولود سنة ٣٧٦ هـ والمتوفي سنة ٤٦٥ هـ ، ومؤسسها هو عبد الكريم ابن هوزان بن عبد الملك بن طلحه بن محمد النيسابوري ، القشيري الملقب زين الاسلام كان فقيها بارعا ، وحافظا مفسرا ونحويا لغويا ، أدبيا كاتبا شاعرا حدث ببغداد وكان ثقه عقدت له المجالس في المنازل كمزمل الخليفة القائم بأمر الله العباسي ، ثم عاد الى نيسابور وتزوج من فاطمه بنت أستاذ ، أبي علي الرقاق ، فخلف منها ستة بنين ، واليه تنسب الرسائل القشيرية المشهوره في الأدب .

— : —

(١) نفس المرجع ، ص : ٥٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٥٥ - ٥٦ .

٣٣ - مدرسة الشحامي بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٧٠ هـ ، ولعل هذه المدرسة منسوبة الى طاهر الشحامي وهو أبو عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر محمد بن أحمد ، وقد ورد ذكر مدرسة الشحامي في ترجمة مسعود بن ابن أبي بكر الانصارى الذى توفي كهلا في مدرسة الشحامي سنة ٤٧٠ هـ .

ولا ينسى ان يعدد لنا ناجي معروف فى ختام بحثه عن مدارس المشرق الاسلامي قبل النظاميات اسماء بعض المدارس التى ظهرت فى تلك الفترة ، ولكنه لا يريد أن يجزم جزما قاطعا بأن ظهورها أو تأسيسها كان قبل تأسيس النظاميات فما اعتمد عليه الباحث من المصادر التاريخيه وكتب التراجم المعتمده والموثوق بها أشارت الى ان المدرسين أو العلماء الذين نزلوا بتلك المدارس كانت سني وفاتهم بعد تأسيس نظامية بغداد وقد لاحظنا أن ناجي معروف اعتمد على تواريخ الوفيات فى تحديده لفترة ظهور كل مدرسه من تلك المدارس أقصد طبعا تواريخ وفيات من عمل بتلك المدارس أو نزل بها .

وقد أراد الباحث ان يصل الى بعض الحقائق التاريخيه والعلميه حول نشأة المدرسه فى المشرق الاسلامي ، وأهـم تلك الحقائق ما يلي : —

(١) نفس المرجع ، ص : ٥٩ .

(٢) نفس المرجع .

١ - ان الاعاجم لم يكونوا هم الذين أسسوا تلك المدارس المستقلة عن المساجد بل كان للعرب نصيب وافر فى تأسيسها ، فان اول مدرستين انشئت فى نيسابور كانتا على يدى رجلين عربيين لم يكونا من رجال السياسة أو الاداره ، بل كانا من اعلام الفقهاء وكبار العلماء أولهما حسان بن محمد القرشى الاموى من قریش وثانيهما محمد ابن حبان البستي التميمي من تميم . (١)

٢ - أن المدارس الاسلاميه ظهرت فى بلاد خراسان وما وراء ، النهر قبل سنة ٢٩٥ هـ ، بينما ظهرت فى العراق سنة ٤٥٧ هـ ، وفى الشام سنة ٤٩١ هـ ، وفى مصر سنة ٥٣٢ هـ ، وفى الحجاز سنة ٥٧٩ هـ ، وفى تونس سنة ٦٤٧ هـ ، وفى المغرب قبل سنة ٦٨٥ هـ ، وفى الاندلس سنة ٧٥٠ هـ . (٢)

٣ - أن المدارس التى بنيت قبل نظامية بغداد فى خراسان وما وراء النهر كانت كلها أحادية المذهب أى أنها بنيت لمذهب واحد من المذاهب الفقيهيه الاربعه وكان أغلبها للشافعيه والحنفيه . (٣)

ويبدو أن التنافس كان شديدا بين المذهبيين لذلك كثيرا ما كانت الخصومه تقع بين الشوافع

— : —

(١) نفس المرجع ص : ٨ - ٩ .

(٢) نفس المرجع ص : ١٣ .

(٣) نفس المرجع ص : ١٥ .

- والاحناف فيضطرب الناس ويتشوش العوام . (١)
- ٤ - أن هذه المدارس كانت تبني خارج المساجد وتنفق آلاف مؤلفه من الدنانير على بنائها ، ومما يدل على سعتها انها كانت تحتوى على مساجد ذات مآذن كما كانت تعقد فيها مجالس الاملاء ، ومجالس التذكير والمآثم . (٢) .
- ٥ - اتخذت هذه المدارس سكنا للمدرسين والطلبة وفى بعض الاحيان كان ينزل بها العلماء الطارئون والمسافرون والعابرون . (٣) .
- ٦ - أن بعض هذه المدارس كانت لها أوقافها وكانت الجريات تجرى على أربابها من المدرسين والعلماء والطلبة من المتفقه وأهل الحديث والوعاظ والائمة والمؤذنين فقد جعل ابن حبان التميمي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ لطلاب مدرسته جريات تدر الریح يستنفقونها وكانت لابي بكر البستي ثروه كبيره بنى بها لأهل العلم مدرسه ووقف على أربابها جملة من ماله . (٤) .
- ٧ - اكثر مؤسسوا تلك المدارس من ايقاف الكتب على اختلاف علومها وفنونها فى المدارس وانشأوا لها المباني الخاصه والحجرات المستقله فان هذه الخزائن

— : —

- (١) السبكي ، مرجع سابق ، ح ٥ ص : ٣٤٤ .
- (٢) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص : ١٥ - ١٦ .
- (٣) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ١٧ .
- (٤) نفس المرجع ، ص : ١٨ - ١٩ .

ستساعد الطلبة على الدرس والبحث فقد ذكرنا أن أبحاثهم البستي التميمي سبل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها لها وكان يديرها وصى سلمها اليه لييذلها لمن يريد نسخ شيء منها على ان لا يخرجها من المدرسه . (١) -

٨ - ان دور الحديث التي ظهرت في نيسابور كانت - دارين للسنه هما دار الحديث البسطاميه ودار السنه الصبغيه وقد تأسستا في الثلث الاول من القرن الرابع الهجرى فهما يسبقان دار الحديث النوريه بدمشق بأكثر من قرنين وثلث القرن ، كما يسبقان دار الحديث الكامليه بالقاهره بنحو ثلاثة قرون . (٢) .

واذا كان ناجي معروف قد وجه حكما قاسيا لأولئك الباحثين والمؤرخين الذين لم يطلعوا اطلاقا كافيا على على جزء مهم من العلم الاسلامي هو بلاد المشرق . (٣) -
فانه ويحمد الله استطاع بجهد العظيمة ان يعرفنا على مركز من مراكز التعليم الاسلامي ظهر في بلاد ماوراء النهر قبل أن يتأسس ويظهر وينتشر في العراق والعالم الاسلامي في منتصف القرن الخامس الهجرى

— : —

(١) نفس المرجع ص : ١٩ — ٢١ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٨ .

المدارس النظامية وتخطيطها :-

يعد العصر السلجوقي عصر انتشار المدارس في العالم الاسلامي وخاصة في العراق ، وقد ذكر ابن جبیر في رحلته المعروفة ان المدارس ببغداد وحدها كانت خلال هذا العصر اكثر من ثلاثين مدرسه . (١) .

واذا كانت المدارس النظامية ليست أول المدارس التي ظهرت في المشرق الاسلامي فانه يمكن القول أنها كانت أول ، مؤسسات التعليم الرسمي تشرف الدولة على رسم مناهجها وتحدد أهدافها ، وتختار لها المدرسين وتقوم هي بالانفاق عليها . (٢) ، وقد كان الوزير نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة . (٣) .

ولد الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي الملقب بنظام الملك ، سنة ٤٠٨ هـ ، وكان والده من الدهاقين الذين يعملون في البساتين بنواحي طوس ، وقد حفظه أبوه القرآن وشغله في التفقه على مذهب الامام الشافعي ، ثم خرج من طوس الى غزنه فخدم في الديوان السلطاني والي خراسان فعمل في الدواوين هناك واختص بأبي علي بن شاذان وزير السلطان أرسلان فلما حانت وفاة ابن شاذان أوصى ألب أرسلان به ، وذكر له كفاءته ، وأمانته ، فنصبه مكانه في الوزارة الى ان انقضت دولة ألب أرسلان ، فملك بعده السلطان ملكشاه بتدبير من نظام الملك نفسه لتزداد قوته وتتصاعد مرتبته في الوزارة

(١) ابن جبیر ، الرحلة مرجع سابق ص : ١٨٣ .
(٢) عبد المجید أبو الفتوح بدوی مرجع سابق ، ص : ٢١٢ .
(٣) السبكي ، مرجع سابق ، ص : ٣١٤ .

كان نظام الملك يشجع العلم والعلماء وكانت مجالسه معموره
بالعلماء مأهوله بالأئمة والزهاد لم يتفق لغيره ما اتفق له من
ازدحام العلماء عليه وتردادهم على بابه ، وثنائهم على عدله
متصنيفهم الكتب باسمه ومن هؤلاء ابو القاسم القشيري وأبو اسحاق
الشيرازي والجويني امام الحرمين ، دامت وزارته ثلاثين عاما
قتل في العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥ هـ فقيل ان الاسماعيليه
هي التي قتله وقيل ان السلطان ملكشاه نفسه هو الذي دس عليه
من يقتله لاسباب كثيره أهمها ما رأى من قوته وسلطته وتملكه
ومنها تعظيمه لأمر الخليفه العباسي في بغداد ، دفن نظام
الملك بأصبهان ، ومات السلطان ملكشاه بعده بشهر واحد في
بغداد ، (١) .

أما عن أسباب نظام الملك بالمدارس وتأسيسها فقد تعرض
عدد من المؤرخين قديما والباحثين حديثا الى تلك الاسباب ومع
التأكيد على أثر الدافع الشخصي الذي دعا نظام الملك الى ذلك
فان سيرة الرجل وشخصيته وما عرف عنه بالتزامه بالمذهب الشافعي
وحرصه على وحدة أهل السنه وعدم ميله الى النزاع الطائفي
فقد تكون هناك دوافع أخرى شجعتة على ذلك .
ولقد ذهب البعض الى القول بأن فكرة انشاء المدارس هي
فكره عارضه طرأت على ذهن الوزير في محاولته لتبرير موقف طلاب

(١) نفس المرجع ص ٤٠٩ : ٣٢٨ .

بوءساء مر بهم السلطان ألب أرسلان فى مدينة نيسابور ولم يقدر مـ
له فروض الطاعة فاستفسر السلطان من نظام الملك عن ذلك فقال : —
" هوؤلاء طلبة العلم وهم اشرف الناس نفسا ولا حظ لهم فى
الدنيا ويشهد زعيمهم على فقرهم" وعندما أحس بأن قلب السلطان
لان لهم قال الوزير: " لو أذن السلطان بنيت لهم موزعا وأجريت
لهم رزقا ليشغلوا بطلب العلم والدعاء لدولة السلطان فأذن السلطان
له فأمر نظام الملك ببناء المدارس فى جميع انحاء مملكة السلطان وأن ،
يصرف عشر مال السلطان الذى هو مختص بالوزير فى بناء المدارس" (١)
وما يمكن ان نستخلصه من المعلومات التى أوردها السبكي
فى طبقاته الكبرى ان تقوى نظام الملك والتزامه بعقيدته ونصرتـه
للشريعة الاسلاميه كانت وراء انشاء المدارس النظاميه كما يورد لنا
السبكي ان بعض فقهاء المذهب الشافعي مثل امام الحرمين الجويني
وأبي القاسم القشيري وغيرهما تعرضوا للاضطهاد فى عهد السلطان
طغرل بك مما اضطرهما وأعدادا كبيره من كبار رجال المذهب
الشافعي الى الهجرة من نيسابور الى فارس والعراق والحجاز. (٢).

" وحيث ان نظام الملك كان شافعيامتحمسا
للأشعريهفانه لم يكتف حال تسلمه الوزاره
وتفرد به بالسلطه بالعمل على اطفاء
نار الفتنة التى اصابت مذهبـه

— : —

(١) حسام الدين السامرائي ، مرجع سابق ، ص: ١٥ .

(٢) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص : ٢٦٠ .

بل انه قام بانشاء المدارس النظاميه في
أمهات المدن الاسلاميه لنشر المذهب
الشافعي والدفاع عن عقيدته الاشعريه
حتى لقد كتب اسم ابى الحسن الأشعري
على جميع ابواب المدارس النظاميه" . (١)

" لاشك ان دخول السلاجقة بغداد كان انتصارا عظيما
لمذهب أهل السنة على المذهب الشيعي الاسماعيلي الذي كان
سائدا أثناء سيطرة البويهيين على العراق والمشرق الاسلامي ، وقد
حاول البويهيون القضاء على مذاهب أهل السنة ونشر المذهب الشيعي
بشتى الوسائل ، مما دفع السلاجقة وعدد من العلماء الى الوقوف
في وجه دعوتهم والدفاع عن صفاء العقيدة السلفية واعطاء الحريسة
لعلماء أهل السنة وفقهائهم للدفاع عن وجهات نظرهم والرد على
خصومهم ، فوجد السلاجقة أنه لا بد من القيام بعمل مضاد ومنظم من
أجل القضاء على الافكار التي نشرتها الباطنية ، ورأى هؤلاء وعلى
رأسهم الوزير نظام الملك أن نشر العلم واستعمال المنطق وأساليب
الجدل العقلي وعلم الكلام ، وهو سلاح الباطنية ، خير طريق لذلك
فسلك نظام الملك طريقه في انشاء المدارس لمواجهة الباطنية ودعواتها
الهدامة فقد أدرك ذلك الوزير أن استخدام القوة والعنف لا يجدى نفعا
في ذلك فالحجة لا تقهر الا بالحجة والعقل لا يقبل مناظرا الا العقل لأن السيف
لا يمكنه ان يزيل الافكار الفاسده فأراد ان يخرج جماعات مسلمه واعيه
مثقفه مزوده بسلاح العلم والايمان معا لمواجهة خصومة وافساد خططهم (٢)

(١) السامرائي ، مرجع سابق : ص : ١٦ .
(٢) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق : ص : ٢٥٨ .

والذى قد يؤكد قوة الدليل السابق ان الاماكن
التي أنشئت فيها النظاميات هى أمهات المدن الاسلاميه فمعظم هذه
المدن يحتل مراكز التوجيه والقيادة كبغداد وأصبهان ، والمناطق الاخرى
كالبصرة ونيسابور وطبرستان والموصل كانت مراكز تجمع للشيعه فى
تلك الفترة . (١)

على كل حال ، مهما يكن من أمر انشاء هذه المدارس على يدي
نظام الملك فانها ولا شك عملا عظيما وانجازا رائعا خاصة اذا ما تحدثنا
الآن عن الصورة التى كانت عليها تلك المدارس لم تقدم لنا المصادر
أو المراجع المتخصصة معلومات كافيه تعطينا صورة واضحة عن المدارس
النظامية باستثناء نظامية بغداد ولا شك ان المدرسة النظامية فى
بغداد كانت اشهر النظاميات العشر بل انها تكاد أن تكون اشهر
المدارس فى تلك الفترة قبل تأسيس المدرسة المستنصرية . (٢)

بدأ العمل بنظامية بغداد سنة ٤٥٧ هـ ، وكان بناؤها
ابا سعيد الصوفي وفى سنة ٤٥٩ هـ تم بناؤها (٣) على ضفة دجلة
الشرقية قرب الخلافة العباسيه . (٤) وقد بنيت المدرسة النظامية
احسن بنیان وكتب اسم نظام الملك على بابها وبني حولها اسواق لتكون

موقوفه للمدرسة (٥)
وقد بلغت الغرف التى كانت معدة للطلاب والمتعلمين

(١) عبد المجيد ابو الفتوح بندوى ، مرجع سابق ص : ٢١٧ .

(٢) حسام السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ١٩ .

(٣) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٩ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) حسام السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٢٠ .

٣٦٥ غرفه عدد ١ قاعات التدريس ومحافل المناظرات العلميه وأماكن
الراحة . (١) .

ولقد كانت على شكل مستطيل وزوايا متناسبه وكذلك أرجاءها
اي أن مساحات الغرف والساحات متناسبة فنجد غرف الدروس -
والمذاكره والترويح عن النفس واسعه كبيره كما أن مصلاها يسع
ألف المصلين ، وكانت المدرسه ذات بنية مرتفعه ، وكانت بها طاقات
مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنية المشيد ، وقد غطى
المرمر أرض الساحة وكذلك غطى سورها . (٢) .

ويبدو أن مكتبتها كانت عبارة عن بناء مستقل يحتوى على
خزانة الكتب وغرف معده للقراءة ، وفي مكتبة نظامية بغداد كانت
كل أصناف الكتب موجوده فلقد كان نظام الملك يشتري الكتب بأى
ثم لتلك المكتبة كما اشار السبكي لذلك . (٣) .

" وقد ازداد عدد الكتب فى مكتبة نظامية بغداد عن طريق
الوقف ، وقد أصبحت نظامية بغداد واحده من اعظم المآثر السلجوقيه
ومنازا لخدمة العلم والعلماء فارتحل اليها الطلاب من جميع انحاء
العالم الاسلامي لما كانت تقدمه من خدمات جليلة لمنسوبيها من
الشيخ والطلاب فبالاضافة الى ما كان قد خصص من جرايات ووظائف
لكل من أقام بها من طلبة العلم فقد كانت تهىء لهم
السكن والطعام والملبس وغير ذلك من ضروريات الحياة" (٤) .

(١) حسام السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٢٠ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢١ .

(٤) نفس المرجع .

ولم يخل نظام الملك على مدارس بالمال فهو ينفق بسخاء عليها ويخصص لها الاوقاف الواسعة فيذكر ابن الجوزي ان نظام الملك وقف على مدرسته ببغداد ضياعا وأملاكاً ، وسوقاً بنيت على بابها وأنه فرض لكل مدرس وعامل بها قسطاً من الوقف (١) . واهتم كذلك بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس فكان لكل طالب غرفه خاصة به . (٢) .

وكان نظام الملك يتفقد مدارس وخاصة نظامية ببغداد ويجلس في خزانة كتبها ويقرأ بعض الكتب وقد يشارك في التدريس . (٣) . . اما ادارة المدرسة التي كانت تولى الاشراف على مصالحها فكانت تتألف من عدد من المسؤولين لكل واحد عمل يختص به ولهم رئيس يتابع تنفيذ اعمالهم . (٤) .

ويبدو ان الوزير نظام الملك كان يعين لكل مدرسة يتم بناؤها مدرسا للعمل بها ، وقد يكون تعيين المدرس يسبق بناء المدرسة في اكثر الأحيان . (٥) .
" وكما أن طلبة العلم يتسابقون الى نظاميه

_____ :

(١) عبد المجيد بدوي ، مرجع سابق ، ص : ٢٢٤ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص : ٢٦٩ .

(٥) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٢٥١ .

بغداد فقد كان الكمدسون يتطلعون الى التدريس بهـ
حتى ومل الامر ببعضهم الى ان يضحى احياناً
بمذهبه ويتحول عنه الى المذهب الشافعي كمـ
حمل مع ابن السَّحاح احمد بن علي بن ترکان المعروف
بابن الحمامي (١١٨٥هـ) كان حنبلياً فانتقل الى مذهب
الشافعي مدرساً بالنظاميه". (١)

(١) عبدالمجيد بدوي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥

وظائف المدرسة النظامية :-

كان يوجد فى المدرسة النظامية مناصب تدريسيه يتم من خلالها تحقيق وظائف المدرسة وتنقسم هذه المناصب الى ثلاث طبقات هى :- (١) .

١ - المدرسون ٢ - المعيدون ٣ - الوعاظ

١ - المدرسون :-

يعينون بمرسوم خاص يصدر عن نظام الملك ويشترط فيمن يعين فى هذا المنصب ان يكون غزير العلم ومعروف عنه ايضا التقوى والصلاح ليليق بهذا المنصب ، وكذلك يوضح المرسوم طريقة التدريس التى يجب ان يتبعها المدرس ، كما يوضح ايضا مقدار ما يتقاضاه المدرس شهريا من مرتب نقدى وجرايات عينيه . (٢) ويوم ان يتولى المدرس التدريس بالنظامية تتم مراسم خاصة حيث يرتدى المدرس عباءه سوداء ويذهب الى المدرسة فى موكب رسمى ويحضر درسه فى ذلك اليوم كبار رجالات الدولة . (٣) .

٢ - المعيد :-

وهذا يجلس للاستماع مع الطلبة للدرس وبعد ان يفرغ المدرس من محاضراته يبدأ هذا المعيد باعادة الدرس على الطلبة

_____ :- _____

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص : ٢٦٩ .

(٢) نفس المرجع ص : ٢٧٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢٧١ .

موضحا ما غمض عليهم فهمه عن طريق الشرح والاعادة فوظيفته تيسير ما صعب على الطلبة فهمه وهذا في مرتبة اقل من الشيخ المدرس - واعظم من درجة الطلبة . (١) وقد ارتبط ظهور هذه الوظيفة بظهور المدارس النظامية في منتصف القرن الخامس الهجري حيث ان ما حققته النظاميات من مناخ دراسي عالي المستوى قائم على التخصصات مكن الطلاب النابغين من البروز على مستوى القاء الدرس والشرح في مجال تخصصاتهم ، فهذا تم من منطلق استعداد جيد مكنهم من الوصول الى تلك المكانة . (٢)

وكانت ادارة المدرسة النظامية هي التي تقوم بتعيين أولئك المعيدين شريطة ان يكون المعيد على المذهب الشافعي وقد يكون من قبل طالبا في النظامية فيصبح معيدا وعندما يصبح قادرا على الاجابة لكل اسئلة الطلبة في كفاءة علمية تضااهي كفاءة المدرس فيؤهل بعد ذلك للتدريس بالمنصب الاعلى ومثال على ذلك جمال الدين ابواسحاق الشيرازي ، ت ٤٧٦ هـ معيدا ثم اصبح مدرسا للفقهاء في المدرسة النظامية ببغداد . (٣) .

٣ - الوعاظ :-

والواعظ ايضا يشترط فيه أن يكون شافعي المذهب وقد يتولى المدرس وظيفة الوعظ في المدرسه النظامية

— : —

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، المرجع السابق ، ص : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

الى جانب التدريس فيها، حيث ان الوعظ يبدأ بعد صلاة العصر على وجه الخصوص، او بعد أى صلاة، ويمكن لبعض الوعاظ الشوافع المشهورين من غير المعينين للوعظ في المدرسة بزيارتها، وعقد مجالس الوعظ فيها بصفة زائر. (١)

ويضيف حسام الدين السامرائي مناصباً أخرى الى تلك المناصب الثلاثة وهو منصب نائب المدرس ونواب التدريس، على الغالب هم العلماء الذين ينوبون عن المدرس في حال غيابه نتيجه مرضه او سفره. ولا بد ان تتوفر في نواب التدريس نفس المواصفات المطلوبة في المدرس. (٢) وبذلك فقد كانت بالنظامية اربعة مناصب تدريسية.

"لقد أقبل الطلاب على المدارس النظامية خلال العصر السلجوقي اقبالا عظيما وقد درس بالمدرسة النظامية ببغداد الآلاف من التلاميذ والمتفقه نظرا لما كان يتمتع به علماءها من سمعة علمية رفيعة، بالإضافة الى ما كان يقدم لطلابها من تهيئات وخدمات، وقد درس في المدرسة النظامية ببغداد عدد من الرجال صاروا من مشاهير العلماء وقد تخصص كل واحد منهم في علم من العلوم برع فيه اكثر من غيره". (٣)

(١) حسام الدين السامرائي، مرجع سابق، ص ٢٥

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٢٧٤

ومن هؤلاء الحافظ بن عساكرت ٥٤١ هـ ، والد اعيان
ابن تومرت الذى قاد حركة اصلاح جباره فى المغرب والأديب
عبد الرحمن الانبارى شيخ ادباء العراق ت ٥٧٧ هـ والعماد
الاصفهانى ت ٥٩٧ هـ (١) . أما عن طريقة الدراسة فى المدرسه
النظامية فيمكننا القول : ان التعليم فيها كان امتداد للتعليم
فى المساجد يركز اولا على تدريس الفقه الاسلامي وأصول الدين
والعقيدة ، وكانت نظامية بغداد قد عنت بموضوع التخصص عناية
كبيرة ، فقد كان تدريس الفقه الشافعي دافعا من دوافع انشاء
هذه المدرسه ، وقد كان ابواسحاق الشيرازى ٤٧٦ هـ أول مدرس
يعين فى نظامية بغداد لتدريس الفقه الشافعي ، وقد عينه الوزير
نظام الملك عند أفتتاحه النظامية فى بغداد عام ٤٥٩ هـ كما عين
نظام الملك عبد الوهاب ابن محمد الشيرازى ت ٥٠٠ هـ مدرسا
للحديث ، وقد استدت مهمة التدريس فى فرع الفقه وأصوله
الى اعظم رجال العصر فبالاضافة الى ابي اسحاق الشيرازى
تولى ابونصر عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد الصباغ الفقيه
الشافعي ٤٧٧ هـ تدريس الفقه الشافعي ، وكذلك قام حجة الاسلام
محمد بن محمد ابو حامد الغزالى ت ٥٠٥ هـ بتدريس الفقه فى
نظامية بغداد . (٢) .

أما الفرع الثانى من فروع التخصص فى المدرسه النظامية
فقد كان الحديث والتفسير والوعظ وكان هناك تخصص ثالث لتدريس

(١) السامرائي ، المرجع السابق ، ص : ٢٥ - ٢٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢٦ - ٢٧ .

النحو واللغة والأدب . (١) .

ويصف لنا شاهد عيان وهو الرحالة المشهور ابن جبیر مجلس علم ووعظ بالمدرسة النظامية ببغداد كان قد حضره بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لشهر صفر ٥٨٠ هـ فيذكر " ان الشيخ رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقه المدرسة النظامية والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، صعد الى المنبر وأخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعه ثم اندفع يخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في افانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ثم جاءته الاسئلة الشفهية من كل جانب فأجاب عليها ، ودفعت اليه عدة رقاع فيها اسئلة مكتوبة فجمعها جملة بين يديه ثم اخذ يجيب على كل واحد منها ، وحين المساء فنزل عن المنبر وافترق الجمع ، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ ، ووقار هينا لينا ، ظهرت فيه البركة والسكينة " . (٢) .

كما يذكر لنا أنه قد حضر له مجلسا آخر اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من صفر وأنه قد حضر ذلك اليوم مجلسه صدر الدين الخجندی رئيس الائمة الشافعية . (٣)

— : —

(١) السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٢٦ .

(٢) ابن جبیر ، مرجع سابق ، ص : ١٧٥ .

(٣) نفس المرجع .

" ويبدو لنا ان ابن جبير كان درساً في
الوعظ والتفسير ، فالاستاذ يشرح ماقرأه
الطلاب من القرآن الكريم مستعيناً
بالحديث الشريف ومستشهداً بآراء السلف
الصالح وكانت المناقشة والمحاورة مفتوحة
امام الطلاب ، فهناك اسئلة شفوية وهناك
اسئلة تحريرية . " (١) .

ومما لا شك فيه ان المدارس النظامية كانت تطورا كبيرا للنظام
التعليمي في منتصف القرن الخامس الهجري ، وقد اصبحت مثال يحتذى
ونموذجاً فريداً بنظامه ومنهجه ووقفه وتخصصه وقد عم نظامها
سائر المدارس التي انشئت في القرنين التاليين وفي انحاء العالم
الاسلامي عامة ، والعراق وبلاد الشام ومصر واليمن خاصة .
وقد كان لنظامية بغداد دور عظيم في نشر الفكر السني
ومقاومة الفكر الشيعي اكثر من غيرها من المدارس النظامية الاخرى
لاسباب عدة أهمها : —

- ١ - وجودها في بلاد الخلافة العباسية بغداد .
- ٢ - لانها اطول المدارس النظامية عمراً .
- ٣ - شهرتها ومكانتها بسبب ما تهيأ لها من امكانات مادية
هائلة وطاقات فكرية عظيمة .
- ٤ - كان عدد الطلاب الذين ترددوا عليها وتخرجوا منها

— : —

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص : ٢٨١ .

عدد كبيرا جدا .

وهي التي نالت حظا أوفر من شقيقاتها من عناية المؤرخين فسجلوا أخبارها ورصدوا أحوال مدرسيها وتتبعوا نشاط الذين تخرجوا منها .

وكان من الطبيعي جدا ان يتخرج من هذه المدارس جيل تحقق على يديه معظم الاهداف التي رسمها الوزير نظام الملك ، ففضل من تخرج من هذه المدارس ومن درس بها استطاع نظام الملك ان ينشر الفقه الشافعي وان يحارب تيار الباطنية ويقلص نفوذ الفكر الشيعي على يد رجال من امثال ابي حامد الغزالي الذي الف الكتب الكثيرة في الرد على الباطنية الاسماعلية ودافع عن عقيدة الاشعرية بحماس يستند الى دعائم قوية من المنطق وقوة الحجة ، لقد كان الامام الغزالي ثمرة ناضجة من ثمرات المدارس النظامية التي حققت الكثير من اهدافها بظهوره .

أهم المدارس التي ظهرت في القرن الخامس الهجري :-

ان انشاء المدارس النظامية هو الذي عجل بظهور بعض المدارس الاخرى التي تدرس المذهب الحنفي في القرن الخامس الهجري ولا بد ان نشير الى أهم هذه المدارس التي ظهرت في الفترة نفسها والتي تأسست فيها المدارس النظامية ، وأهم المدارس التي ظهرت هي : —

١ - المدرسة النظامية :

" وقد سبق الحديث عنها " .

٢ - المدرسة الشرفية او مدرسة ابي حنيفة .

وقد امر ببناء هذه المدرسة مستوفي المملكة السلجوقي شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ٤٩٥ هـ في بغداد وقد بناها بالقرب من رتبة مشهد ابي حنيفة النعمان بعد ان اشترى ما يحيط بالقبر من ابيه وعمل على حفر اساس لقبه كبيره تقام فوق القبر ، وكذلك مسجدا بناه بالقرب من المدرسه التي شرعت تدرس المذهب الحنفي . (١) .

" ويبدو ان اتشاء المدرسة النظامية ببغداد هو الذي دفع العميد شرف الملك الى الوصول الى بغداد والاسراع في بناء مدرسته هذه فقد دخل بغداد في الثامن من شهر صفر سنة ٤٥٩ هـ ومعه هدية للخليفة القائم بامر الله ، وقد فرح أهل بغداد بقدومه لأنه كان عفيفا عن اموال الناس والمحارم فأقام السياسة وأمن الناس وامر ان تبني مدرسة للحنفيه عند مشهد الامام ابي حنيفة النعمان ، فبنيت ورتب فيها الطلاب وعين لهم من يدرسهم من بين فقهاء المذهب ووقف عليها ضيعة ، وهي التي نالت حظا أوفر من شقيقاتها من عناية المؤرخين ف سجلوا أخبارها ورصدوا احوال مدرسيها وتتبعوا نشاط الذين تخرجوا منها" . (٢) .

_____ :

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص : ٢٨٣ .

(٢) حسام الدين السامرائي ، مرجع سابق ص : ٢٩ .

وقد تمت العمارة فى مدى أربعة اشهر وعلى ذلك فان المدرسة الشرفيه هذه تكون قد افتتحت قبل المدرسة النظامية بأربعة أشهر على الأقل . (١) .

ومن العلماء المشهورين الذين عملوا بهذه المدرسة ، ابوطاهر الياس بن ناصر بن ابراهيم الديلمى ت ٤٦١ هـ وهو أول من درس بها وأبو طالب الحسين بن الخضر الزينبى ت ٥١٢ هـ ، وقد استمر فى منصبه مدرسا فى مدرسة أبى حنيفه خمسين عاما الى حين وفاته ، وفى سنة ٤٠٦ هـ ولى ضياء الدين احمد بن مسعود الترمذى الحنفى الاشراف على التدريس فى المدرسة والنظر فى وقوفها . (٢) .

٣ - مدرسة ترکان خاتون المتوفاة عام ٤٨٧ هـ :-

وكانت هذه المدرسة قد أسست باسم ابنة طراج زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي بالجانب الشرقى من بغداد بالرصافه وبقيت عامره حتى أواخر القرن الخامس الهجرى وقد أشار ابن الجوزى الى أنها كانت لازالت قائمة عام ٤٦٩ هـ . (٣) .

٤ - مدرسة جامع السلطان :-

بنى هذا الجامع والمدرسة الملحقة به السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ وقد ذكر ذلك ابن الجوزى وهو يتحدث عن حوادث

(١) حسام الدين السامرائى ، مرجع سابق ، ص : ٢٩ .

(٢) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص : ٢٨٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

هذه السنة ، وممن درس بهذه المدرسة من علماء الحنفية منهم —
مسعود بن الحسين بن سعد أبو الحسن اليزدي ٥٧١ هـ وأبو الحسن
علي بن المرتضى بن محمد العلوي البغدادي ٥٥٦ هـ (١)
٥ - المدرسة التاجية : —

وتنسب الى تاج الملك أبي الغنائم ٤٨٥ هـ والذي أوقفها
سنة ٤٨٢ هـ على اتباع المذهب الشافعي ، وتقع هذه المدرسة
بباب أبرز من بغداد وقد درس بهذه المدرسة ابويكر
محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي المتوفى عام ٥٠٧ هـ (٢)
٦ - مدرسة قراح ظفر : —

وقراح ظفر محله ببغداد وقد بناها الفقيه ابويكر الشاشي
المتوفى عام ٥٠٧ هـ ودرس بها حتى سنة ٤٨٢ هـ حين

انتقل الى المدرسة التاجية . (٣)
٧ - وهناك مدارس ظهرت في بغداد في نهاية القرن الخامس الهجري
وقد قامت بتدريس الفقه على المذهب الحنبلي مثل : —
مدرسة المحزمي ومدرسة أبي شجاع ، ومدرسة الابرادي . (٤)
لقد ازداد عدد المدارس ببغداد منذ أواسط القرن الخامس
الهجري وظل عددها في ازدياد مطرد منذ ذلك التاريخ حتى
سقوطها على يد المغول

- : —
- (١) نفس المرجع السابق ، ص : ٢٩٠ .
 - (٢) نفس المرجع ، ص : ٢٩٢ .
 - (٣) نفس المرجع ، ص : ٢٩٢ .
 - (٤) نفس المرجع ، ص : ٢٩٥ — ٢٩٦ .

عام ٦٥٦ هـ .

فتأسست في البصرة المدرسة النظامية التي أشار اليها ابن الأثير في تاريخه الكامل وهو يتحدث عن حوادث عام ٤٩٩ هـ ، وقد قيل فيها : أنها كانت احسن واكبر من نظامية بغداد وأنها استمرت الى أواخر أيام الخليفة المستعصم بالله . (١) .

وبالإضافة الى المدارس فقد كان هناك دور الحد يث ودور القرآن وحلقات الدرس التي ظلت تعقد في المساجد ودور العلماء وقصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، فالواقع ان ظهور المدارس والتوسع في التدريس بها لم يبلغ دور المساجد في التعليم وخاصة تعليم القرآن والحديث ، وقد استمر ذلك الى حين انشاء المدرسة المستنصرية ببغداد . (٢) .

أما دور الحديث فقد ظهرت لأول مرة في الشام في عهد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وأنها انتشرت فيما بعد وظلت مستقلة عن المدارس الى ان أنشئت المستنصرية حيث صارت على الغالب تلحق بمدارس الفقه أسوة بالمستنصرية ، أما دور القرآن ، فقد ظهرت قبل ذلك بفترة طويلة ، فدار القرآن الرشائيه التي انشأها رشا بن نظيف الدمشقي المقرئ كانت في حدود سنة ٤٠٠ هـ (٣) ولقد اشار ابن جبير الى مدارس بغداد عند زيارته لها سنة ٥٠٨ هـ فقال : —

" والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقيه وما

(١) نفس المرجع السابق ، ص : ٣٠٤ .

(٢) حسام الدين السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٣٠ .

(٣) نفس المرجع .

ففيها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع
عنها وأعظمها وأشهرها النظامية ولهذه
المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة
تتصير الى الفقهاء المدرسين بها". (١)

ولا شك أن انتشار المدارس في القرن الخامس الهجري
وفي عصر السلاجقة والنفقات الهائلة التي صرفت عليها وميل الناس
وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة يشير الى النهضة الثقافية
والعلمية التي كانت قد خدمت اغراض المجتمع الاسلامي وعقيدته.
وقد أشار ناجي معروف الى ثمان وثلاثين مدرسه
متنوعه نشأت في بغداد خلال العصر السلجوقي بعضها يمثل
اتجاهها مذهبيا مفردا ، في حين أن كثيرا من هذه المدارس
كانت تدرس على أساس المذهبين أو المذاهب الأربعة. (٢)

— : —

(١) ابن جبير ، مرجع سابق ص : ١٨٣ .

(٢) حسام الدين السامرائي ، المرجع السابق ص : ٢٩ .

الفصل الخامس

~~~~~

( ١ ) نتائج البحث

( ٢ ) التوصيات



أولا : أهم النتائج التى توصل اليها البحث : —

- ( ١ ) لم تكن الكتابات منتشرة فى جزيرة العرب فى صدر الاسلام ، ولم تكن القراءة والكتابة معروفة الا على نطاق ضيق جدا . وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم وبقوة منذ بداية الدعوة صحابته على تعلم الكتابة والقراءة .
- ( ٢ ) كان المسجد أول مكان للدعوة والتعليم والارشاد ، وهو أول مدرسه جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الصغار والكبار على السواء وقد ظل المسجد يوءى دوره التربوى والتعليمى حتى بعد ظهور المدارس والمعاهد وانتشارها فى البلدان الاسلامية .
- ( ٣ ) عند انتشار الكتابات اتخذت من المساجد مكانا لها فى البداية . وما لبثت أن استقلت عنها ، وكان القرآن الكريم نقطة الارتكاز للمنهج الدراسى فيها ، كما كان تعليم سباده ، القراءة والكتابة وتجويد الخط والحساب جزءا من مناهجها ولكن تحفيظ القرآن وتجويده هو الأساس الذى قامت الكتابات بتعليمه .
- ( ٤ ) كانت المرحلة التعليميه فى الكتاب تقابل المرحلة الابتدائيه فى مفهومنا العصرى ، وكانت هذه المرحلة تعد الطفل للالتحاق بحلقة علمية فى أحد المساجد لمتابعة دراسة العلوم الدينيه على أيدي بعض العلماء الذين كانوا يتخذون من زوايا المساجد أمكنة للتدريس . .
- ( ٥ ) كانت هناك امكنة أخرى للتعليم قبل ظهور المدارس مثل منازل العلماء ودكاكين الوراقين والصالونات الادبيه والاربطه و بانتشار المدارس فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى قل الاقبال على هذه الأمكنه لكنها ظلت قائمة محتفظة بطابعها الخاص

واستمرت تؤدى عملها رغم قلة المقبلين عليها ، فقد هيات المدارس فرصا أوسع للطلاب والمدرسين .

(٦) مع ظهور الحلقات العلمية فى المساجد بدأت العناية بالمكتبات وكانت هذه المكتبات تلحق بالمسجد أو تستقل عنه بمكان قريب منه وما لبثت المكتبات أن انتشرت فى مساجد بغداد والشام ومصر (٧) أصبحت المكتبات مركزا هاما من مراكز التعليم وقسما مهما من أقسام المؤسسات التعليمية التربوية فقد كانت مكانا للبحث والدراسة والتأليف ، ووجدت عناية خاصة من الخلفاء والعلماء وظهر نوع من المكتبات المتخصصة فى المدارس الكبيرة لتخدم النظام التعليمى ومن هذه المكتبات دار الحكمة ببغداد وخزانة المدرسة النظامية .

(٨) كانت المدرسة النظامية الاولى فى بغداد والتي افتتحت عام ٤٥٩ هـ أول مدرسة أنشأها الوزير السلجوقى نظام الملك وأمدّها بالاساتذة والأموال والكتب ، وما لبثت ان انتشرت هذه المدارس فى المشرق الاسلامى وقد نسبت هذه المدارس كلها الى منشئها نظام الملك (٩) ظهر لنا من خلال البحث ان من الاسباب الداعية لنشأة هذه المدارس وانتشارها محاربة المذهب الشيعى الذى كان سائدا فى عصر البويهيين ومحاولة نشر المذهب السنى ، وتحرير عقول الناس مما علق بها من ضلالات الشيعة وتعصبهم لمذهبهم .

(١٠) كانت المدارس النظامية بداية وانطلاقه لظهور المدارس واستمرار انشائها فى الشام ومصر وفى كل انحاء العالم الاسلامى ، فقد استمر ظهور المدارس بعد نظام الملك وبعد السلاجقة واصبحت الحكومات تعنى بها وتعمل على نشرها والاهتمام بها .

- ( ١١ ) بدأ تدخل الحكومات بالتعليم بظهور المدارس ، فكانت الدولة هي التي تعين المدرسين وتحدد عملهم وتدفع لهم أجورهم ، وكانت هي التي تحدد المنهج الدراسي والمذهب الفقهي الذي تسير عليه دراسة العلوم الدينية في هذه المدارس ، ولكن هذا التدخل لم يمس أولئك المدرسين الذين ظلوا في المساجد يفتي اليهم طلاب العلم يتعلمون منهم وينهلون من عملهم وثقافتهم .
- ( ١٢ ) يقسم معظم المؤرخين المعلمين الى : معلمي الكتاتيب والمؤدبين ومعلمي المدارس ، وكان معلمو الكتاتيب في ادنى السلم الاجتماعي وقد كانت حالتهم المالية شحيحة ومستواهم الاجتماعي متدهورا أما المؤدبون فقد نعموا بالغنى والرخاء ، وقد كان للعلماء الذين عملوا في المدارس النظامية وغيرها مكانة خاصة ، وقد حظيت هذه الطائفة بالتقدير والاحلال ، وقد خصصت لهم المرتبات فعاشوا في بحبوحة من العيش وبمستوى مالي مرموق .
- ( ١٣ ) أصبح التعليم مكفولا للفرد بظهور المدارس ، وكان تكافؤ الفرص في التعليم ظاهرة مميزة في القرنين الرابع والخامس الهجريين وكانت فرصة الفقير لتلقى العلم أوضح وأشمل بعد نشأة المدارس النظامية ، فقد أعلن الوزير نظام الملك ان التعليم بمدارسه حق للجميع وأنه للناس جميعا دون مقابل ، فقرر بذلك مجانية التعليم ثم زاد على ذلك بأن عين مرتبا للطلاب المعوزين .
- ( ١٤ ) يعد القرن الرابع الهجري من أزهى العصور الاسلامية فكرا وثقافة ، وقد تميز القرن الخامس بعده بظهور المدارس كأعظم انجازات النظام التربوي الاسلامي خلال القرون الأربعة السابقة

- ( ١٥ ) ظهر كثير من العلماء الذين وجهوا عناية خاصة للتربية الاسلامية في مؤلفاتهم كالماوردى ، وابن جماعة ، وابن سحنون ، والغزالي وابن سينا وغيرهم ، وقد كانت مؤلفاتهم التربوية تضاهى فى النتائج والطرق أعظم النظم التربوية المعاصرة .
- ( ١٦ ) أصاب النظرية التربوية الاسلامية شيئا من الجمود فى القرن السادس الهجرى ، ولكن روح التعليم لم تخمد جذوتها رغم المشاكل والأخطار التى واجهت العالم الاسلامى وأخطرها الغزو المغولى ، فلم ييخل كثير من المسلمين بالمال لبناء الكتاتيب والزوايا والمدارس .
- ( ١٧ ) تأثر التعليم الاسلامى تأثرا كبيرا بالمدارس الفكرية والمذاهب الدينية التى أخذت تبرز وتتطور مع بداية القرن الثالث الهجرى وأهم هذه التيارات الفكرية : مدرسة الأصوليين - مدرسة الفقهاء والمحدثين - والمدرسة الصوفية والفكر الفلسفى ، وقد خرجت هذه المدارس الفكرية كثيرا من المعلمين والعلماء الذين كان لهم دورهم العظيم فى مسار الحركة التعليمية والتربوية والاسلامية .
- ( ١٨ ) ومن خلال دراسة الباحثة لأهم آراء المربين المسلمين وجد أنه لم تكن النظرية التربوية الاسلامية تفصل بين الدين والعلم ، فجوهر النظام التربوى فى الاسلام هو العلم ، ومحوره الفرد المسلم ، ومن خلال تطبيق ذلك النظام تطبيقا صحيحا تنمو روح الجماعة لدى الانسان المسلم وعليه يتكون المجتمع الاسلامى الذى يعتبر الهدف الأساسى للتربية الاسلامية ، فالمجتمع المسلم هو غاية ونهاية ما تصل اليه تلك التربية المثلى .
- ( ١٩ ) وقد نتج أيضا بتضافر جهود أولياء الأمور لدى الطفل المسلم والكتاتيب والمدارس والمساجد يتحقق هدف من أهداف التربية

الاسلامية وهو طبع الانسان المسلم بطابع التربية الشاملة المتوازنة  
فى تكوين شخصيته أى الاهتمام بنمو الناحية الجسمية والعقلية  
والروحية بحيث لا يطفئ جانب على الآخر .  
( ٢٠ ) ومن النتائج الهامة أيضا أنه من الخطأ القول دائما بأن ظهور  
المدارس فى الاسلام كان مرتبطا بغايات سياسية أو دينية أو عقائدية  
فالحقيقة الهامة هى ان تطور الحياة الطبيعى هو الذى فرض على  
المجتمع الاسلامى ظهور المدارس وانتشارها لتكون المركز التعليمى  
الأهم الذى يخرج مستوى أعلى من الدارسين يلبي احتياجات  
الدولة الحضارية ، وكان من الطبيعى أن يسود اتجاه مذهبى معين  
على مناهج هذه المدارس ما دامت الدولة هى التى تعمل على انشاء  
هذه المدارس وتلبي احتياجاتها واحتياجات معلميه وطلابها .  
( ٢١ ) وما تقدم من نتائج وبالنظر الى الأوضاع السياسية والاجتماعية  
والاقتصادية فى الفصل الأول لهذا البحث نجد أن الأمة الاسلامية  
قد منيت بصفة عامة والمشرق الاسلامى بصفة خاصة بتفتيت سياسى فى  
القرن الخامس الهجرى ، وعلى اثره أصبح المسلمون ضعفاء سياسيا  
ولكن هذا لم يؤثر بالسلب فى الناحية العلمية والثقافية بل  
والحضارية كلها ، فقد حدث العكس ، ويعزى ذلك الى ان التفاعل  
الحضارى قد تم قبل فترة التمزق والتفتيت هذه ، فنجد التبادل ،  
الثقافى والاقتصادى والرحلة فى طلب العلم مستمرة جميعها دين ،  
وجود حائل لها وذلك بفضل الله أولا ، ثم بوجود حكام أنار الله  
بصيرتهم للحق فكلفهم ذلك الأمر الجهاد ببذل المال واسداء النصح  
والتوجيه السديد فى سبيل تشجيع الحركة العلمية والثقافية

## ثانيا : - التوصيات : -

فى هذا العصر الذى تواجه فيه الأمة الاسلامية كثيرا من التحديات والاطار والهجمات يعانى النظام التربوى الاسلامى فى معظم البلدان الاسلامية من التحدى الأكبر الذى تساعد الدولة من خلال مؤسساتها التعليمية القائمة على النظم التربوية الغربية المستوردة بحجة التحديث والمعاصرة ومواكبة تطورات العصر، وكان للغزو الفكرى والثقافى الغربى والشرقى أثر بارز فى حدوث أزمة التربية الاسلامية التى يعيشها عالمنا الاسلامى ونحن لا نريد الخوض فى تفاصيل هذه الأزمة التربوية الفكرية العقائدية ولكننا نريد بعد الحديث عن أهم المؤسسات التربوية الاسلامية أن نوصى بما يمكنه المساعدة على مواجهة تيارات الهدم والاحاد، والتى تتنوع بأشكال شتى تخفى وراءها السموم والاحقاد والمخاطر وأهم هذه المقترحات والتوصيات (١) احياء دور المساجد كمراكز هامة من مراكز التعليم فى العالم الاسلامى تصلح لتعليم الصغار والكبار، والتركيز على تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الدينية الأخرى، فترجع للمسجد مكانته الأولى من أنه مكان لممارسة شعائر الاسلام وباعتباره أيضا جامعة ومعهدا يتلقى فيه الطلبة العلم مما يحقق بالتطبيق العملى النظرية القائلة بتلازم الدين والعلم وتكاملهما لبعضهما البعض، فيكون منارا للعلم ورافدا من روافد التربية الاسلامية الأساسية .

(٢) اعداد المعلم المسلم اعدادا فكريا وعقائديا وسلوكيا، فالمربى الذى لا يؤمن بعقيدة الأمة لا يمكن أن يؤتمن على تربية الأجيال تربية اسلامية سليمة، فالمعلم قدوة لطلابه، والمعلم الذى لا يحرص على

- تنمية الثقافة الاسلامية الصحيحة فى نفوس طلابه يسهم فى تحليل شخصياتهم بدلا من تنميتها وصيانتها .
- ( ٣ ) العمل على القضاء على الأمية ومحوها بأسرع ما يمكن ، فالأمية الجاهلة لا يمكن أن تواجه التحديات المحيطة بها ، ولا يمكن أن تستغل مواردها أو تصنع مستقبلها ، والاسلام دين العلم وينبغى الا يكون فى الامة الاسلامية أمى واحد ، ولا بد من تعاون المدرسة والمسجد ومؤسسات التعليم والاعلام للقضاء على الأمية المتفشية فى مجتمعنا الاسلامى .
- ( ٤ ) احياء التراث التربوى الاسلامى ونشره ودراسته ، وتحديد أسس النظرية التربوية الاسلامية وأصولها والغاء ازدياد واجبة التعليم الدينى والدنيوى ، والتركيز على آراء المربين المسلمين الأوائل كالغزالي والماوردي وابن سحنون وابن جماعة وغيرهم فى المناهج التعليمية ووسائل الاعلام المختلفة لنبرز نظرياتهم التى تفوقت على النظريات التربوية المعاصرة والحديثة .
- ( ٥ ) الاكثار من مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه وتجويده وتفسيره ونشر هذه المدارس فى القرى البعيدة ، وجعلها للصغار والكبار على السواء ، ومحاولة نشر مثل هذه المدارس فى كافة الأقطار الاسلامية مهما كانت الصعوبات والتكاليف المادية لمواجهة المدارس التبشيرية والطائفية المنتشرة فى بعض البلدان الاسلامية والتى كانت نوعا من من أنواع الغزو الفكرى والثقافى للامة الاسلامية .
- ( ٦ ) النظر فى مناهج التعليم فى مراحلها المختلفة ليواكب المفهوم الصحيح للنظرية التربوية الاسلامية ذلك المفهوم الذى يعمل على تربية السلوك وغرس القيم لدى المتعلم فيزاول ما يدرس نظريا

مزاولة عملية وبخاصة فى مسائل الفقه والعبادات .  
( ٧ ) العناية بوسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وتلفاز وصحف ومجلات للاستفادة التربوية منها ، فالاعلام الموجه فى عصرنا وسيلة هامة من وسائل التربية والتعليم يمكن أن يساعد مساعدة فعالة فى تطوير النظرية التربوية الاسلامية وتقدمها ، الى جانب العناية بالمواسم الاجتماعية الأخرى .

( ٨ ) تعليم المرأة وتثقيفها بمعزل عن الأخطار التى قد تهدد كيان المجتمع المسلم ، والرد على آراء المستشرقين واعداء الأمة الذين أرادوا اظهار المرأة المسلمة بأنها بعيدة كل البعد عن اهتمامات المربين والمعلمين القدماء ، رغم ان تعليم المرأة كان معروفا منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجب العناية بتعليم الفتاة المسلمة وبالتربية الأسرية فى اطار التصور الاسلامى ، كما يجب ابراز تجربة المملكة الرائدة فى مجال تعليم المرأة التى يمكن أن تكون نموذجاً فريداً يحتذى به ، فالمرأة بالمملكة العربية السعودية تتلقى أرقى درجات التعليم فى معزل عن مخالطة الرجل والرد على دعاة ذلك الاختلاط .

( ٩ ) الاهتمام بتربية الفرد المسلم منذ السنوات الأولى من عمره من خلال مراقبة روضات التعليم للأطفال دون السادسة والعناية بمربيات هذه المرحلة الأساسية اللواتى يزرعن فى نفوس اطفالنا كل ما يتلقونه على ايديهن ، واتباع المنهج القرآنى فى تلقين هؤلاء الاطفال مبادئ التربية الاسلامية وبيان الحقائق بالطرق الاقناعية المبسطة التى تتلائم وقدرات هؤلاء الاطفال فى هذه السن وتعويدهم على الصلوة وتحفيظهم آيات من القرآن الكريم والأناشيد الدينية الاسلامية



- لتكون هذه الروضات التعليمية بمثابة الكتاتيب التعليمية التي كانت قائمة على أرض العالم الاسلامى فى القرون الاسلامية الأولى (١٠) ابراز دور المعلم المسلم، والاعتراف بأهمية مهنة التعليم فى المجتمع المسلم، وتأكيد أولوية العناية بها واصلاح شأنها على جميع المستويات، والاهتمام بالناحية النفسية لدى المعلم المسلم من خلال الاهتمام بكل ما يطور هذه المهنة ويدفعها الى الامام ومن الضروريات فى اختيار المعلم المسلم أن يكون من الفئات عالية الذكاء، وكذلك لابد من العناية باعداده وتدريبه وحسن رعايته ماديا واجتماعيا، فهو الأساس فى انجاح كل عملية تربوية .
- (١١) قصر المدارس الأجنبية القائمة فى بعض انحاء العالم الاسلامى على أبناء الجاليات الأجنبية وعدم السماح بارسال أولاد المسلمين الى تلك المدارس فى مدارس التعليم العام لما فى ذلك من خطورة على تربيتهم الاسلامية خاصة وأن بعض هذه المدارس أنشئ لتلك الغايات الهدامة، وكذلك عدم السماح بانشاء جامعات أجنبية فى الدول الاسلامية مهما كانت الغايات العلمية التى تتستر وراءها .
- (١٢) العناية بتدريس اللغة العربية فهى لغة القرآن الكريم ولغة التراث الاسلامى العظيم، ونحن نرى مدى الاخطار التى تهدد لغة القرآن من دعوات للكتابة بالهجات العامية أو الكتابة بالأحرف اللاتينية، وهى دعوات استعماريه صهيونية للقضاء على اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم .
- (١٣) التركيز على الكيف فى المعلومات، فقد ابتلى النظام التعليمى فى معظم البلدان الاسلامية بالتركيز على حشو المعلومات فى عقول الطلاب وذلك على حساب بناء العقل المفكر، المنتج، المحلل، وليس .

هناك نظام تربوي في العالم كالنظام التربوي الاسلامي كان يركز على استعمال العقل والتحليل والتبصر واعمال الفكر وطلب البرهان وقد أكد ذلك دائما في مصادره الاساسية متمثلة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، فلماذا تعتمد مناهجنا التعليمية على الكم على حساب الكيف لعل هذه الظاهرة هي التي اشغلت طلاب العلم عن البحث العلمي وعن تنمية طـرف التفكير عندهم .

( ١٤ ) محاولة ربط التربية بالمجتمع بحيث تصبح التربية تطـورا طبيعيا نابعا من ذلك المجتمع مستجيبة لاحتياجاته وملبية لطلباته الدينية والدنيوية على حد سواء، فالتصور الصحيح للتربية الاسلامية هو سعادة المجتمع المسلم دينا ودنيا وهذا يتطلب الاهتمام بالمجتمع المسلم ككل في السياسة التعليمية فقط بتربية الجماعات في المؤسسات التعليمية وما أحوج مجتمعاتنا لذلك الآن .

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم :-

أولا : المصادر العربية المطبوعة :—

- (١) ابن الأثير: عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد ابن محمد، ت. ٦٣٠ هـ ط دار صادر، بيروت دار بيروت، ١٣٩٩ هـ .
- (٢) الاصفهاني: أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد ت ٧٩٧ هـ تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري، ط، بيروت دار الآفاق الجديدة، ٤٠٠ هـ .
- (٣) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ، فتوح البلدان بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣ هـ
- (٤) ابن جبير: ابو الحسن محمد بن احمد، ت ٦١٤ هـ أدب الرحلات، رحلة ابن جبير، ط ٢ . بيروت: دار مكتبة الهلال . ١٩٨٦ م
- (٥) ابن جماعة: ابو اسحاق ابراهيم بن السيد العارف سعد الله الكناي، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم ( المتعلم )، دار الكتب العالمية . بيروت .
- (٦) الحموي: ياقوت ت ٦٢٦ هـ، معجم البلدان، طبعة دار صادر بيروت، دار بيروت، ١٤٠٤ هـ .
- (٧) الخطيب البغدادي الحافظ بن أبي بكر احمد بن علي، ت ٦٣٠ هـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت: دار الكتب العلمية .

- (٨) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ ، المقدمة  
ط ٤ مكة المكرمة : دار الباز للنشر والتوزيع ١٣٩٨ هـ
- (٩) ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي  
بكر ت ٦٨١ هـ ، وفیات الاعيان وانباء أبناء الزمان  
تحقيق : احسان عباس ، طبعة دار صادر . بيروت  
دار صادر .
- (١٠) الرازي : محمد بن بكر ، مختار الصحاح ، بيروت : دار الكتاب  
العربي ، ١٩٦٧ م .
- (١١) السبكي : تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن  
عبد الكافي ، ت ٧٧١ هـ طبقات الشافعية الكبرى ،  
تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد  
الطناحي ، ط ١ القاهرة : مطبعة عيسى البابي  
الحلبي .
- (١٢) الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري تاريخ  
الرسل والملوك ، تحقيق : ابو الفضل ابراهيم  
ح ٩ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٢ هـ .
- (١٣) الفاسي : تقي الدين محمد بن احمد الحسني ت ٨٣٢ هـ  
شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ح ٢ ، بيروت ،  
دار الكتب العلمية ، د . ت .
- (١٤) ابن فهد : محمد بن محمد بن فهد ، اتحاف الوري باخبار أم ،  
القرى ، ح ٢ ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة الخانجي  
١٤٠٤ هـ ، ص : ٤٣٦ — ٤٤٠ .

- (١٥) الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ —  
ادب الدنيا والدين ، ط ٣ بيروت : دار مكتبة  
الهلل ، ١٩٨٥ م .
- (١٦) مسلم : مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح المسمى  
صحيح مسلم بيروت : دار المعرفة ، د . ت .
- (١٧) المقدسي : شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر  
البناء ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم  
ط ٢ ، ليدن : ١٣٢٧ هـ .
- (١٨) مسكوية : أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب ، تجارب الامم  
وتعاقب الهمم ، مصر ١٣٣٤ هـ .
- (١٩) النعمي : عبد القادر بن محمد النعمي دمشقي  
ت ٩٢٧ هـ ، الدارس في تاريخ المدارس ، دار دمشق  
مطبعة الترقى ، ١٩٥١ م .
- (٢٠) النووي : يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، توضيح  
مصطفى محمد عماره ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٧ هـ .

ثانيا : المراجع العربية والمعرية : —

- (١) احمد منير الدين ، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية  
لعلمائهم ، ترجمة وتلخيص وتعليق سامي الصفار ، الرياض : دار المريخ  
للنشر ، ١٤٠١ هـ .
- (٢) امين : احمد ضحي الاسلام ، ط ٨ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤ م .
- (٣) امين : احمد ظهر الاسلام ، ط ٣ ، بيروت : دار الكتاب العربي د . ت .

- (٤) الاهواني : احمد فؤاد ، التربية فى الاسلام ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، د . ت .
- (٥) بدوى : عبد المجيد ابو الفتوح : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق ، ط ١ ، جده : عالم المعرفة ، ١٤٠٣ هـ .
- (٦) البريزات : عبد الحفيظ ، نظرية التربية الخلقية عند الغزالي ، د . ت .
- (٧) بيطار : امينه ، موقف امراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى اواخر القرن الخامس الهجرى ، دمشق : دار دمشق ، ١٩٨٠ م
- (٨) الجبلاطى : على ، وابو التفوح التوانسى ، دراسات مقارنة فى التربية الاسلامية ، ط ٢ القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٣
- (٩) جمعه : محمد لطفى ، تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والغرب ، المكتبة العالمية .
- (١٠) حسن : حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط ٧ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ م .
- (١١) حسين : ابولبابه ، التربية فى السنة النبوية ، ط ٣ ، الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٣ هـ .
- (١٢) حماده : محمد ماهر : المكتبات فى الاسلام ، ط ١ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٠ هـ .
- (١٣) خان : محمد وصى الله ، التربية والمجتمع فى العالم الاسلامى ط ١ ، جده : مؤسسة عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ .
- (١٤) الدهيش : عبد اللطيف بن عبد الله ، الكتاتيب فى الحرمين الشريفين وما حولهما ، ط ١ مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤٠٦ هـ .

- (١٥) ديرانيه : اكرم رسلان ، الحكم والادارة فى الاسلام ، جـده  
دار الشروق ، د . ت .
- (١٦) رضا : محمد جواد ، الفكر التربوى الاسلامي ، مقدمه فى أصوله  
الاجتماعية والعقلانية ، الكويت : دار الكتاب الحديث ، د . ت .
- (١٧) رمضان : احمد ، المجتمع الاسلامي فى بلاد الشام فى عصر  
الحروب الصليبيه ، القاهره : الجهاز المركزى للكتب الجامعية  
مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٧٧ م .
- (١٨) الزبيدى : محمد حسين ، العراق فى العصر البويهى ، القاهره  
دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م .
- (١٩) زكار : سهيل .
- (١) تاريخ العرب والاسلام عند ما قبل المبعث وحتى سقوط  
بغداد ، ط ٣ ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ .
- (٢) مدخل الى تاريخ الحروب الصليبيه ، ط ٢ ، بيروت  
دار الفكر ، ١٩٧٥ م .
- (٢٠) السباعي : احمد ، تاريخ مكة ، ح ١ ، ط ٢ ، مكة : مطابع قريب  
١٣٨٠ هـ .
- (٢١) سلطان : محمود السيد ، مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ  
ط ١ ، جده : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ .
- (٢٢) شلبي : ابوزيد ، تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي  
ط ٣ ، القاهره : مكتبه وهبه ، ١٣٨٣ هـ .
- (٢٣) شلبي : احمد ، التربية الاسلامية نظمها فلسفتها تاريخها ط ٧ ،  
القاهره : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٧ م .
- (٢٤) شندى : محمد حسين ، الحضارة الاسلامية فى بغداد ط ١ —  
بيروت دار النفائس ، ١٤٠٤ هـ .

- (٢٥) ضيف : شوقي ، تاريخ الادب العربي ، عصر الدول والامارات  
ج ٥ ، ط ٣ القاهرة : دار المعارف ، د . ت .
- (٢٦) طلس : محمد اسعد .
- (١) تاريخ الامة العربية عصر الازدهار بيروت : دار الاندلس  
د . ت .
- (٢) التربية والتعليم في الاسلام ، ط ١ بيروت : دار العلم  
للملايين ، ١٩٥٧ م .
- (٢٧) العبادي : احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي  
بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ م .
- (٢٨) عبد العال : حسن ، التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري  
القاهرة : دار الفكر العربي ، د . ت .
- (٢٩) عبد العزيز : محمد الحسيني ، الحياة العلمية في الدولة  
الاسلامية ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، د . ت .
- (٣٠) عبود : عبد الغني ، الفكر التربوي عند الغزالي ، ط ١ ، دار الفكر  
العربي ، ١٩٨٢ م .
- (٣١) علي : سعيد اسماعيل .
- (١) دراسات في التربية الاسلامية ، ط ١ القاهرة : عالم الكتب  
١٩٨٢ م .
- (٢) معاهد التعليم الاسلامي ، القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٨ م .
- (٣٢) علي : سيد امير ، مختصر تاريخ العرب ، ط ١ بيروت : دار العلم  
للملايين ، ١٩٨١ م .
- (٣٣) علي : محمد كرد ، خطط الشام ، دمشق ، المطبعة الحديثة ، ١٣٤٣
- (٣٤) عيسى : احمد ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ط ٢ ، بيروت دار ،  
الرائد العربي ، ١٤٠١ هـ .



- (٣٥) أبو العينين : علي خليل ، قراءة تربوية في فكر أبو الحسن البصري والماوردي ، الكويت : دار الكتاب الحديث ، د . ت .
- (٣٦) الفامدي : علي محمد علي عوده ، بلاد الشام قبيل الفزوة الصليبي ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٤ هـ .
- (٣٧) فرحان : اسحق احمد ، التربية الاسلامية بين الاصل والمعاصرة ط ٣ ، عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ .
- (٣٨) فروخ : عمر ، تاريخ الادب العربي ، بيروت : دار العلم للملايين د . ت .
- (٣٩) فكري : احمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ح ١ القاهرة دار المعارف ، د . ت .
- (٤٠) كحاله : عمر رضا ، جولة في ربوع التربية والتعليم ، ط ١ بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ .
- (٤١) الكيلاني : ماجد عرسان ، تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ط ٢ ، المدينة المنورة : دار التراث ، ١٤٠٥ هـ .
- (٤٢) مرسى : محمد منير .
- (١) أصول التربية الثقافية والفلسفية ، ط ٢ القاهرة عالم الكتب ، ١٩٨٥ م .
- (٢) تاريخ التربية في الشرق والغرب ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٠ م .
- (٣) التربية الاسلامية اصولها وتطورها في البلاد العربية ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٦ م .
- (٤٣) معروف : ناجي مدارس قبل النظامية ، بغداد : مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، ١٣٩٣ هـ .

- (٤٤) النبراوى : فتحة ، تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ، ط ٣ ج ٥ :  
الدار السعودية للنشر ، ١٤٠٥ هـ .
- (٤٥) النجى : محمد لبيب ، الاسس الاجتماعية للتربية ، ط ٧ القاهرة  
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ م .
- (٤٦) النحلاوى : عبد الرحمن ، أصول التربية الاسلامية واساليبها  
ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، د . ت .
- (٤٧) اليافي : عبد الكريم ، معالم فكره فى تاريخ الحضارة العربية  
الاسلامية ، ط ١ ، دمشق : الشركة المتحدة للطباعة والنشر  
١٤٠٣ هـ .

ثالثا : رسائل جامعية : —

- (١) السامرائى : حسام الدين ، المدرسة مع التركيز على النظاميات  
عمان : بحث مقدم للمجمع الملكى لبحوث الحضارة ، ١٤٠٦ هـ .
- (٢) عسىرى : مريزن سعيد مريزن ، الحياة العلمية فى العراق فى العصر  
السلجوقي ، ط ١ مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧ هـ .
- (٣) مالكى : سليمان عبد الغنى ، بلاد الحجاز ، الرياض : مطبوعات  
دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣ هـ .
- (٤) مقادى : فيصل عبد الله ، التعليم الاهلى للبنين فى مكة المكرمة  
تنظيمه والاشراف عليه ، مكة : مطبوعات نادى مكة الثقافى ، ١٤٠٤ هـ .

رابعا : الموسوعات : —

- (١) غربال : محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة  
دار الشعب ، ١٩٦٥ م .

خامسا : الدوريات : —

---

(١) مجلة العرب : —

— تنشئة المكتبة وتطورها ، مقالة عبد اللطيف بـ

عبد الله بن دهيش العدد ٨ الرياض ، ١٤٠٧ هـ